
الدكتور
بكمت ألبير الحداد
لبنان الكبير
دار نظير عبود

الدكتور
حكمت البير الحدّاد

لبنان الكبير

دار نظير عبود

الطبعة الثالثة
١٩٩٦

دار نظير عبود
ص.ب: ١١-٨٠٨٦
تلفون: ٩٣٦٧٧٢

مدخل البحث

لمّا كانت حياة لبنان الوطن استمراراً لتاريخه الذي يغطّي جميع العصور بالأحداث والتطوّرات، فلا بدّ من السؤال: «أي لبنان كان؟ وفيما نحن نشهد ما آلت إليه الأحداث اليوم؟ نزيد عليه: «أي لبنان يريد اللبنانيون؟ والسؤال الموجّه الى أهل هذا البلد قبل غيرهم من الناس والدول ذات التأثير والمصالح والغايات... يكوِّن مع الشطر الأول منه موضوعاً واحداً بعنوان: «أي لبنان كان وأي لبنان تريدون»؟

من هنا كان أن أعود الى الماضي، فانطلقت في تحرّي تاريخيّة الواقع اللبناني الحالي، سابراً جذورها وأبعادها، مركّزاً على المرحلة التاريخيّة الفاصلة الواقعة ما بين العامين ١٩١٨ — ١٩٢٠، حيث أن لهذه الفترة أهمية كبرى على الصعيد اللبناني بل في أنحاء منطقة الشرق الأوسط برمّته، لا سيما بعد زوال السلطة العثمانيّة، وانتصار الحلفاء وقيام نظام الانتدابات الذي وضع لبنان في جملة القضايا الدولية الأساسيّة فيما يخصّ وجوده ومصيره، أرضاً وشعباً ودولة.

وبعد نيّف وسنتين من العمل الشاق، وفي ظلّ الظروف الصعبة أمنياً ووطنياً، جهدت مجدّداً في تنقيح كتابي هذا، ضمن الأصول المنهجيّة لعملية التأريخ على النحو التالي:

١ — البحث عن الوثائق وتجميعها وهذا ما اصطلح على تسميته بالتقميش وقد تسنّى لي الحصول على عدد منها في:

١ — **الأصول غير المنشورة :**

تتركّز بنوع خاص على محفوظات الصرح البطريركي الماروني في بكركي باللغتين العربيّة والفرنسيّة وأدرجت تحت العناوين التالية :

مجموعة أولى : - Archive du patriarcat Maronite

مجموعة ثانية : أوراق متفرّقة من ملف المطران عبد الله الخوري.

مجموعة ثالثة : يوميّات المطران عبدالله خوري في باريس ١٩٢٠.

مجموعة رابعة : وثائق المطران عبد الله خوري.

مجموعة خامسة : وثائق البطريرك الياس الحويك.

٢ — **الأصول المنشورة :** وهي نوعان :

أ — مصادر الأرشيف الفرنسي ويشتمل على[1] :

أ — - Archive du ministère des affaires étrangères françaises

وجرى اختصارها : Arch. Fr.

ب — - Archives du ministère de la guerre française

وجرى اختصارها : Arch. Fr. g.

---

١ — أعني بوثائق الأرشيف الفرنسي المتعلّقة بالنصف الأول من هذا القرن، تلك الوثائق المندرجة في أرشيف الكي دورسي Quai D'Orsay بعنوان :

- Archives diplomatiques, E. Levant (1918 - 1929) sous-série: Syrie - Liban - Cilicie.

وقد أشرت في تسمية أخرى لهذا الأرشيف :

- Archives du Ministère des affaires étrangères

والمختصرة أحياناً بـ A.E. ، إلى عناوين صغيرة ثلاثة بالفقرات أ، ب، ج، اخترت منها ما هو متعلّق بالفترة موضوع الدراسة بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ بنوع خاص، من ضمن مجلدات Volumes محفوظة، ومنظمة في الأرشيف المذكور أعلاه.

ج — الملف الخاص بالجنرال غورو، من مكتبته الخاصة في باريس. ولهذه الوثائق مجتمعة أهمية بالغة في دعم التحليل التاريخي لموضوع دراستي ولاسيّما منها محفوظات البطريركيّة المارونية — بكركي، وهي تشكّل معيناً وثائقياً عميق الأثر في كتابة الأحداث التاريخيّة التي تشمل معظم العصور المرافقة لظهور الشخصيّة اللبنانية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. لذلك فإن التسهيلات التي أعطيت لي، للإطلاع على بعض ما يناسب موضوع بحثي ساعدت كثيراً في اغناء الشواهد التاريخيّة، حيث أن دقتها في تغطية احداث الفترة التي نحن بصدد دراستها، تغني عن اطالة الشرح والتفسير، لوضوح مضامينها وتطابق معانيها مع الأحداث والوقائع[1] :

في الفقرة (أ) فقد تسنّى لعدد وفير من المؤرّخين والدّارسين الاطلاع على أغلبيّتها، كذلك القول بالنسبة الى الفقرة (ب) من باب الملاحق بعنوان أرشيف وزارة الحربية الفرنسيّة، والفقرة (ج)، بعنوان محفوظات مكتبة الجنرال غورو الخاصة — باريس. فجميع هذه الوثائق تدخل ضمن التبويب التوثيقي للأرشيف الفرنسي على مثال ما أدرج بشأن وثائق البطريركيّة المارونيّة في نهاية هذا الكتاب.

٢ — أمّا الأصول المنشورة في المراجع والأبحاث، فقد إطلعت على الوثائق المطبوعة وكتابات ومؤلّفات كبار المؤرخين من لبنانيين، وانكليز وفرنسيين وعرب وغيرهم، مستعيناً بالمراجع التاريخيّة المختلفة المتوفّرة في المكتبات العامة والخاصّة. وبعد توفّر المادّة الوثائقيّة، التاريخيّة والمراجع، أخذت في تنظيم العمل وتبويبه وفرز المعلومات وترقيم مواضيعها ومضامينها تسهيلاً للبدء في صياغة الموضوع، فجاءت المعالجة والصياغة وإيضاحات الوثائق والأسانيد لتؤلّف بحثاً متكاملاً شكلاً ومضموناً.

ومن خلال هذه الدراسة التي رغبت في أن تكون مادة تاريخيّة ثابتة تختصر الأزمنة والحوادث حاولت أن أساهم في بلورة الأهداف الوطنيّة لجهة توضيح الأمور التالية :

---

١ — ألحقت هذه الوثائق بمجموعة متفرّقة من المجموعات الثلاث أ، ب، ج اختصرتها بالفرنسية تحت تسمية (résumé de série françaises) وفقاً لمصادرها الفرنسية.

١ — فكرة الاستقلال اللبناني البعيدة المدى في التاريخ هي خميرة الاستمرارية اللبنانية [1] .

٢ — تحديد الانتماء اللبناني ومشاكله منذ أن أعلن لبنان الكبير.

٣ — قضيّة التوازن العددي للطوائف المقيمة في لبنان بعد إعادة المناطق المسلوخة عام ١٩٢٠ ، وحلّ المشكلة الاقتصاديّة وتجدّد مشكلة الثنائيّة الاجتماعيّة وانعكاسها السياسي.

وإني آمل في أن تكون محاولتي التاريخيّة هذه قد أصابت مكامن الداء ، وسلّطت بأنوار من الحقيقة ، الضوء الذي يكشف الى العلن خبايا الأيام السالفة ، لأن أهمية الماضي وقيمته الأساسية هي في القدر الذي يمكّن به الحاضر الحي من تقدير المستقبل.

---

١ — يجد المطّلع أني ركّزت على التواصل التاريخي للأحداث لقناعة خاصة بالاستمرارية التاريخيّة في وجود الكيان اللبناني المميَّز.

مقدّمة عامة

لبنان اليوم استمرار للبنان الكبير الذي أعلن سنة ١٩٢٠ . فمن أراد فهم الواقع اللبناني الحالي ، توجّب عليه العودة الى الأوضاع السياسية في لبنان ما بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ [1] . هل كان ذلك الاعلان تعبيراً عن إرادة غريبة أم امتداداً لإرادة لبنانية بعيدة المدى في التاريخ؟

بالفعل ليس بناء الأوطان وليد صدفة عابرة أو مشيئة مستعمر قادر ، فالتاريخ يستبقي أولاً من كان جديراً بالبقاء ، ولا استمراراً في متاهات الزمن حاضراً ومستقبلاً إلّا إذا ترسّخت الجذور في الماضي. فالوطن بنيان يعلو شاهقاً بامتداد الزمن ، ولكن مهما علا البنيان وقوي ، تزلزله الأعاصير إن لم تكن أساساته متينة ، فإذا كان الأساس صلباً وتماسكه بعيد المدى في أعماق التربة سيهزأ البنيان بالحدثان مهما تكاثرت وعتت.

على امتداد التاريخ كان الوجود اللبناني مشكلة وقضية. هناك الأرض في الأساس ، تمايز بتعدّد عناصرها في هذا الشرق الرتيب. ولبنان على صغر مداه الجغرافي التقاء بحر وجبل وسهل ، والثلاثة تتزاوج على طول بقعته بأكملها. البحر يعطيه مدى هو الانفتاح على العالم والمجهول ، والجبل يعطيه صلابة وثباتاً وذاتية لا تنال منها صروف الدهر ، والسهل يعطيه سخاء ويربطه بعالم مغلق قلّما اختلف لون الطبيعة فيه. فتمايز الأرض والغنى في تعدّد وجوهها يولدان تمايزاً وتعدّداً وغنى في عمق ساكنيها.

---

١ — الحقبة موضوع هذه الدراسة.

والإنسان الذي انبتته أو استهوته هذه البلاد لأسباب متعدّدة، فاستقرّ فيها، وانطبع بخصائصها، يتميّز هو بدوره عن انسان هذا الشرق الذي يتعشّق الانصياع الى مطلقات ويستسلم لغريزة الجماعة كائناً من كان الحاكم المطلق لهذه الجماعة.

في نظرتنا الى العصور القديمة، نجد أن المدن الفينيقيّة كانت مستقلّة استقلالاً ذاتياً، ولا تجتمع متّحدة إلّا عندما تحلّ بها داهية دهياء، أو بوجه غزاة غرباء. ويخبر التاريخ الأقرب، عن القرى المارونيّة في أعالي الجبال بشهادة رحّالة افرنج بأن كل قرية كانت تتمتّع بطريقة في العيش والدفاع عن نفسها، خاصة ومتميّزة، وأن مجموعة القرى ما كانت لتتّحد تحت راية واحدة، هي في أغلب الأحيان راية البطريرك الذي يوفّق ويوحّد بين مختلف المتزعّمين والمقدّمين، إلّا بإزاء المخاطر العامة والغريبة. يقول المؤرّخ الفرنسي رينه ريستلهوبر في هذا الصدد، «ما أن اعتصم الموارنة في جبالهم حتى ألّفوا أمة على نصيب كبير من الاستقلال، فقد تمكّنوا في ظلال جبالهم العالية العصيّة من صدّ الزحف العربي، حتى أصبح لبنان كأنّه قلعة مسيحيّة طبيعيّة، وتنظّموا بإدارة اكليروسهم وكبار ملّاكيهم تنظيماً اقطاعياً متيناً، وعاشوا في جبالهم مدّة طويلة بشبه عزلة. ولم تكن طبيعة البلاد ولا أخلاق أصحابها ممّا يدفع الى تأسيس المدن. فقامت القرى الكبيرة وكلّ منها لأحد الملّاكين، وكل قرية، أو كل منطقة، كانت لها حياتها الخاصّة، حياة ذاخرة ولّدت شعوراً وطنياً محلياً قوياً، وشعوراً وطنياً شاملاً، ظهر في تعلّق كلّ فرد بشخص البطريرك، وما كان أقوى هذا الشعور إبّان الملمّات وفي وجه العدو المشترك»[1].

وأهمّ ما امتازت به طموحات فخر الدين الثاني المعني، محاولته، جمع الشمل اللبناني، في كيان تاريخي يتميّز عن محيطه بتميّز الكيان الجغرافي نفسه. وليس بأقلّ أهميّة منها محاولة بشير الثّاني الشهابي، وإن ببعض الانانية والمصلحة الذاتية، فقد تميّز الجبل اللبناني عن سواد السلطنة العثمانية، ومن ثمّ محاولة أهل الجبل ذاته الثورة على الحليف المصري حين حاول هذا الحليف أن يطغي على الفرادة اللبنانية، إلى أن نصّت الانعامات التي طلبها البطريرك الماروني من السلطان العثماني وحصل عليها، على أن يكون الأمير

١ — Ristelhuber R. Traditions françaises au Liban, Paris, 1918. p. 15, 17.

الحاكم في الجبل مارونياً كون الموارنة هم الأكثر عدداً من سواهم، وأن يكون الأمير مرتبطاً مباشرة بالباب العالي دون توسّط.

ينقل لنا الدكتور نقولا زيادة، بأن «لبنان تاريخياً يحدّ في أثناء العهد العثماني بالمنطقة التي تبتدئ بقسم جبال لبنان الشرقية وتمتدّ حتى البحر، والتي تأثّرت مباشرة بالحكمين المعني والشهابي، وهي منطقة لا تختلف بحدودها عن لبنان الحديث، وقد نشأت فيها سلطة سياسية نمت وتطوّرت دون توقّف من مطلع القرن السابع عشر الى اليوم، فأتخذ لبنان من ذلك طابعاً خاصاً وشخصيّة مميّزة ووحدة سياسية، رعتها وحافظت عليها الأسر والحكومات التي تعاقبت على تدبير شؤون البلاد[1]. وعلى الرّغم من النعرات الطائفيّة التي أذكتها أحداث ١٨٦٠، فإن تطلّعات الطائفة المارونية أثارت مخاوف الدروز، وبرزت من الجانبين رغبة أكيدة في الاستقلال الذّاتي ضمن وحدة الجبل. وما الحلول التي استنبطتها القوى الفاعلة آنذاك في السياسة العالمية للوضع اللبناني سوى تكريس لوحدة الأرض وثنائيّة المجتمع، أكانت تلك الحلول نظام القائمقاميتين أم نظام المتصرفية[2]. فالنظامان كرّسا انتماء الفرد الى وحدة الأرض من خلال تعدّدية المجتمع والفردية الطائفية. ولم يكن جديداً على الشرق لأن الانتماء فيه الى المجتمع السياسي كان يتمّ دائماً من خلال الانتماء الديني. لكن الجديد المؤثّر، كان في تعدّد الانتماءات الدينيّة، والعدالة بينها تحت تأثير التفاعلات الداخليّة والضغوطات الخارجيّة بآن واحد، وكان الحدث الفاعل، استعادة الأقليّات في الشرق حقوقاً تتساوى وحقوق الأكثريات. لكن هذه المساواة ما كانت لتقرّ بها الأكثريات لولا ضغط القوى الخارجيّة. فما تراه شأن هذه القوى في الوجود اللبناني؟

إن تميّز لبنان بجغرافيّته وتركيبه البشري منذ أجيال، وانفتاحه على العالم الخارجي،

١ — نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت ١٩٧١، القاهرة ١٩٧٢، ص ٧ و٨.

٢ — يقول رئيس الاتحاد اللبناني اسكندر عمّون في رسالته: الإصلاح الحقيقي لا يكون إلّا بأمرين: أولها اعادة الحكم الذاتي للبنان... والثاني اعادة الجبل الى حدوده الطبيعيّة والتاريخية ليكون لأبنائه متّسع فيه للرزق فيقف تيّار الهجرة التي أودت بأهله الى التشتّت والشقاء. (الاتحاد اللبناني، المسألة اللبنانية، مطبعة المعارف مصر، أول يناير ١٩١٣، ص ٨).

وتركيز هذا العالم عليه، خصّته بمميزات عملت على اعطائه صبغته الحالية. فالتواصل والتفاعل بين لبنان والعالم ظاهرة قديمة ودائمة وثّقت الصلات الاقتصادية والثقافيّة بين الفينيقيين والعالم. لكن العالم القوي كان يستهين بالدور الحضاري يأتي من ضعيف مطموع به، وهكذا كان يحلو لبنان بعين المتسلّطين الطامعين والطمع يستتبع الاعتداء على الغير. على هذه الصورة كانت قصة لبنان القديم مع الأقوياء. فكان ممراً للغزاة من الشمال ومن الجنوب، لكنّه ما كان يوماً لهم مقراً. من أتاه غازياً ارتحل عنه، ولم يبق من ذكر للغزاة سوى بعض النقوش، تشهد على اندثار أصحابها صخور نهر الكلب، كما تبيّن زوال تلك القوّة وذلك التسلّط.

استمرّ «الوطن» الصغير، وتوارى الطامعون تباعاً، من الفراعنة، إلى الحثيين فالأشوريين والبابليين والفرس والرومان والصليبيين والأيوبيين والفاطميين والمماليك والعثمانيين... وكان الوجود اللبناني يتراوح بين مواجه ومهادن ومتريّث في المواقف... فكانت حروب وسلام قاسى منها اللبنانيون الأمرّين... تهدّمت البيوت والقصور وخرّبت المعابد والمعالم والأرزاق، وزهقت الأرواح... لكن كان لكل من هذه القوى نهاية، أمام ما هو ثابت وباق، في هذه الأرض المتميّزة المعروفة باسم «لبنان».

وأصاب لبنان في التاريخ الحديث، كما في القديم. فمرّت شعوب وجيوش على ارضه، وتقاتلت وتدخّلت وحاولت اجتذاب حكّامه وأمرائه وقادته بالمالقة حيناً والسطو أحياناً، بحجّة الحماية (ملوك فرنسا والموارنة)، أو لإعجاب بشخص حاكم أو أمير توخّياً لمنافع ومكاسب (توسكانا وفخر الدين)[١]، أو لاقامة التحالفات الثنائية (بشير ومحمد علي ضد العثمانيين[٢]، (الإنكليز والدروز).

وإذا بلبنان في القرن التاسع عشر يمسي مسرحاً لتصادم المصالح الأجنبية والاقليميّة

١ — فيليب حتّي، تاريخ لبنان منذ اقدم العصور التاريخيّة الى عصرنا الحاضر، دار الثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨، بيروت، ص ٤٥٩ — ٤٦٠ و٤٦١.

٢ — الأمير حيدر أحمد الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، القسم الثالث، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩، ص ٨٢٠ وما يليها.

وأسد رستم، بشير بين السلطان والعزيز، ١٨٠٤— ١٨٤١، القسم الأول، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٦٥ وما يليها.

المستغلّة للأوضاع الاجتماعيّة الشرقية عبر اختلاف اتجاهات الطوائف في لبنان... وتنعكس الصراعات الدوليّة بين هذه الطوائف، وتتفاقم بظلّ العقليّة العصبيّة القبائليّة الدينيّة... ممّا يؤدّي الى تقاتل لبناني — لبناني في حمأة من الجهل والغباء والخيانة والادّعاء... وتتضارب المفاهيم الوطنية، فأي لبنان يستميتون لأجله؟ هل هو لبنان الذي يريدونه جميعاً؟ أهو لبنان الجغرافي الموحّد المتكامل أم لبنان التاريخ المتعدّد المنطلقات إثنياً وحضارياً؟ أم لبنان صنيع الغرباء الأقوياء وسبيلهم الى بسط النفوذ في المسألة الشرقية المعقّدة؟

لقد تعارف الكثيرون، على أن لبنان الحالي هو وليد الأوضاع السياسيّة التي طرأت ما بين ١٩١٨ — ١٩٢٠، فما هي مقدّمات تلك الولادة؟ وكيف كان واضعو أسس كيانه يريدونه في تلك المرحلة أو بعدها؟ ما هي الإرادات الفاعلة في بناء الوطن اللبناني الحديث؟ هل كان للخلفيات التاريخيّة البعيدة والقريبة أثر في تلك الإرادات؟ وهل كانت المعطيات المتوفّرة تصلح لبناء وطن مكتمل الهوية والوجود؟

بالطبع كان هناك الإنكليز والفرنسيّون ونزاعاتهم المزمنة على اقتسام مناطق النفوذ في الشرق، كما كان هناك الأميركيّون ومبادئهم الديمقراطية التي حملتّها لجنة كينغ — كراين، وكانت هناك التيّارات العروبية الداخلية المتجاوبة مع الأطماع العربية بلبنان[١]، من خلال الأمير فيصل، وكان هناك التيّارات القومية اللبنانيّة، يقودها البطريرك الماروني الحويك والتي ترمي الى الانفراد بلبنان بعيداً عن كل تذويب لهويّته التاريخيّة[٢]. فكل هذه العوامل الخارجية والداخلية، كانت تتفاعل وتتصارع على السّاحة اللبنانية، وأخطر ما في الأمر، كما على مرّ العصور أن القوى الخارجيّة كانت تجد لها بين اللبنانيين بالذّات آذاناً تصغي وإرادات تنصاع وأيادي تنفّذ. وعلى الرّغم من كل ذلك قام الوطن، فما هي أسس قيامه؟ فهل هناك أمّة لبنانية تميّز هذا الوطن وتحقق من خلاله وجوداً فعلياً وسياسياً؟ فلئن كانت هذه الأمّة بالفعل موجودة فما هي مقوّماتها

١ — زين زين، نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩، ص ١٣٥، ١٤٠ و١٤٤.

٢ — يؤكّد التقليد الماروني رفض الموارنة الذوبان والانصهار منذ المجمع الكلسيدوني سنة ٤٥١، حيث التزموا بمبادئه ولاسيّما بما خصّ الطبيعتين والمشيئتين في المسيح الاله والإنسان، فانعكس المبدأ الإنساني في أساس عقيدتهم كمجتمع بشري يحافظ على حرية الإنسان وكرامته.

الأساسيّة؟ أعرق؟ والأرض اللبنانية كانت مختبر تفاعل بين أعراق متعدّدة؟ ألغة؟ والحضارة اللبنانية كانت منذ الفينيقيين الى السريان ناقلة التراثين اليوناني والمشرقي الى السريانية والعربية، الى الموارنة المنفتحين على الحضارتين المشرقية والغربية، إلى الإنسان اللبناني بشكل عام حامل لواء النهضة العربية والثقافة الغربية المتعدّدة المشارب والأصول والمرامي.

يقول ارنست رينان في تحديد الأمّة: «الأمّة روح ومبدأ روحي، وتؤلف هذه الروح وهذا المبدأ الروحاني شيئين ليسا إلّا واحداً. احدهما في الماضي والآخر في الحاضر. أحدهما الاشتراك في امتلاك إرث غني في الذكريات، والآخر هو الموافقة الحاضرة والرغبة في العيش معاً والإرادة في استمرار تقييم الإرث الذي وصلنا دون انقسام... الإنسان لا يرتجل... الأمة كما الفرد ماض بعيد من الجهود واعتماد برنامج واحد للتحقيق في المستقبل، المتألّم والفرح والأمل معاً، هذا ما يفوق جمارك مشتركة وحدوداً تتوافق والافكار الستراتيجيّة، هذا ما يفهم على الرغم من اختلافات العرق واللغة» [١].

ترى هل كان للجماعات الطائفيّة التي يتكوّن منها لبنان في تلك الحقبة ماض مشترك من الذكريات والآلام؟ أم كان لكل منها تاريخها المنفرد، لا بل صراعها مع باقي الفئات؟ وفي حال لم يتوفّر هذا الماضي المشترك إلّا في ومضات خاطفة مثل يوم اتحد فيه جميع أهل الجبل: الشيعة، والدروز والموارنة ضد المماليك المعتدين سنة ١٢٨٧ على ما يروي الدويهي [٢]، ومثل الاجماع اللبناني على الولاء لفخر الدين المعني الثاني وبعده لبشير الثاني، فهل كان من اتفاق حاضر في حقبة ١٩١٨ — ١٩٢٠، ليعوّض عن تشتّتات الماضي، وهل عبّرت البعثات اللبنانية الى باريس عن ارادة اللبنانيين الشّاملة المشتركة على الرغم من أصوات النشاز التي كانت تعمل على تفكيك المجتمع اللبناني تسهيلاً لابتلاعه وتذويبه؟ ولئن توفّر هكذا اجماع قام على أساسه لبنان، فما سبب الأزمات الكيانيّة التي ما برحت تعصف بالوجود اللبناني في العمق؟ أكانت النيّات في

---

١ — أ. رينان، خطب ومحاضرات، باريس ص ٣٠٦، ٣٠٨.

٢ — البطريرك اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، نشر الأباتي بطرس فهد، ١٩٧٦، ص ٢٨٦ — ٢٨٧.

الأصل غير صافية أم عادت وتنكّرت لما أقرّته؟ هل كان لبنان الكبير الذي أعلنه الجنرال غورو سنة ١٩٢٠، واجب وجود أم كان يحمل منذ أن أنشىء ما يوجب زواله أو انقسامه على الأقل؟ ما هو الموقف الواضح من ثنائيّة المجتمع؟ أهي عنصر اغناء ترتكز عليه مبادىء الديموقراطية الرئيسيّة من عدل ومساواة وحرية أم هي نذير انقسام وتفكّك وتشرذم وخراب؟ وإلى أين تسير وجهة لبنان التاريخيّة اليوم؟ فهل الجدلية التاريخيّة ستنبت لبنان جديداً واحداً في ماهيّته ووجوده يقوم على انقاض لبنان منقسم أفرزته وحدة مصطنعة أوجدها الغريب لينفذ الى عمقها حين يشاء؟ أيكتب النجاح لأصالة تاريخيّة عميقة في هويّتها ومنطلقاتها الحضارية؟ وهل تستطيع هذه الهوية أن تتعايش مع الافرازات المجاورة وما هي مقومات الانسجام والتفاعل والاتحاد؟

إنني أتوخّى الإجابة على الأسئلة من خلال هذا البحث ولست ملزماً بإيديولوجيّة معيّنة ولا مدافعاً عن فكرة مسبقة، وإن كان إيماننا بلبنان كبيراً إلّا أن إيماننا بالحقيقة يوازي تعلّقنا بالوطن، لا بل إنّنا نبحث في الواقع عن الوطن الحقيقة، ومن الغباء أن نحبّ وهماً أو نتعلّق به. رائدنا أن نجد حقيقة هذا الوطن علّنا نستطيع أن نحبّها صادقين واقعيين.

ولئن أظهر البحث أن لبنان ١٩٢٠ هو لبنان الأصيل فما أجدرنا بالعودة الى الحق نقياً وبعيداً عن الشوائب. ولئن تبيّن أن لبنان الحقيقة غير ذاك فما أحرانا أيضاً بنبذ الوهم والتشبّث بالحق، علّنا نجمع هكذا بين ذاتية حبّنا للبنان وموضوعيّة بحثنا لحقيقته.

القسم الأول

موجز في المراحل الأساسية لتاريخ لبنان

الفصل الأول
نظرة موجزة في تاريخ لبنان القديم والوسيط

القضية اللبنانية بعيدة المدى في التاريخ. ولبنان منذ ما قبل التاريخ موطن للانسان. وما اكتشافات جبيل وغيرها من المدن اللبنانية إلّا خير دليل على ذلك. ومما شجع الانسان على استيطان لبنان مناخه المعتدل ووضعه الجغرافي الطبيعي المميز. من هنا كان علينا لفهم الحقبة التاريخية ١٩١٨ — ١٩٢٠ التي نحن بصدد دراستها أن نستعرض المراحل التاريخية السابقة لهذه الحقبة.

فالقضية اللبنانية ككل قضية متجذرة في الأرض والنفوس ليست وليدة صدفة عابرة أو مشيئة مرتجلة. بل لها أبعاد ضاربة في الماضي. وتشكّل محطات مهمة، يجب على الدارسين والباحثين التوقف عندها واستخدامها كجسور تربط الماضي بالحاضر والمستقبل. من هذه المحطات أولاً جذور القضية اللبنانية في العصور القديمة وتحولاتها الفكرية والاجتماعية في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى ١٥١٦ وثانياً تجسيداتها[١] المشجعة على الرغم من كل الصعوبات في العصور الحديثة التي جابهتها. وأخيراً المرحلة التي تتناولها دراستنا حصراً.

هذه المحطات التاريخية هي بنظري المنطلقات الأساسية لكلّ دراسة تاريخية للبنان الحديث والمعاصر. ولقد اعتمدتها في دراستي هذه لنكون على بيّنة لا تقبل الشك في

---

١ — نفهم بكلمة تجسدات القضية اللبنانية محاولات المعنيين والشهابيين الحصول على الاستقلال الذاتي للبنان من ضمن أطُر السلطنة العثمانية.

نظريتي القائلة «باستمرارية التاريخ اللبناني» وبنظري هذه الاستمرارية ما انقطعت يوماً وهي في حركة تطويرية دائمة[1].

في القديم حافظ الفينيقيون على استقلالهم الذاتي برغم انه لم توجد أبداً دولة فينيقية موحّدة[2]، وكانت صور وصيدا وارواد مراكز المتوسط، فنشر الفينيقيون حضارات المتوسط، وبفضلهم دخل الحرف الى اليونان والشعوب الأخرى. فنشأت العلاقات التجارية والثقافية بين المدن الفينيقية وحواضر مصر وبلاد ما بين النهرين واليونان وروما وبيزنطية.

وخلال العهدين البيزنطي والعربي، ابتدأت مرحلة مهمة من تاريخ لبنان نسمّيها نواة الوجود السياسي اللبناني عندما اضطرت جماعات من أرض سوريا الى التخلّي عن حياة السهول والاستعاضة عنها بحياة الجبال الصعبة في أرض لبنان[3]. وتبتدئ علاقات جديدة مع المحيط المجاور، فيساعد فينيقيّو لبنان معاوية على السيطرة البحرية، لكنّهم أبوا التخلّي عن تعلّقهم بالحرية، فانتفض سكان الجبل متمرّدين على السيطرة الأموية بدعم الأمبراطور البيزنطي، وأجبروا بذلك الخليفة الأموي على عقد معاهدات قاسية بين ٦٧٨ — ٦٨٥م[4].

واستمر تمرّد أهل الجبال اللبنانية على العباسيّين وما ثورة المنيطرة سنة ٧٥٩ إلّا الدّليل على ميلهم المستميت الى الاستقلال.

ومع استقرار البطريركية المارونية نهائياً في لبنان (٧٠٢) م، أخذت جماعات كبيرة من سكان الجبل اللبناني تدخل في كيان جديد، وكان البطريرك الماروني يقوم بدور ديني وزمني على السواء كما يقود مسيرة صمود تلك الجماعات بوجه الطامعين والمعتدين.

١ — الاستمرارية التاريخية. نفضل هذه التسمية على عبارة أبعاد أو جذور القضية اللبنانية التي يستعملها بعض المؤرخين.

٢ — Contenau G. La civilisation phénicienne, Paris 1928, pp. 60 - 62.

٣ — Pierre Dib, Histoire de l'église Maronite, 1962, T. II. p. 70, et:

— جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، طبعة ثانية، بيروت ١٩٧٣، ص / ٢٥١، ٢٥٢ /.

٤ — يوسف السمعاني، المكتبة الشرقية، المجلّد الثالث، ص / ٦٣١ / وما يليها، ترجمة الأباتي بطرس فهد في نشرة كتاب الشرح المختصر في أصل الموارنة، ١٩٧٤، الجزء الأول ص / ٢١٩ /.

ولهذا قال المؤرخ «ريستلهوبر»: «بأن اعتصام الموارنة في جبالهم، جعلهم يؤلفون أمة على نصيب كبير من الاستقلال، فقد تمكّنوا في ظلال جبالهم العالية العصيّة من صدّ الزحف العربيّ»[1].

لقد كان للبطريرك سلطة رعوية في الحقلين الديني والزمني، وممّا زاد في قوة هذه السلطة وتمسّك الشعب بها، الاضطهادات العنيفة التي تحمّلها الشعب والبطاركة بشكل خاص. «وأصبح لبنان كأنه قلعة مسيحية طبيعية... وقامت القرى الكبيرة وكلّ منها لأحد الملاكين، وكلّ قرية، أو كلّ منطقة، كانت لها حياتها الخاصة، حياة ذاخرة، ولّدت شعوراً وطنياً محلياً قوياً وشعوراً وطنياً شاملاً ظهر في تعلّق كلّ فرد بشخص البطريرك وما كان أقوى هذا الشعور إبان الملمات وفي وجه العدو المشترك»[2].

ولئن تعاون الموارنة مع الصليبيين، فإنهم لم يتردّدوا عن مقاومتهم بقيادة البطريرك لوقا البنهراني[3]، عندما حاول الصليبيون الحدّ من الحرية المارونية. ومما لا شكّ فيه أن الحقبة الصليبية قد سمحت للموارنة وللبنانيين من خلالهم الاتصال بأوروبا وبإحياء الانفتاح اللبناني على العالم سيراً على الخطى الفينيقية، وتميّزاً للبنان عن باقي أقطار المنطقة.

وبعد انتصار المماليك على الصليبيين وخروج هؤلاء كقوة عسكرية من المشرق، تنصبّ نقمة أولئك على الموارنة حلفاء الصليبيين. يقول المؤرخ ابن الحريري: «لم يتمكّن المماليك من أن ينتزعوا طرابلس من أيدي الصليبيين إلا لما أجهزوا على مقاومة حلفائهم الموارنة، عندئذ، زحفت جيوشهم الجرارة أول سنة ١٢٨٢ على بلاد الجبّة،

١ — Ristelhuber R. op. cit., p, 15, 17.

راجع أيضاً:

— كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، طبعة رابعة، بيروت ١٩٧٨، ص / ٨٨ /.

٢ — Idem, p. 17.

٣ — الأباتي بولس نعمان، المارونية: ثوابت ومتغيّرات. المؤتمر الماروني العالمي الثاني، نيويورك، ١٩٨١، ص / ١٠ /.

فقاد رجال الدفاع بطريرك يدعى دانيال من حدشيت ، بنفسه ، وأوقف جيوش المماليك أمام إهدن أربعين يوماً ، ولم يتمكّنوا منها إلّا لما أمسكوه بالحيلة [١] .

وبقيت الحال بين كرّ وفرّ في مقاومة الموارنة واللبنانيين للمماليك . وعندما أمسك البطريرك الحدشيتي كما تروي مخطوطة تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور «استراح المسلمون منه وآمنوا شرّه . وكان إمساكه فتوحاً عظيماً أعظم من افتتاح حصن أو قلعة . وكفى الله مكره» [٢] .

وفي الأسلوب نفسه استشهد بطريرك آخر هو جبرائيل الحجولاوي بالقرب من طرابلس عند جامع طيلان سنة ١٣٦٧ [٣] .

ولم تكن الغلبة دائماً للماليك . يقول البطريرك الدويهي في ذلك : «في سنة ١٣٠٢ اجتمعت جيوش بلاد الشام وطرابلس لمقاتلة الموارنة الجرديين وأهالي كسروان ، واستعدّ الموارنة ، فنزل من الجبل ثلاثون مقدّماً ، ومعهم ألف جندي والتقوا الجيوش الشامية في الفيدار وهزموهم وقتلوا قائدهم «حمدان» واستولوا على أربعة آلاف رأس خيل وذخيرة كبيرة . وقتل من مقدّمي الموارنة «بنيامين» صاحب حردين ، فدفنوه عند صاحب الأركان في جبيل ، ومن شدّة حزنهم عليه ، لا رفعوا سنجقاً ولا دقوا طبلاً ولا نفيراً . ثم صعدوا الى معاد واقتسموا المغانم فيما بينهم . فقصد عنتر «(مقدّم العاقورة) الطمع على رفاقه ، واذ لم يعتبر ولا ينتصح حرمه البطريرك ومات في ثالث يوم» [٤] .

ولم يكتف المماليك بمحاولات سحق الموارنة ونزعتهم الاستقلالية ، بل حاولوا خنق

١ ـــ الخوراسقف يوسف داغر ، بطاركة الموارنة ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨ ، ص /٣٤/ . و :
P. Dib. op. cit., p. 86.

٢ ـــ ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، القاهرة ١٩٦١ ، ص /٤٧/ أو :
Manuscrit arabe de Paris N° 1784, fin du XIII. S. fol. 94, 95.

٣ ـــ كمال الصليبي ، منطلق تاريخ لبنان ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٩ ، ص /١٥٧/ نقلاً عن حروب المقدمين ص /٦٠/ . راجع أيضاً :

P. Dib, op. cit., p. 91.
- Churchill, Charles, the druses and the maronites under rule, fom 1840 - 60, London 1861, pp. 29, 30. و :

٤ ـــ الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، المرجع السابق ، ص /١١٣/ .

الروح اللبنانية الناشئة من الداخل بزرعهم في المناطق اللبنانية قبائل تنتمي إليهم وتعمل لأجلهم . فأقاموا على الساحل اللبناني قبائل عربية وتركية وفارسية . أشهر هذه القبائل بنو بحتر وهم فرع من التنوخيين من أصل عربي كلّفوا الدفاع عن بيروت والشاطئ بين هذه المدينة وصيدا في الجنوب ، وبنو عسّاف وهم من أصل تركماني أقيموا بين انطلياس والمعاملتين ، وبنو سيفا من أصل كردي أقيموا في طرابلس وفي عكار بالشمال من لبنان . وانتشر حزب بشارة الحسيني الشيعي في جنوب لبنان في المنطقة التي تحمل اليوم اسمه «بلاد بشارة» [١] . لكنّ مسيرة تكوين الوطن اللبناني لم تتوقف . فإذا بالعهد العثماني يطلّ ويحمل معه تنظيمات جديدة ، برز معها حكم الأمراء المعنيين الذين مشوا في خط الاستقلال الذاتي .

١ ـــ Paul Noujaim, La Question du Liban, 2ème édition, 1961, pp. 78 - 80.
عرف المؤلف باسم : Jouplain ، وقد ظهرت الطبعة الأولى من كتابه هذا في باريس عام ١٩٠٨ ، ولد في جونية سنة ١٨٨٠ وتوفي في باريس سنة ١٨٣١ .

الفصل الثاني

من السيطرة العثمانية الى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨

١ — إمارة الجبل وعلاقتها بتاريخ لبنان :

بعد معركة مرج دابق بين الأتراك بقيادة السلطان سليم الأول والمماليك الجراكسة بقيادة قانصوه الغوري ، دخل لبنان بانتصار العثمانيين في دائرة النفوذ العثماني [1] . في جبل لبنان الشمالي «كانت الكراهية للمماليك قد اشتدّت ، وفي الأشواف كان لموقف الأمير فخر الدين الأول أهمية بارزة في تحوّل مسار امارته الى جانب العثمانيين [2] . وقد استطاع الأمير تزعّم تحالف عائلي عصبي طائفيّ ضمّ بيوتاً أرستقراطيّة درزية — مارونية وغيرها من بيوتات المقاطعجية . يقول الدكتور كمال الصليبي : «عاشت الطوائف اللبنانية المتعددة جنباً الى جنب بسلام تشدّها روابط الولاء المشترك للأمير الحاكم [3] .

لقد حاول الأمير فخر الدين الثاني الاستقلال بإمارته بعد أن وسّعها اقتصادياً وعسكرياً ، فوقّع معاهدات مع بعض دول أوروبا وفتح أبواب التجارة ، فتوفرت الأموال التي استخدمها في تنمية الزراعة والصناعة ، كما اهتمّ بنشر العلم . لكن عين

١ — حتّي ، ص /٣٧/.

٢ — الصليبي ، ص /١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ /.

٣ — الصليبي ، لبنان الحديث ، ص /٢٧ ، ٢٨ /.

الحسّاد لا تنام ويد الفتنة امتدّت الى إمارته تحيك الدسائس لدى الباب العالي حتى قضى الأمير شهيد طموحاته سنة ١٦٣٥ . ولئن كان سقوط الأمير فخر الدين ضربة قوية لمسيرة بناء الوطن اللبناني ، فإن المحاولات لم تتوقف. في أوائل عهد العثمانيين كان البطريرك موسى العكاري (١٥٢٤ — ١٥٦٧) ، قد كتب الى الأمبراطور كارلوس الخامس في رسالة مؤرخة في ٢٥ آذار سنة ١٥٢٧ : «منذ أربع سنوات ونحن نترجّى جلالتكم كي تهتمّوا بمساعدتنا على نيل استقلالنا ، وعندنا خمسون ألف مقاتل من الرماة مدربون أحسن تدريب وعلى أتمّ استعداد لخدمتكم في الحرب الاستقلالية» [1] .

وإزاء تقاعس الأمبراطور عمل البطريرك ذاته وبالأسلوب الدبلوماسي والحوار المباشر مع السلطان سليم الأول فحصل منه على خط همايوني الى قاضي طرابلس بعدم التعرّض للموارنة وبطريركهم [3] . دون أن ينسى البطريرك علاقة الموارنة بفرنسا فسعى الى كسب حمايتها ضد التعدّي المجاور ، مما حدا بالملك لويس الرابع عشر الى تكريس الحماية الفرنسية للموارنة بمرسوم نورد بعض ما فيه : «... قد أخذنا ووضعنا تحت حمايتنا ورعايتنا الخاصة بمقتضى توقيعنا بيميننا صاحب النيافة البطريرك وكلّ الاكليروس والموارنة المسيحيين من رجال دين وعلمانيين الذين يقطنون جبل لبنان خاصة» [3] . يتبيّن من ذلك أنّ المسيرة اللبنانية متجذّرة في القدم. وزاد ارتباط لبنان بالغرب تعيين فرنسا قناصل لها لمدة القرنين السابع والثامن عشر من بين الموارنة [4] ، كما ترسّخت إمكانية الحفاظ على الاستقلالية الذاتية إزاء محاولات التسلّط العثماني وولائه .

ان علاقات كهذه لم تكن محصورة بشخص البطريرك أو الأمير، لأنها شملت القاعدة الشعبية في العمق وذلك ما يفسّر اتصال فخر الدين ذاته بأوروبا من خلال

١ — يوسف داغر ، ص /٤٥/. راجع كذلك :
هنري أبو خاطر ، من وفي تاريخ الموارنة ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص /١٠٩ — ١١٠ /.

٢ — البطريرك اسطفان الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، طبعة فهد ، جونية ١٩٧٦ ، ص /٤١٨ /.

٣ — J.C. Murewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, London, March 1958, Vol, 1, p. 24.

٤ — من هؤلاء القناصل : أبو نادر الخازن ، أبو نوفل الخازن ، غندور السعد ، الخ...

الموفدين الأساقفة الموارنة الى ايطاليا وفرنسا[1] ، وبما يؤمن استمرار النزعة الاستقلالية عند الشعب اللبناني على الرغم من غياب فخر الدين.

وتستمرّ المسيرة وتتوضح مع الأمراء الشهابيين وخاصة الأميرين يوسف وبشير الثاني الكبير[2] ، على الرغم من كثرة المؤامرات الأجنبية وغاية الأمراء الشخصية.

وقد جسّد الأمير بشير الثاني خلال أكثر من نصف قرن ، الاستقلالية اللبنانية الذاتية وعمل على وحدة الشعب والبلاد ، فابتدأ بترسيخ سلطته معتمداً على وسيلتين ، أولاهما : مراعاة الأحزاب ظاهرياً والعمل في الخفاء للقضاء على كلّ منها باستعمال الواحد ضد الآخر[3] ، وثانيهما : بسط الأمن والعدالة في البلاد. واعتمد في كلّ ذلك على جيش أعدّه للأمور الداخلية والخارجية. واستطاع بشير بسياسته تلك الوصول الى حكم مجمل قطاعات لبنان الحالي والى فرض ذاته «كعامل فعّال في الدبلوماسية المحلية والعالمية»[4] . وكانت ولاية الأمير بشير قوية مرهوبة الجانب ، وحفلت بمختلف الأحداث ، وتميّزت بالسعي الحثيث الى توسيع حدود إمارته الى كلّ ما عرفه من أرض لبنانية منذ القديم ، وتثبيت استقلاله بتحدّي الباب العالي أو بموافقته ، ويقول الدكتور أسد رستم في بعض الحوادث ، «انه بلغ الى الأمير أن درويش باشا والي الشام اعتدى على أهالي البقاع ... وعندما أصرّ الوالي على موقفه من لبنان أرسل الشهابي الكبير ابنه خليلاً بعسكر الى البقاع لطرد الوالي الشامي ، ففرّ بجماعته الى دمشق ... وشعر والي دمشق بحاجته الى لبنان فأرسل رسلاً الى الأمير يسأله ما يريد فأجابه الأمير اللبناني :

أولاً : رفع الضبط عن القرى التي كان قد ضبطها يوسف كنج باشا مدّعياً انها خاصة وزير دمشق مع انها ملك المشايخ الجنبلاطية من قديم الزمان.

ثانياً : أن يكون والي البقاع خاضعاً لأمير لبنان كما كان سالف الأيام.

١ — P. Dib, op. cit., p. 117.
٢ — Idem, p. 121.
٣ — راجع أيضاً : Lammens, H., La Syrie, T. II. p, 118.
- De Chevalier, la Société du Mont Liban, Paris, 1971, p. 14.
٤ — الصليبي ، لبنان الحديث ، المرجع السابق ، ص / ٧٨ / وما يليها.

ثالثاً : أن يرفع والي دمشق ما أحدثه من الضرائب على البقاع.

رابعاً : أن يكون صاحب وادي التيم وصاحب بعلبك تحت اختيار أمير لبنان... وقبل درويش باشا وطلب الى الأمير أن يكاتبه بذلك رسمياً»[1] .

وكانت التطورات تستدعي قيام اتصالات مع الخارج وبخاصة مع الغرب ، ولأجل الوصول الى أهدافه كان الأمير يتجنّب بدهاء شرّ الولاة العثمانيين ، فكان يسخو بالرّشوة ، ويظهر إخلاصه للسلطة العليّة ، وعامل المقاطعجية من مختلف الطوائف الذين تجرأوا على الوقوف في طريقه معاملة قاسية.

وظهرت حنكته السياسية بموقفه المتريّث من حروب نابليون ووالي عكا. وعيّنه السلطان سليم الثالث حاكماً عاماً على «جبل الدروز» ومنطقة بعلبك وجبيل وجبل عامل ، وخوّله صلاحية الاتصال بالباب العالي مباشرة.

وبعد وفاة الجزار ، بادر الأمير بشير الى تركيز سلطته وتدعيم إمارته ، وحكمه ، فقضى على منافسيه وخصومه المحليين واتبع سياسة التسامح مع مختلف الطوائف. واهتمّ الأمير بتنشيط المرافق العمرانية والاقتصادية ونشر العلم ، وظهر لبنان في السنوات العشر الأخيرة من عهد بشير الثاني على مسرح السياسة الدولية واحتلّ مركزاً مهماً ولائقاً لم يتخلّ عنه حتى يومنا هذا. وكان الأمير يهدف الى تأسيس أسرة حاكمة وراثية[2] .

ونختصر عصر الأمير الشهابي[3] بثلاثة أدوار :

١ — دور الضعف بين ١٧٨٨ — ١٨٠٤ لأنه كان مرتبطاً بالجزار المتسلّط على الإمارة اللبنانية.

٢ — دور القوة : ١٨٠٤ — ١٨٣١ وقد عاصره في عكا واليان (سليمان باشا ١٨٠٤ — ١٨١٩ وعبد الله باشا ١٨١٩ — ١٨٣١).

١ — أسد رستم ، بشير بين السلطان وعزيز ، المرجع السابق ، ص / ٣٢ ، ٣٣ /.
٢ — فيليب حتي ، مختصر تاريخ لبنان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص / ٢٠٦ /.
٣ — هو ابن الأمير قاسم عمر شهاب ، ولد في غزير سنة ١٧٦٧ ، وتسلّم الحكم من الأمير يوسف عام ١٧٨٨ .

٣ — دور العهد المصري: ١٨٣١ ١٨٤٠، قوي في أوله الأمير، وفي نهايته اختار طريق المنفى وغادر لبنان.

وما أن غادر الأمير البلاد عام ١٨٤٠ حتى عادت حياة الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار وانتهى بزواله عهد الإمارة[١].

وبسقوط الأمير بشير، تصدّعت المسيرة الاستقلالية تحت وطأة السياسة العثمانية التي كانت تحاول خنق كلّ المحاولات الاستقلالية في السلطنة وتحت وطأة المداخلات الأجنبية في القضية الشرقية ككلّ والقضية اللبنانية بشكل خاص مستغلّة الثغرات بين اللبنانيين. واذا بالحوادث الطائفية تتفاقم، وتتوسّع الخلافات بين مختلف الاتجاهات والطوائف، وتسخّر الدولة العثمانية كلّ ذلك لتنتقص من بعض ما عرف بالسيادة اللبنانية، وتسمّي بشيراً الثالث مكان سلفه ثم تحلّ محلّه موظفاً عثمانياً هو عمر باشا النمساوي، محيكة الدسائس والفتن التي درجت عليها لتفتيت الكيان اللبناني، فتوفقت السياسة التركية أخيراً بتقسيم البلاد وإعلان القائمقاميتين[٢].

وبذلك تطورت القضية اللبنانية في تجسيد الاستقلالية الذاتية، منذ العصور القديمة بطابعها الفينيقي المسالم المنفتح، الى العصور الوسطى والتفاف الأكثرية المسيحية والمتمردين في جبل لبنان حول الموارنة بوجه الطغيان ومحاولات السحق المتكررة، الى العصور الحديثة بعد أن قامت الإمارة اللبنانية بوجوهها الدرزية والسنّية والمارونية من المعنيين الى الشهابيين... وظهرت عبر تلك الحقبات إرادة لبنانية بالوجود الحرّ المستقلّ، برغم النكسات في عهد القائمقاميتين، وساعد بروتوكول ١٨٦١ وتعديلاته، على نقل الاستقلال اللبناني من حيّز الواقع التاريخي الى حيّز الحق المعترف به دولياً، فكان النظام الجديد أول دستور مكتوب للكيان اللبناني.

بعد استقالة الأمير بشير الشهابي من الإمارة، وذلك نتيجة السياسة الانكليزية الرامية الى إضعاف الإمارة[٣]، حاولت الدولة العثمانية تعيين والٍ تركي. فاحتجّ

١ — Noujaim, Paul, op. cit., p. 22 et suite.

٢ — P. Dib, op. cit., T. II, p. 388 - 390.

٣ — P. Dib, op. cit., p. 122.

اللبنانيون واتصلوا بالدول الأجنبية التي حذّرت بواسطة سفرائها في الآستانة بسوء العاقبة من تعيين والٍ تركي على لبنان خلافاً لحقوقه وتقاليده وامتيازاته[١]. فعيّن الباب العالي أقل الأمراء كفاءة وأضعفهم شأناً الأمير بشير الثالث الملقّب (بو طحين) خلفاً لبشير الثاني الكبير.

خلقت تركيا المشاكل للأمير الجديد، فعجز عن تهدئتها، فاستدعاه الباب العالي الى الآستانة لتقديم تقرير عن الحوادث التي وقعت في البلاد، وعيّن بدلاً عنه عمر باشا حاكماً على لبنان[٢]. وما أن علم اللبنانيون بخبر إقالة الأمير بشير الثالث، وفهموا ان غاية العثمانيين القضاء على امتيازات البلاد، حتى رفعوا أصواتهم بالاحتجاج وقدموا العرائض الى قناصل الدول الأجنبية محتجين[٣]. فبادر السفراء الأجانب يحذرون الباب العالي لتلافي الكارثة قبل وقوعها، وقد جاء في تقرير سفير انكلترا بتاريخ التاسع من شباط ١٨٤٢ ما يلي: «اتصل بنا أن الأمير بشير قاسم عزل فجأةً بأمر استبداديّ... وان السرعسكر مصطفى باشا عيّن عمر باشا متسلّماً مكان الأمير، عاهداً إليه في السلطة المختصة بالأمراء وهو اليوم في دير القمر بصفة والٍ على لبنان مما لم يسبق له مثيل... وخارقاً للامتيازات المقررة منذ عدة قرون... وقد ينشب قتال»[٤].

وبالفعل، فقد ازدادت القلاقل بازدياد المؤامرات وتدبير الدسائس الطائفية حتى عمد سفراء الدول والباب العالي الى إيجاد مخرج للأزمة اللبنانية، فكان نظام القائمقاميتين (نصرانية — درزية) الذي شكّل طعنة لامتيازات لبنان ووحدته.

٢ — عهد القائمقاميتين:

في السنة ١٨٤٢ ألغى السلطان عبد المجيد منصب «الأمير الكبير» وقسّم مقاطعات

١ — Idem; p. 121. et; Lammens, op. cit., T. II. pp, 171, 173.

٢ — عمر باشا هو من أصل نمساوي كان قد انضمّ الى الجيش التركي لمحاربة ابراهيم باشا في سورية، فكان أول رجل عثماني يتولّى هذا المنصب في لبنان.

٣ — يوسف السودا، تاريخ لبنان الحضاري، طبعة ثانية، ١٩٧٩، ص /٢٠٣/.

٤ — المرجع السابق، ص /٢٠٤ — ٢٠٧/، ونضيف بملاحظة دقيقة الى شكل التصريح الانكليزي وخاصة أمام كلمة: «اتصل بنا أن» الواردة في التقرير المذكور، لنحلّ في غرابة السياسة الانكليزية.

الجبل اللبناني الى قائمقاميتين، يفصل بينهما طريق (بيروت دمشق)[1] : جنوبية عليها قائمقام درزي، وشمالية عليها قائمقام ماروني)، يعيّنان من قبل والي صيدا المقيم في بيروت ويكونان مسؤولين أمامه، وقد اعتبر القنصل الفرنسي «بوريه» هذا المشروع بأنه من مبتكرات الباب العالي حيث قال: «ليس نظام القائمقاميتين من مصدر انكليزي ولا مصدر نمساوي، بل ولد في سورية في مجلس السرعسكر باشا، وعرضه الباب العالي على سبيل التجربة، فقبل كما هو من الدول العظمى مما حدا بالوزير العثماني رفعت باشا أن يقول: «التقسيم هو تنظيم للحرب الأهلية في لبنان. وكان أن أيّدت بريطانيا وفرنسا النظام الجديد للبنان[2]، فأمر الباب العالي بتنفيذه في أول كانون الثاني ١٨٤٣، وعيّن أسعد باشا الأمير حيدر أبي اللمع «قائمقاماً على النصارى كما أطلق سراح أحمد أرسلان من السجن وعيّنه قائمقاماً على الدروز».

عرف لبنان فترة هدوء نسبي لم تدم طويلاً بسبب تنافس القائمقامين وضعف ادارتهم وتعاظم الدسائس التركية التي كانت تفرّق بين الجميع، وساد الحذر الشديد الذي يهدّد باندلاع الفتن الطائفية التي ترجمت فعلاً بأحداث دامية في عدة قرى من أنحاء جبل الشوف ومحيطه. وكان الجنود العثمانيون يغذّون هذه النّعرات، وبينما الحرب الأهلية تفتك بأهل البلاد، قدم وزير خارجية الدولة العثمانية «شكيب أفندي الى لبنان بإيعاز من الدول الأوروبية لمعالجة القضية اللبنانية ومفوضاً بترتيب أمور لبنان» وإيجاد حلّ سريع لها. فأنشأ شكيب أفندي مجلساً إدارياً الى جانب كلّ قائمقام، ووضع لوائح بالضرائب المتوجبة على كل مقاطعة وقرية، وكلّف المقاطعجية الذين تحولوا الى جباة، بتنفيذ الجباية، بعد أن كان قد ألغى خط شريف كلخانة نظام الالتزام، وهكذا تحولوا بالتالي الى شبه موظفين إداريين، ينفذون الأوامر. وعرف النظام الجديد للبنان «بنظام شكيب أفندي».

وأوضح الباب العالي أن لا رجوع عن نظام القائمقاميتين فقال «شكيب أفندي»: ان البلاد يجب أن تخضع للاحتلال العثماني، وتجرّد من السلاح، وأن يعوّض على

١ — جواد بولس، المرجع السابق، ص / ٣٨٦ /.

٢ — Joseph Hajjar, l'Europe et les destinées du proche Orient, (1815 - 1848), 1970, p. 539.

النصارى بجزء من خسائرهم، وكذلك طلب من قناصل الدول الأوروبية أن يكفّوا عن التحرّش في الشؤون اللبنانية. وجعل شكيب أفندي القائمقاميتين مرتبطتين بوالي صيدا، ويكون لكلّ قائمقامية مجلس يرئسه القائمقام مؤلف من نائب القائمقام، وقاضي ومستشار عن كل من الطوائف الخمس: السنّة، الموارنة، الدروز، الروم الأرثوذكس، الروم الكاثوليك، وأضيف مستشار للشيعة في المجلس، وكان للمجلس مهمتان الأولى مالية والثانية قضائية.

وتكرّس الانقسام بظلّ هذا النظام، وتحوّلت سلطة الاقطاعيين الى يد أعضاء المجلس. وتعكّرت فترة الهدوء النسبي. فنشبت حوادث أهلية بين الموارنة والدروز عام ١٨٤٥.

وكان للخط الهمايوني الذي أصدره السلطان العثماني بعد حرب القرم سنة ١٨٥٦، والذي اعترف بالمساواة الكاملة بين جميع الأديان في الأمبراطورية العثمانية في شؤون الضرائب والقضاء والحقوق والواجبات المدنية، تأثير كبير على المسلمين في الأمبراطورية ولا سيّما في مناطق سوريا ولبنان، حيث منح النصارى حقاً قانونياً مطلقاً في المساواة مع المسلمين.

وبفضل الإصلاحات التي أوجدها السلطان محمود الثاني لشؤون الطوائف غير الاسلامية في إطار توازن سياسي في الدولة العثمانية من خلال نظام الطائفة الدينية (الملة) اعترف بحق مواطنية أفرادها في إطار الدولة ورؤساء الملة الدينيّين، ينتخبهم أبناء ملتهم شريطة أن يقترن ذلك ببراءة السلطان الذي يمنح هؤلاء الرؤساء حقّ إدارة رعاياهم في الشؤون العامة والشخصيّة. واستفاد بعض المثقفين في لبنان وسورية فأنشأوا «الجمعية العلمية السورية في بيروت عام ١٨٥٧، فكانت أول جمعية يشترك فيها أعضاء من أهل الدينين. ومنحت الدولة الأديرة المسيحية في ولاية سوريا ولبنان امتيازات خاصة بها، بالإضافة الى منح الطوائف حق التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضو أو أكثر، «وفي مجالس تمييز الألوية ثلاثة أعضاء، وفي ديوان تمييز الولاية ثلاثة أعضاء أيضاً». ان تنظيم الملل هذا حاول أن يحدّ من الخصومات المذهبية وأن يعطي الملل مجالاً من الحرية والاستقلالية الذاتية ضمن إطار الدولة ومؤسساتها وقوانينها بشكل

متوازن ، وهذا التدبير كان بمثابة قطع الطريق على تدخل الدول الأجنبية والتحكم باندلاع الفتن.

لكن هذه الإصلاحات أحدثت ردّة فعل عكسيّة عند المسلمين والاقطاعيّين الدروز الذين تخوّفوا من ثورة الفلّاحين في كسروان بقيادة بيطار من ريفون يدعى طانيوس شاهين سنة ١٨٥٧ — ١٨٥٩ ، لا سيّما وأن الثورة كانت ضدّ الاقطاعيين ومن قبل الفلّاحين الذين نادوا بجمهورية لبنانية . وكالعادة ، يتدخّل الأجانب في كل حدث وأزمة ، وإذا بالأوضاع تتفاقم وتشرف كلّ من القائمقاميتين على أحداث خطيرة وأطماع جديدة . وإذا بالأطماع الدولية تبرز بوضوح في تعقيدات المسألة الشرقية ، حيث بدأ التقهقر يدبّ في جسم الدولة العثمانية ، بسبب فساد الحكم والجيش الانكشاري ، فأخذت الدول تهتم بتأمين مصالحها الاقتصاديّة والبحرية الخاصة وتوسيع نفوذها العسكري والسياسي والاستعماري وقد ناسبتها أحداث لبنان الداخلية في صميم المسألة الشرقية . ومنذ ذلك التاريخ امتزج التأثير الدولي مع أوضاع لبنان المحليّة والخارجيّة .

ونتيجة مداخلات الدول الأوروبيّة في هذه الأوضاع ، وانغماس رجال الاقطاع في تحقيق مآربهم وزعامتهم ، وفساد الحكم التركي وافساده للأحوال العامة في مناطق السلطنة ، وقعت سنة ١٨٦٠ الإضطرابات الأهلية مجدّداً بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ لبنان الحديث (مذابح وتهجير ، ونستثني منها الأحداث المعاصرة) ، فقادت الى انهيار الإمارة الاقطاعية ونظام القائمقاميتين وفشل نظام التقسيم الذي حلّ مكانه نظام المتصرفية .

وقضى النظام البديل ، بأن يحكم لبنان المحجّم جغرافياً ، متصرّف مسيحي غير لبناني تعيّنه أسطنبول بموافقة الدول الأوروبية السبع الضامنة تنفيذ بروتوكول ١٨٦١ والمعدّل سنة ١٨٦٤ .

وفي تقييم للوضع آنذاك ألقى القنصل الفرنسي في بيروت تبعة المشاكل والأحداث الدموية على الدول التي سعت بتقسيم لبنان وقال : «لقد فشلنا في إرادة تقسيم ما لا ينقسم ... والعلاج يكون بالعودة الى التوحيد ... واعتماد مبدأ الحكم المسيحي ...» .

وخلال حرب ١٨٦٠ ، تعمّق النزاع الطائفي ، إذ كان قبل ذلك نزاعاً اقطاعياً وحزبياً (قيسي ضد يمني ، يزبكي ضد جنبلاطي ... وكان المسيحيّون والدروز معاً يقاتلون مع كلا الطرفين ضد أبناء دينهم) ، وقد أبدى الرحّالة الغربيّون اعجابهم بالعلاقات الوديّة بين الدروز والنصارى يوم زار أحدهم[1] البلاد عام ١٧٦٠ فقال : «إن الدروز يعاملون النصارى معاملة الأصدقاء ويحترمون دينهم ويصلّون في كنائس الروم الأرثوذكس والمساجد الاسلامية» . وفولني Volney الفرنسي الذي زار لبنان يصوّر لنا بدقّة واضحة هذه المظاهر بقوله : «يصحب الدروز الموارنة أحياناً الى كنائسهم ويتبرّكون بالماء المقدّس وإذا ألحّ عليهم المبشّرون فإنهم يسمحون لأنفسهم بأن يعمّدوا .

لكن ازدياد التعصّب والدسائس والمؤامرات الخارجيّة ، غيّرت من تلك التقاليد ، ولا سيّما بعد صدور فرمانات المساواة ، ممّا أثار حفيظة المسلمين وبالتالي الدروز ، تخوّفاً من تعاظم النفوذ المسيحي — الماروني المكبوت منذ قرون ...

٣ — نظام المتصرفية :

على أثر الفتنة بين الدروز والموارنة ١٨٦٠ ، صدر فرمان (مرسوم سلطاني) بتكليف فؤاد باشا وزير الخارجية العثمانية ، ومنحه صلاحيّات فوق العادة لإعادة الأمور الى حالتها الطبيعيّة واحلال الوئام في جبل لبنان وسوريا . وقد كلّف من قبل الباب العالي لإنقاذ الدولة من الاضطرابات ، وكان فؤاد باشا «حازماً محباً للإصلاح ، ملحاً بوجوب القضاء على كل استقلال داخلي في جميع انحاء السلطنة» ، فاصطدم بالكيان اللبناني ، الذي كان يتمتّع به الجبل إبّان عهد الإمارة ، وبرغبة تأييد الدول الأوروبية لامتيازات جبل لبنان[2] .

١ — Le Marquis de Nouitel, envoyé de Louis XIV, et, Le Conte de la Roque etc...

٢ — P. Noujaim, op. cit., p. 418.

درست اللجنة الدولية[1] عام ١٨٦١ نظام لبنان القديم الذي أقرّته الدول عام ١٨٤٢ و١٨٤٥ ، فتقدّم المندوب العثماني (فؤاد باشا) بمشروع لتعزيز سلطة السلطان في لبنان ، واقترح المندوب البريطاني جعل لبنان وسورية امارة عثمانية واحدة يرأسها فؤاد باشا نفسه ، فقامت معارضة شديدة من جانب اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم .

وفي هذا الصدد ورد في أرشيف وزارة الحربية الفرنسية ووزارة الخارجية مشروعان :

الأول : حماية رؤوس الأموال الفرنسية في سورية وإعادة النظام والأمن الى جبل لبنان لإنقاذ موسم الحرير ، وإعادة بناء « الحلاّلات » التي تهدّمت وتأمين اليد العاملة لها .

الثاني : خلق « دولة عربية » تابعة لفرنسا بين الأناضول ومصر واقترح لرئاستها الأمير عبد القادر الجزائري المقيم آنذاك في دمشق ، وقد عارضت بريطانيا المشروع الثاني .

تقلّص المشروع الفرنسي الكبير الى مشروع مصغّر هو « انشاء دولة مسيحية » في جبل لبنان وقد عارضته بريطانيا ، واتّخذ شكل تسوية للمحافظة على الأمبراطورية العثمانية . وأخيراً أقرّت اللجنة الدولية المذكورة من سفراء الدول المعتمدة في الآستانة ، اليوم التاسع من حزيران ١٨٦١ ، جعل لبنان « متصرفيّة ممتازة يتولّى ادارتها متصرّف مسيحي من رعايا السلطان ، يتصل مباشرة بالباب العالي ، ويمكن عزله ، وتعهد إليه صلاحيات اجرائيّة تمكّنه من الاشراف التام على المتصرفية في جبل لبنان .

وقسّم البروتوكول الجبل الى ست مديريّات (وحدات ادارية) لكل مديرية مجلس ادارة مؤلّف من ثلاثة أعضاء الى ستة يمثّلون عناصر الشعب ومصالح الأملاك في

---

١ — تألّفت اللجنة الدولية برئاسة فؤاد باشا التركي وعضوية مندوبي الدول الأوروبية وهم : الانكليزي Dufferin ، والفرنسي Béclard ، والروسي De Novikov والنمساوي Weck Beeker ، والبروسي De Rehfuss
(P. Noujaim, op. cit., p. 386)

أسد رستم ، المرجع نفسه ، ص ٣٥.
P. Noujaim, op. cit., p. 426.

المديريّة ، وتقسم المديريّات الى نواح ، والنواحي الى قرى . يعيّن في النواحي قضاء ... وعلى المتصرّف اقرار الراحة وانفاذ القوانين ، وتحتفظ دولة السلطنة بحقها في جباية الأموال الأميرية . واتخذ الشكل الجديد للنظام نصوص بروتوكول ١٨٦١ ، قاعدة له وقد أكّد الصدر الأعظم علي باشا على ما يلي :

١ — يتمتّع المتصرّف بلقب مشير ، ومقرّه دير القمر .

٢ — يفوّض المتصرف بتعيين موظفي حكومته .

٣ — تأليف مجلس مختلط في بيروت للنظر في الدعاوى التي تنشأ بين اللبنانيين والأجانب .

٤ — ينشىء الباب العالي مخفراً على طريق (الشام — بيروت) في المكان الذي يراه مناسباً للمحافظة عليه وابقائه سراً .

٥ — يجوز للمتصرّف جمع السلاح في الوقت الذي يراه مناسباً[1] .

وتسلخ عن الأرض اللبنانية مناطق البقاع ووادي التيم ومرجعيون وبيروت . وتفرّد النظام الأساسي لمتصرفية جبل لبنان عن بقية ولايات الدولة العثمانية بما يلي :

١ — ضرورة كون المتصرّف مسيحياً .

٢ — وجود درك لبناني .

٣ — الاستقلاليّة المالية للمتصرفية .

٤ — ضمان الدول الكبرى وأخذ رأيها في تعيين المتصرف[2] .

كما تضمّن النظام تعبيراً واضحاً : الغاء امتيازات الاقطاعيين ، وهو تاريخ يحدّد نهاية الحقوق الاقطاعيّة في شؤون ادارة لبنان . واتخذ النظام الجديد التعيين للوظائف الإدارية من قبل المتصرف على أساس طائفي ... ولعب الإكليروس الماروني دوراً مهماً على صعيد الطائفة وشؤونها المحلية والدولية ... فكان لهم وزن كبير في تعيين كبار

---

١ — أسد رستم ، المرجع السابق ، ص/ ٣٩/.

٢ — Georges Samné, op. cir., pp. 215 - 216.
P. Noujaim, op. cit., p. 440.

الموظّفين وانتخاب مجلس الادارة ، وكوسيلة من وسائل التأثير وممارسة النفوذ على المتصرف.

وهكذا أنشئت متصرفية جبل لبنان بضمان الدول الأوروبية العظمى : فرنسا ، انكلترا ، بروسيا ، النمسا ، وبحدود تمتدّ من أعلى السلسلة الغربية الى البحر باستثناء مدينة بيروت ومنطقتي طرابلس وصيدا.

وكان للمتصرفية منجزات مختلفة منها ، إنها أسّست الإدارة اللبنانية ودرّبت طبقة من الموظّفين استطاعت فيما بعد أن تتسلّم الحكم في البلاد ، وكان أن تأصّلت تقاليد الإدارة اللبنانية وقويت جذورها.

وظهرت المطامح السياسيّة لدى اللبنانيين الذين نقموا على كون المتصرف غير لبناني ، وندّدوا بتصغير لبنان وأصرّوا على أن يشمل البقاع ومنطقتي طرابلس وصيدا ، وقد عبّرت مطالب جمعية الاتحاد اللبناني في أوائل نيسان ١٩١٠ ، أثناء مفاوضة أحد رجالات الدولة التركية ، عن نقاط مهمة بهذا الشأن منها :

— فتح الموانىء اللبنانية للبواخر الأجنبية.

— إنشاء محاكم للتجارة في جبل لبنان.

— إعادة سهل البقاع الى لبنان لأنّه من أملاكه الطبيعيّة ، وإعادة الأراضي الواسعة التي أخذت من شمالي لبنان وجنوبه حتى تعود حدوده الى أصلها [1] . وينقل لنا الدكتور كمال الصليبي آراء طبقة من المفكّرين اللبنانيين القائلين : «لكي يتاح للبنان أن يلعب في سوريا الدور العظيم الذي أسنده اليه التاريخ والطبيعة اقتضى القيام باصلاح عملي جبّار ، أوله اعادة النظر في حدوده . فنظاما ١٨٦١ و١٨٦٤ شوّها لبنان وسلباه بعضاً من أخصب مناطقه . وفوق ذلك كلّه ، حرماه من مرفأ بيروت الكبير ، بوضع هذا المرفأ تحت إدارة الباب العالي المباشرة... وكان أن وجد اللبنانيّون أنفسهم ، وهم المكثارون ، في رقعة صغيرة تضيق بهم... فكل سنة تمرّ تشهد هجرة آلاف اللبنانيين من سكّان الجبل. إذا ، هنالك مشاكل خطرة تستدعي إيجاد حلول لها ، والإصلاح

١ — تأسّست هذه الجمعية من اللبنانيين المهاجرين الى مصر ، يوم الأحد ١٩ آب ١٩٠٩ . أنظر : بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٠ ، ص/ ٨٠— ٨٢/.

السياسي أصبح ضرورة قصوى... وقد أصبح هذا الإصلاح ملحاً ، خصوصاً أن جماعة «تركيا الفتاة» تسعى الى الغاء استقلال لبنان الذاتي... فمن الضرورة أن تتدخّل الدول التي ضمنت هذا الاستقلال للدفاع عنه وتنفيذ هذا الاصلاح. لكن المشكلة الأهم والأكثر إلحاحاً هي توسيع حدود لبنان... فقوى الوطن اللبناني الفاعلة الحيّة يجب الإفادة منها في سوريا نفسها... ومن أجل هذا ، يجب أن تضمّ أولاً بيروت والبقاع الخصب ، ثم بلاد بشارة وعكار والحولة ومرجعيون الى أراضي المتصرفية» [1] . لأن الأرض التي اقتطعت منه في ذلك التاريخ ، تتضمّن الجبال التي كانت «مساكن الموارنة من جبال الجليل الى جبال انطاكية وتوافرت غزواتهم في السهول» [2] ، وبالتالي هي من أصل حقّه القديم [3] .

على أن الدروز لم يشاركوا الوطنيين الموارنة حماستهم هذه ، فقد قنعوا بعد عام ١٨٦١ بوضعهم كأقليّة وتعاونوا مع المتصرفية . وتمسّك الوطنيّون الموارنة بلبنان كملجأ للنصارى كتب عنه العديد من المؤلّفين الأوروبيين ، كالأب «هنري لامنس اليسوعي» الذي درّس التاريخ في جامعة القديس يوسف في بيروت ، وتقدّم بنظرية «لبنان الملجأ» ، واللبناني المحامي «بول نجيم» الذي وضع كتاباً عن القضية اللبنانية [4] .

١ — الصليبي ، المرجع السابق ، ص/ ١٥٧/.

٢ — المطران يوسف الدبس ، الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل ، تاريخ سوريا ، الجزء التاسع ، ص/ ٣٤ ، ٣٥).

٣ — كان اللبنانيّون يعتبرون أن الأرض اللبنانية تشمل : البقاع الغربي ومعلّقة زحلة والكرك وقضاء مرجعيون وبالإجمال كلّ ما هو واقع في سفح الجبل من الشرق والجنوب الشرقي لغاية مجرى نهر الليطاني وقسماً كبيراً من الأراضي الواقعة في البرّ الثاني من النهر ، هذا غير ما أخذ منه من جهات أخرى عند وضع النظام أو بعده ، كمزرعة العرب التي كانت بلدة لبنانية... وأراضي ضهر الأحمر ووادي خالد الشرقي والغربي... والميه وميه... فكل ذلك كان ملكاً للبنان... فضلاً عن مدينة بيروت . وإذا رجعنا الى تكوين الجبل الطبيعي نجد أن تلك الأراضي هي جزء من الجبل بطبيعتها... فللبنان عليها كل تلك الحقوق... وهو الحقّ الطبيعي المؤسس على حقّه في الحياة. نقلاً عن : اسكندر عمّون ، المرجع المذكور سابقاً ، ص/ ١١/. راجع أيضاً بهذا المعنى رسالته الى مجلس ادارة لبنان والحكّام والشعب اللبناني ، مطبعة الأخبار ، ٢٥ كانون الأول ١٩١٢. ص/ ١٠/.

٤ — P. Noujaim ou (Mr. Jouplain) op. cit., p. 446.

ولم يرحّب الدروز بهذه الفكرة، وكانوا يوجسون خيفة من هؤلاء الوطنيين خصوصاً بسبب ما ذهبوا اليه بمطامع فرنسا التوسعية في البلاد والمنطقة. والواقع أن موارنة لبنان اعترفوا بعلاقتهم مع فرنسا ولقّبوا فرنسا بـ «الأم الحنون»، كما أن البطريرك الماروني في عام ١٩١٥ أثناء الحرب العالمية الأولى[1]، أعلن اعترافه بما لفرنسا على شعبه من دين، وابتهج النصارى اللبنانيّون عام ١٩١٨ عندما احتلت فرنسا لبنان وقد حقّقت طموحاتهم بتوسيع حدوده الحاضرة سنة ١٩٢٠، تاريخ قيام دولة لبنان الكبير[2].

٤ — لبنان والحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨:

إن المتصرّف المسيحي المعيّن من قبل الدولة العثمانيّة وموافقة الدول الأوروبية وفق البروتوكول الأساسي لجبل لبنان، كان صورة لحكم ذاتي، ورمزاً لحكم عثماني غير مباشر دام ٥٤ سنة، وما لبث أن تحوّل الى حكم تركي مباشر بدخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا، حيث أغلقت المضايق (الأسطول العثماني ضدّ الأسطول الروسي في البحر الأسود) وقطعت العلاقات مع الحلفاء[3].

ألغت تركيا امتيازات لبنان، وأقالت المتصرّف الثامن أوهنس باشا المسيحي وعيّنت علي منيف بك المسلم مكانه، خارقة بذلك النظام «الدولي» لمتصرفية جبل لبنان، وقد ذهبت تلك الدولة الى أبعد من ذلك، إذ أرادت من الموارنة الاعتراف بسلطتها المباشرة عليها بإجبار البطريرك الماروني على أن يطلب الفرمان من والي بيروت وأن يحضر شخصياً الى دمشق لمقابلة قائد الفيلق التركي الرّابع جمال باشا[4]. لكن البطريرك لم يذهب الى

١ — Georges Samné, op. cit., p. 214.

٢ — الصليبي، المرجع السابق، ص/ ١٥٨/.

٣ — الأب ابراهيم حرفوش، دلائل العناية الصمدانية في ترجمة معلي منار الطائفة المارونية. مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية ١٩٣٤، ص /٥٢٦/.

٤ — اتّخذ جمال باشا تدابير تعسّفيّة بحق المسيحيين واللبنانيين ومنها:
— نفى عدداً من أعضاء مجلس الإدارة وعزل جميع أعضائه وعيّن جدداً مكانهم.
— أمر بإغلاق الأديرة، وقد جرت بينه وبين البطريرك الياس الحويك مراسلات وزيارات قسرية تتضمّن =

دمشق متذرّعاً بسوء صحّته وشيخوخته، واكتفى بإرسال أربعة مطارنة نيابة عنه، ومع مبلغ خمسماية ليرة تركية لجنود جمال باشا. ومع اصرار هذا الأخير على احضار البطريرك الى دمشق، تدخّل احد المسيحيين المتنفّذين لدى جمال، نجيب باشا ملحمة وأقنع البطريرك الحويك بزيارة جمال باشا لدى زيارته «لعاليه» حيث أقام مجلساً عرفياً. وبالفعل تمّت الزيارة كما رسمها نجيب باشا ملحمة واستقبل البطريرك بالترحاب. فوجّه جمال باشا بلاغاً الى سكّان الجبل ضمّنه محافظته على «أحكام النظامات التي أنعمت بها الدولة»، على أن تعلّق هذه النظامات الى حين انتهاء الحكم العرفي، وأن القوات التركية في لبنان إنما هي «للمحافظة على شرف الأهالي وحياتهم وأموالهم» ضد الهجمات الخارجية، كما دعا البلاغ اللبنانيين الى الالتحاق بالجيش العثماني في حال تعرّض سواحل لبنان وبيروت للخطر، ولم يغفل البلاغ عن تحذير اللبنانيين من الإخلال بالأمن إذ سيكون الديوان العرفي في عاليه على استعداد «لاستقبال كل من أبدى أقل مظهر من مظاهر المحبّة والعطف نحو أعدائنا الفرنسيين والإنكليز والروس».

إن لبنان ككلّ قد تعرّض خلال الحرب الى أسوأ ما عرفه تاريخه من اضطهاد وظلم. ففي السياسة: نكّل جمال باشا بالوطنيين: اعتقال ونفي وتشريد وحكم اعدام بواسطة المجلس العرفي في عاليه، وفي الحياة الاجتماعيّة انتشرت الأمراض والأوبئة التي فتكت بالناس فذهب آلاف السكّان بسبب الجوع. وقد رافق ذلك سياسة البطش والإرهاب فكان لا بدّ من الثورة على أثر اعدام الوطنيين يوم ٦ أيّار ١٩١٦ في كل من بيروت ودمشق[1]. وفي الاقتصاد تقهقرت الأوضاع وساد الفقر بسبب الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء وظهور الاحتكارات، وارتفاع الأسعار وانتشار الجراد،

= الكثير من حقيقة نوايا الحاكم التركي غير الحسنة تجاه الحبر الماروني، وبالتالي رغبة الحكام المسلمين منذ أيّام الخلفاء في معاملة المسيحيين بالقهر والاخضاع كلّما سنحت الفرصة. وقد أظهرت جوابات البطريرك حكمته ودبلوماسيّته التي حفظت مكانة البطريركيّة المارونيّة وما تمثّل من قيم ورسالة وكرامة. (راجع المراسلات في الأب حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٥٦٤ — ٥٧٨/.

١ — نفّذ جمال باشا حكم الاعدام بقافلة أولى من الوطنيين في ساحة البرج ببيروت في ٢١ آب ١٩١٥، وبقافلة ثانية سنة ١٩١٦، تولّدت على أثرها موجة من الحقد اللبناني والعربي. لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٩٧٠ وما يليها).

وندرة الحاجيات والمواد وتغيير النقد ... [2] . ونشطت اتصالات الحلفاء بسكّان لبنان وسوريا التي كلّفت الوطنيين فيها حياتهم ، كما برزت المطامع السياسيّة لدى الحلفاء ، ففي ١٤ كانون الأول ١٩١٥ ، أشار السير «هنري مكماهون» في رسالته الثالثة التي بعث بها الى الشريف «حسين» الى أن قضية ولايتي حلب وبيروت تحتاج الى نظرة دقيقة ذلك لأن «مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها» . فأجاب الشريف حسين في رسالة مؤرّخة في أول كانون الثاني ١٩١٦ ، أنه في الوقت الحاضر سيعمل على مجانبة ما من شأنه أن يؤثر على التحالف القائم بين بريطانيا وفرنسا» عند أول فرصة تضع فيها الحروب اوزارها ، سنطالبكم بما نغضّ الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها» وأضاف قوله «أن البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ... وعليه يستحيل امكان أيّ تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبراً من أراضي تلك الجهات» .

بقي الشقّ الثاني من القضية وهو حصّة كل من بريطانيا العظمى وفرنسا من غنائم الحرب عندما تنهزم تركيا ، ليس من جهة تسوية المسألة الشرقية وحسب ، إنّما من حيث الإبقاء على توازن القوى في البحر الأبيض المتوسّط وفي منطقة الشرق الأوسط أيضاً . والواقع أنه عندما تمّ الاتفاق على اتفاقية اسطنبول وافقت روسيا على الاعتراف ، بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا في الممتلكات العثمانية الآسيوية [1] .

وكانت سنة ١٩١٨ ، للحلفاء سنة انتصارات باهرة في منطقة الشرق الأوسط انتهت بالقضاء على الأمبراطورية العثمانية . ففي هجوم صاعق اجتاحت جيوش اللّنبي سوريا ولبنان وراحت تلاحق ما تبقّى من فلول الجيش الرّابع العثماني المنهزمة شمالاً . واحتلّت هذه الجيوش دمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الأول وفي الثامن منه دخلت بيروت . ولكن هذا الانتصار العسكري كان بداية ورطة محرجة وفوضى سياسية لا مثيل لها تناولت العلاقات الدبلوماسية المتداخلة المتشابكة بين بريطانيا والعرب من جهة ، وبين الحلفاء أنفسهم من جهة ثانية . ومن سوء الطالع أن هذه الورطة السياسيّة

---

١ — Zeine Zeine, Arabe- Turkish Relations and the emergance of Arab Nationabirn, Beirut, 1958, pp. 12 9 - 132.

٢ — خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٥١ — ٥٤.

أسفرت عن أرث ثقيل من الريبة والشكّ ، في العلاقات بين العرب والغرب طوال الخمسين سنة الماضية [1] .

فما أن دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا ، وأعلنت الحرب على دول الحلفاء ، حتى بدأ الحلفاء يفكّرون في اقتسام أراضي وممتلكات الأمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) فيما بينهم ، فكانت روسيا تطمع في الاستيلاء على اسطنبول والمضايق التركية وشبه جزيرة القرم وبسّارابية ومناطق القوقاز ... كما كانت فرنسا تطمع بالاستيلاء على سورية ولبنان ليكون لها منطقة نفوذ في الشرق .

أما بريطانيا التي كانت قد استولت على مصر وجنوب الجزيرة العربية ، فقد كانت تريد أن تكسب ودّ العرب وتشجّعهم للثورة ضدّ العثمانيين كي تضمن النفوذ في المملكة العربية ، ولتضمن السيطرة على العراق والأردن وفلسطين التي وعدت اليهود بجعلها الوطن القومي اليهودي . وذلك على حساب حق العرب في الحرية والاستقلال بالرغم من تناقض وعودها مع الشريف حسين ، ولذلك أجرت مع فرنسا محادثات (سايكس — بيكو) واعطت اليهود وعد بلفور [2] .

---

١ — جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦٧.

٢ — بلفور هو وزير الخارجية في الحكومة البريطانية الذي صرّح بإعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين في ٢ / ١١ / ١٩١٧ / (خيرية قاسمية ، المرجع السابق ص /٣٩ — ٤١ /.

القسم الثاني

الأوضاع السياسية في لبنان ١٩١٨ ـــ ١٩٢٠

«... والأهمية الاستراتيجية لبلد ما، من هذه الناحية، هي قيمة هذا البلد ونفعه بالنسبة الى أغراض الدول العظمى ومطامعها الاقتصادية والسياسية والعسكرية. وفي نظرنا أن البلد الذي له مثل هذه القيمة الاستراتيجيّة، يظلّ استقلاله مرتهناً بمشيئة تلك الدول».

زين زين

«الصراع الدولي في الشرق الأوسط
وولادة دولتي سوريا ولبنان. ص ٢٠»

الفصل الأول

السيطرة الأوروبية

الحلفاء في لبنان وسوريا :

قبل أن ينسحب العثمانيّون من بيروت في الثلاثين من أيلول ١٩١٨ ، عهد واليها التركي اسماعيل حقّي أمور الحكومة فيها لرئيس البلدية عمر الدّاعوق وذلك في اليوم الأول من تشرين الأول ١٩١٨ . وفي اليوم ذاته تلقّى عمر الدّاعوق برقية من الأمير سعيد الجزائري (رئيس الحكومة المؤقت في دمشق) أعلمه فيها أن حكومة عربية هاشمية قد تأسّست في دمشق بعد انسحاب الأتراك طالباً إليه أن يشكّل ادارة عربية في بيروت باسم تلك الحكومة الهاشمية التي تأسّست في دمشق . ويقول الدكتور زين زين «لدينا روايتان متناقضتان حول ما جرى من أحداث في أعقاب هذا الأمر . تقول رواية أن الأمير فيصل أرسل شكري باشا الأيوبي الى بيروت ليشكّل حكومة عربية في لبنان وذلك بإلحاح في النصح من قبل لورنس بأن تشكّل هذه الحكومة في بيروت ، «المدينة السورية الثانية» باسم الأمير فيصل . وتقول رواية أخرى ان أعيان مدينة بيروت بعثوا الى القيادة العربية العليا» في دمشق طلبوا فيها أن ترسل دمشق إليهم ممثلاً للشريف حسين لينظم أمر الحكومة العربية في المدينة . فبعث نوري باشا السعيد ببرقية جوابية طلب فيها اليهم أن يرفعوا العلم العربي (بعد أن وصف شكله وألوانه) على جميع المباني الحكومية ، وأن يترقبوا وصول قوة عسكرية عربية لمساعدتهم في مهمتهم هذه . وعندما أخبر فيصل عن الوضع في بيروت وافق على إرسال شكري باشا فوراً على رأس قوة

عسكرية رمزية قوامها مئة جندي عربي ، ومعهم ثماني بنادق رشّاشة وعدد من الأعلام الحجازية . غادرت هذه القوة مدينة دمشق في الثاني من شهر تشرين الأول ووصلت بيروت في الرابع منه بعد سفرة عسيرة على ظهور الجياد لأن الألمان كانوا قد ضربوا الخطّ الحديدي بين المدينتين.

أمّا الجنرال اللنبي فبعث بأحد موظّفي الاستخبارات مع الأركان الى بيروت كي يعزلوا شكري باشا من منصبه وأن ينزلوا العلم الحجازي عن المباني الحكومية وأن يعطوا التأكيدات للقائد البحري الفرنسي الذي كانت بواخره الحربية تنتظر خارج الميناء إن بإمكانه انزال جيوشه البحرية الى البر. واقتنع فيصل ، في الوقت ذاته ، أن يرسل الى ضابط ارتباطه في بيروت الأوامر بالرجوع فوراً الى دمشق تحاشياً للاصطدام مع الجيش الفرنسي. وفي هذه الأثناء كان الوضع في بيروت ولبنان على شيء من الفوضى والاضطراب الأمر الذي أقلق خواطر المسيحيين والمسلمين على السواء. وكان جزء كبير من السكّان قد هلك جوعاً في أثناء السنتين الأخيرتين من سنيّ الحرب. وقد ذكر شاهد عيان أنه رأى في شوارع بيروت في مطلع تشرين الأول أبشع منظر من مناظر المجاعة أولاداً صغاراً لم يبق منهم سوى هياكل عظمية يموتون في مجارير المياه ، على جوانب الطرقات[1] .

أما من الجهة السياسية فقد كانت الشقة بين رغائب المسلمين ورغائب أغلبية النصارى من الموارنة بعيدة كل البعد فيما يتعلّق بمستقبل لبنان. فإن لبنان ١٩٠٨ الذي كان يعرف « بجبل لبنان » كان يختلف كل الاختلاف حجماً وسكاناً عن « لبنان الكبير » . منذ الحرب الأهلية التي وقعت سنة ١٨٦٠ في لبنان راح الباب العالي يعيد تنظيم الإدارات في الولايات العربية ، فقسّمت سوريا الجغرافيّة الى ولايتين : ولاية حلب وولاية الشام التي لم تعد تشمل لبنان ، بحسب بروتوكول سنة ١٨٦١ الذي رفعه سفراء الدول الخمس الى الباب العالي ، والذي قبل به الباب العالي كان قد فصله عن سوريا وجعله سنجقاً مستقلاً يحكمه متصرف. وكان هذا « البروتوكول » يتضمن « التنظيمات الدستورية » التي صدرت في ٦ أيلول ١٨٦٤ ، وعدلت في ٢٨ تموز سنة ١٨٦٨ . وبعد

١ — زين زين المرجع السابق ص / ٨٢ /.

حوادث سنة ١٨٦٠ المفجعة لم يكف الموارنة في لبنان عن المطالبة بالانفصال التام عن الأمبراطورية العثمانية وعن المطالبة بإقامة دولة لبنان المستقلة كما أنه كان من الواضح أيضاً أن الحماية فيما يتعلّق بلبنان كانت ستأتي من جانب فرنسا التي كانت تعتبر الحامية التقليديّة للطّائفة المارونيّة والكاثوليكيّة في الشرق الأدنى[1] . أما الشعور المعادي للحكم التركي في جبل لبنان فيعود الى أسباب عدّة منها الثقافة الغربية السائدة في هذا الجبل ، والممثّل بالسياسة التي كانت تقول بها الثورة الفرنسية ، والاتصال بالعالم الخارجي عبر الأسفار الى بلدان أجنبية والاتصال الدّائم بالغرب ، ورجوع المهاجرين اللبنانيين من بلاد الاغتراب كالولايات المتحدة . ولكن أهمّ هذه الأسباب كلّها هو أن جبل لبنان كان أشبه بجزيرة غريبة في بحر السيادة التركية . ولم يكن أحد من سكّان هذا الجبل تحت ظلّ الحكم العثماني يحب أن يردّد : « الدولة دولتنا » فكانوا يرحّبون بالتحرّر يوماً من الحكم التركي[2] .

يقول التقرير الذي أعدّه الكابتن يال في ٢٦ تموز ١٩١٩ : « كان عدد النصارى في جبل لبنان يقرب ، قبل الحرب ، الـ ٣٤٥ ألف نسمة ، وكان عدد سكان لبنان الكبير ٥١٩ ألف نسمة . وإذا اعتبرنا أن عدد سكان سوريا يبلغ المليونين ونصف المليون فإن هذا يعني أن أكثر من الخمس كانوا يطالبون بأن يكون لبنان الكبير دولة مستقلة لا تربطها بداخلية البلاد أية روابط سياسية . من جهة ثانية كان مسلمو بيروت وصور وصيدا ، ومناطق لبنانية أخرى يوضحون للكابتن يال أنهم يوافقون على منح سوريا استقلالها برئاسة الأمير فيصل وأنهم مصمّمون على مساندة الحكومة العربية الحديثة العهد...

« لقد كان هذا الاستطراد ضرورياً كي نشير الى أن السياسة التي أتبعها فيصل ولورنس كانت سياسة قصيرة النظر ، وإلى أنه كان خطأ نفسياً وسياسياً أن يوفد شكري باشا الأيوبي لتشكيل « حكومة عربية هاشمية » في جبل لبنان باسم ملك الحجاز ، متجاهلين تركيب لبنان وتاريخه الإنساني . فإن هذه الخطوة لم تثر شكوك فرنسا في نوايا فيصل وحسب ، بل إنّها أثارت قلقاً شديداً في نفوس الفرنسيين فيما يتعلّق بنوايا بريطانيا في لبنان . والواقع أن الأمير سعيد الجزائري كان أول رجل بعث يوم الثلاثين من

١ — « لم يعد من أمل إلّا بالقوة العظمى » أي فرنسا حيث لا زلنا حتّى الأمس القريب نردّد ذلك.
٢ — زين زين ، المرجع السابق ، ص/ ٨٣/.

شهر أيلول ببرقية الى غبطة بطريرك الموارنة ، الياس بطرس الحويك ، يطلب فيها اليه أن يشكّل حكومة عربية في جبل لبنان . غير أن البطريرك لم يجب على البرقية بل لبث يترقب تطوّر الأحداث . وكانت هذه البرقية مماثلة للبرقية التي أرسلت الى السيّد عمر الدّاعوق ، رئيس بلدية بيروت » .

وقد ذكرنا آنفاً « أن السيد عمر الدّاعوق شكّل في اليوم الأول من شهر تشرين الأول حكومة عربية في بيروت . أما في جبل لبنان فقد سلّم المتصرف ممتاز بك ، حكومة الجبل قبل مغادرته البلاد الى رئيس بلدية بعبدا ، حبيب فيّاض ، ذلك لأن بعبدا كانت مقر حكومة لبنان آنذاك . أمّا الموظفون الرسميّون في الحكومة فإنهم انتخبوا مالك شهاب ، وعادل أرسلان لتسلّم رئاسة الحكومة المؤقّتة في لبنان وعندما أطلع عادل أرسلان البطريرك الماروني على تشكيل الحكومة أرسل البطريرك برقية الى مالك شهاب طلب فيها اليه أن يستمر في تصريف شؤون الحكومة « بحزم وحكمة » ، وأن ينصح أهالي الجبل بواسطة موظّفيه الإداريين الامتناع عن الاتصال بأحد فما يتعلّق بشؤون البلاد « إلى أن يتاح لنا أن نتبادل الرأي معهم بهذا الشأن » [1] . كانت برقية البطريرك مؤرّخة في ٥ تشرين الأول ١٩١٨ . في هذه الأثناء كان شكري باشا قد وفد من دمشق مدّعياً أنه قد عيّن والياً على بيروت من قبل الملك حسين ، ملك الحجاز . وكانت الأعلام الحجازية ترفرف على سطوح المباني الحكوميّة الرئيسيّة في بيروت . وبعد مداولات طويلة مع بعض أعيان المدينة من المسلمين توجّه شكري باشا الى بعبدا ، وفي حفلة رسمية جرت يوم السّابع من تشرين الأول عيّن حبيب باشا السعد رئيساً للحكومة الجديدة في لبنان باسم الملك حسين وكانت الحكومة هذه تتألّف من اعضاء مجلس الإدارة السابق الذين ثبّتهم شكري باشا في مراكزهم . ورفع العلم العربي فوق سرايا بعبدا .

في تلك الحفلة أقسم حبيب باشا السعد يمين الولاء والإخلاص لحكومة فيصل العربية في دمشق وللملك حسين . بعد ذلك بعث حبيب باشا برسالة الى البطريرك يخبره فيها بما جرى ووقّع الرسالة هكذا : « حاكم لبنان العام » . غير أن الوضع كان متقلقلاً بحيث أنه كان عرضة للتغيير المستمر . وقبل « مسرحية بعبدا » بيوم واحد ، كانت سفن

١ — حرفوش ، المرجع السابق ، ص ٥٨٤ .

حربية فرنسية تابعة للأسطول الفرنسي بقيادة نائب الأميرال « فارني » قد دخلت ميناء بيروت قادمة من بور سعيد . وبعد يومين من ذلك الحين وصلت سفن حربية بريطانية قدمت من حيفا . وفي الثامن من الشهر أيضاً وصلت الفرقة العسكرية البريطانية السابعة الى بيروت ، واستقبلها الأهالي بمظاهر الفرحة والابتهاج وسلموا للبريطانيين قرابة ست مئة أسير تركي . وفي اليوم ذاته وصل رجال الاستخبارات البريطانية من دمشق وأخطروا شكري باشا أن مهمته قد انتهت . وقد احتج على هذا العمل بلهجة شديدة ولكنّه في آخر الأمر انكفأ الى فندقه . وفي ظلمة الليل أنزلت جميع الأعلام العربية عن مباني الحكومة [1] . وفي اليوم ذاته أقام الجنرال « بيفن » مركزاً للقيادة العامة في الفندق الرئيسي « دويتشرهوف » Deutscherhof في بيروت . وعيّن حكاماً عسكريين من الفرنسيين في كلّ من بيروت وصيدا وصور . أمّا الكولونيل « دي بياباب » Piepape قائد الفرقة الفرنسية في فلسطين وسوريا فقد عيّن في هذا المركز الخطير في بيروت .

الفرنسيّون الذين كان قد ساءهم تصرّف السلطات العسكرية والموظّفين السياسيين في دمشق ذلك التصرّف الذي خلق للفرنسيين جواً معادياً لهم ، فقد اتخذوا اجراءات فورية من شأنها أن تعزّز مركزهم السياسي في لبنان . في ٢٣ تشرين الأول قام المسيو كولوندر بزيارة لغبطة البطريرك الماروني في بكركي وتداول معه بشأن تشكيل الحكومة اللبنانية العتيدة . وتمّ الاتفاق بينهما على أن تستمرّ الإدارة ، الى حين ، باشراف مجلس الادارة كإدارة تحكم البلاد ، وعلى أن يعيّن موظّف فرنسي موقّت . وبعد يومين أعلن عن هذا الاتفاق الذي تمّ بين البطريرك والفرنسيين . وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول جرت حفلة رسمية أخرى في بعبدا . أقيمت هذه الحفلة على شرف الضيفين

١ — استمرّت قضية الاعلام العربية بين بيروت ودمشق عالقة ، ومثال على ذلك نذكر هنا رسالة غورو الى الكولونيل كوس حول موضوع انزال أو رفع الأعلام وجاء فيها :

"Votre officier de liaison nous a mal renseigné, le drapeau libanais n'a pas été officiellement arboré. J'ai invité le Colonel Djewdat Bey à remplacer sur sa maison le drapeau syrien non reconnu pour les gouvernements alliés, j'ai fait faire la même démarche près de son successeur, qui ne s'est pas encore présenté à moi. Je n'ai menacé ni l'un ni l'autre de faire descendre de force le drapeau arboré sur la délégation arabe".

Archive française des affaires étrang., dossier du Gl. Gouraud, Annexe N° 103.

الكولونيل بياباب والمسيو كولوندر . وقد حضرها اعضاء مجلس الادارة اللبناني وعلى رأسهم حبيب باشا السعد الى جانب جمهور من أعيان الطائفة المارونية . ولكنّهما كانا أكثر من « ضيفين » اذ أن الكولونيل بياباب جاء كحاكم عسكري لمنطقة « ارض العدو المحتلّة » ، التي كانت تشمل جميع الأراضي اللبنانية ، وجاء المسيو كولوندر بصفته ممثلاً للجمهورية الفرنسية « محرّرة الشعوب المظلومة » . كما أنهما جاءا لينقضا بصورة رسمية ما كان قد أنشأه شكري باشا من إقامة حكومة عربية — هاشمية — التي لم تعترف بها فرنسا . وليقولا بوضوح للبنانيين وللسوريين أن فرنسا هي السيّدة صاحبة الشأن في لبنان ، وليس الأمير فيصل ولا حكومته العربية . وألقى الحاكم العسكري الفرنسي خطبة وديّة أثنى فيها على حبيب باشا السعد ، وأعلن أنه بصفته الحاكم العسكري يعيد ولاية مجلس الإدارة اللبناني برئاسة حبيب باشا ، وهو ذاته الرجل الذي منذ أقل من شهر كان رئيساً لحكومة الجبل في عهد الأتراك ، والذي منذ ١٨ يوماً فقط أقسم يمين الولاء للحكومة الفيصلية العربية في دمشق ! ![١] .

وكان ممّا زاد في اللهيب اشعالاً ، فأثار حفيظة الفرنسيين التقارير الواردة من سوريا ، تلك التقارير التي كانت اللجنة الأميركية تبعث بها والتي تتحدّث فيها عن موقف السوريـين السلبي المعادي لفكرة انتداب فرنسا على سوريا[٢] . فقد بعث أعضاء

---

١ — زين زين ، المرجع السابق ، ص/ ٨٦/. نقلاً عن :
Butler R. Document on British Foreign N° 199. Pol. 1914 - 1939, p. 286.

٢ — كانت فرنسا لا ترغب لأي لجنة بالدخول الى البلاد من أجل التحقيق إلّا إذا شمل العراق وفلسطين كما سيشمل سوريا ... واعتقدت بأن ارسال اللجنة مؤامرة من وزارة الخارجية البريطانية للتخلّص من حقّ فرنسا في الانتداب . (خيرية قاسمية ، المرجع نفسه ، ص/ ١٢٢ /.
ونشير هنا الى المخاوف الفرنسية التي ظهرت من تبنّي المطران ربّاني لفكرة الانتداب الأميركي على سوريا نذكر منها :
"Le pasteur Rabbany m'a déclaré nettement qu'il venait en France pour travailler à ce que la conférence donne ce mandat aux Etats-Unis... Le pasteur R. A cependant l'intention de voir Fayçal pour le voir servir, avec tous les syriens dont il pourra disposer à obtenir une manifestation de l'opinion syrienne en faveur d'un mandat américain... Rabbany m'a demandé si nous accepterions qu'une commission internationale se rendre en Syrie pour organiser sous des formes que le pays rend possible une consulation nationale sur le choix du mandataire... si, par suite d'une entente de l'Angleterre et de l'Amérique cette commission était pommée pour la Syrie et nous menaçait d'évéction, nous n'aurions aucun intérêt d'éviter que le même fait s'élargisse à la mésopotamie, et à l'Anatolie".
- Arch. fr. des aff. étr.

الوفد الأميركي في العاشر من تمّوز ببرقية الى مؤتمر الصلح جاء فيها : « هناك بعض نقاط لا يتنازع في صحتّها ، منها الرغبة الشديدة في توحيد سوريا بأكملها مع فلسطين ، ونيل الاستقلال في أقرب وقت مستطاع . تعبير عنيف عن الشعور الوطني لم نكن نتوقّعه . رفض جازم لفكرة جعل البلاد مستعمرة لأية دولة ، ورفض جازم لفكرة الانتداب الفرنسي . نستثني من هذا القول الشعور الذي لمسناه لدى أحزاب لبنانية قوية تطالب بفصل لبنان فصلاً تاماً ، وبالتعاون مع فرنسا . وعليه أظهرت الصحافة الفرنسية حملة مسعورة ضد بريطانيا العظمى تتهمها بالقيام بدعاية معادية لفرنسا في سوريا . وفي ٢٦ تموز بعث الوزير البريطاني المفوّض في باريس ، السير ج . غراهام ، بتقرير الى اللورد كرزن لخّص فيه محتوى مقالين يعتبران مثالاً على الاتّهامات الفرنسية : « صدر في Bulletin de l'Asie française عدد تموز ، مقال للكاتب السياسي المعروف السيد روبر دي كاه De Caix هاجم فيه الدعاية البريطانية الموجّهة ضد فرنسا في الشرق بلهجة عنيفة واعتبر دي كاه أن الغاية التي تستهدفها هذه الدعاية هي القضاء على النفوذ الفرنسي في سوريا[١] . وتحقيقاً لهذه الغاية كما جاء على لسان الكاتب ، راح البريطانيون يشجّعون قيام الوحدة العربية في سوريا ، كما أنهم أوفدوا الأمير فيصلاً الى باريس بعد أن وضعوا لزيارته برنامجاً مبالغاً فيه . ويقول الكاتب أن بريطانيا تبرر موقفها هذا من ملك الحجاز بقطعها وعوداً له في سنة ١٩١٥ . غير أن هذه الوعود المقطوعة « للملك العرب » تتغلّب على الوعود المقطوعة لفرنسا . وأمّا السبب في ذلك فهو أنانية الإنكليز وحرصهم على منافعهم الخاصة . وقد نشرت جريدة Temps بتاريخ ذلك اليوم معظم ما جاء في مقال دي كاه ، وتصادق على كامل وجهة نظره ، كما أنّها تضيف قولها أنه من صالح البلدين المتحالفين تحالفاً وثيقاً كفرنسا وبريطانيا أن يخلصا الودّ وأن يتصارحا ... ثم أشارت جريدة الطان الى أعمال الإرسالية الأميركية في سوريا تقول انها تعتقد أن

---

١ — المرجع نفسه ، ص/ ١٢٥ /، للمزيد عن مهمة روبير دي كاه في وزارة الخارجية الفرنسية واتصالات الوفد اللبناني الثالث به ، راجع من محفوظات البطريركية المارونية :

— يوميّات المطران عبد الله خوري ، ماجريات شهري أيّار وحزيران ١٩٢٠ .

— رسائل المطران عبد الله خوري الى البطريرك الحويك : وثائق ١٧ و١٨ .

نتائج التقرير الذي تعدّه الإرسالية لن يكون في صالح الانتداب الفرنسي ، وذلك لأن وجهة نظرها هذه متأثرة بالدعاية البارعة التي قامت بها أوساط معينة في أثناء الأشهر الستة والتي كانت تستهدف النيل من فرنسا بصورة خاصة .

* * *

الفصل الثاني
لبنان والحركة الفيصليّة

أولاً : فيصل والحكم العربي :

لقد أفردنا فصلاً مستقلاً للتحدّث عن تحرّكات الأمير فيصل كونه يمثّل الفكرة العربية الهادفة الى مسعى العرب في الاستقلال والوحدة العربية الشاملة لسوريا الطبيعيّة ولاعتقاده بأن العرب قد تحالفوا مع أعداء السلطنة من أجل تحقيق هذا الهدف وحق تقرير المصير . هذه الطريق بدأها والده الحسين مع البريطانيين عبر مراسلات الحسين — مكماهون بين تموز ١٩١٥ ، وكانون الأول ١٩١٦ . وفي هذا الصدد يذكر الأمير فيصل عن تأييد والده للحلفاء «وثورته العربية» على الأتراك بأن هذه الثورة لا تصدر عن مطمع شخصي لشريف مكّة ، كما أنّها لم تكن خيانة» متناسياً مطلبه الأول والأساسي في رسالته الى السير هنري مكماهون بتاريخ ١٤ تموز ١٩١٥ ، بإعلان خليفة عربي على المسلمين في البلاد العربية من الخليج الى البحر الأحمر والبحر المتوسط [١] . في سنة ١٩١٧ ، ظهرت دعوتان : الأولى : حجازية — سورية مركزها القاهرة حيث التوجيه السياسي البريطاني ، وغرضها توحيد سوريا الكبرى ودعمها بمملكة يرئسها «الشريف حسين» [٢] ، الثانية : فرنسية — سورية مركزها Quai d'Orsay في باريس وغرضها توحيد سوريا الكبرى وربطها بفرنسا بشكل ما ... وفي هذه الأثناء كان لورانس ضابط

١ — رسائل الحسين — مكماهون .

٢ — Georges Samné, op. cit., pp, 228 - 229.

الارتباط الانكليزي مع فيصل يرى أن يفي الحلفاء بوعدهم للعرب[١]، وتساءل «أين كان بوسعي أن أعتبر العار الذي يكسوني نوعاً من التضحية التي قبلتها خدمة لبلادي؟ وإلى أي حدّ كان يحقّ لي أن أترك قوماً يموتون لأنّهم لا يعرفون الحقيقة؟... لا يسعني الا الاعتراف بأني قبلت الاسهام في خداع العرب... وتمكّنت من اتقان التمثيل في مسرحية وضعها سواي ونفّذتها طوال سنتين متواليتين»[٢].

أمّا على الصعيد اللبناني فقد انبرى اللبنانيّون لمحاربة الدعوتين على السواء، وكان الاتحاد اللبناني على بيّنة من تلك التوجهات وعبّر في دراسة هامة الى أعضاء مجلس الإدارة في لبنان والى رئيس الوزارة الفرنسية عن الاحتجاج على قرارات مجلس الإدارة غير الواضحة تجاه المطالبة باستقلال لبنان متمسكاً بحدوده الطبيعيّة رافضاً التوجهات السورية بكل صورها[٣].

في هذه الأثناء عبّر فيصل عن رأيه تجاه لبنان بدبلوماسيّة فقال: «إن لبنان عربي وهو مستقل اداريا منذ ستّين سنة استقلالاً يحترمه العرب وليس معقولاً أن يهدّد لبنان اليوم وقد كفل لكلّ الشعوب حق التصرّف بمقدراتهم والبتّ في أمور بلادهم، ولكن لبنان ليس سوى جبل، والجبل بالطبع يريد أن ينبسط على السهل. لذلك ترون أهل لبنان يطلبون أن تنضمّ الى بلادهم دياراً واسعة ويقولون انها تؤلّف جزءاً منه وحدوداً جغرافية له، ولكن السيئة التي تأتيها هذه القضية والخطأ الذي يرتكبه أتباعها هو أن اللبنانيين يطلبون أن تنضمّ اليهم دياراً فيها أقوام غير مسيحيّة فيصبحون بهذه العملية أقلية وهم اليوم في لبنانهم أكثرية تؤثّر على هذا الجبل الذي يثير تضارباً في الآراء لا تحمد مغبّته. وأرى أن يحرز هذا الجبل دستوراً يلائم ما يطلبه أهله دون أن يفصل عن سوريا فتكون

---

١ — راجع بشأن لورانس: ابراهيم سليمان نجار، الملك فيصل الأول، بيروت مطبعة الدبّور، بدون تاريخ، ص/ ٤٤ و٦٤/.

٢ — كتاب أعمدة الحكمة السبعة: نقلاً عن زين زين، المرجع السابق، ص ٧١ — ٨٨.

٣ — يوسف السودا، استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية. لا اسم للمطبعة، لا تاريخ، ص/ ١٣١ — ١٣٥/.

— أرشيف تاريخ لبنان: الجامعة اللبنانية ١٩٨٣، ص/ ٥٨ — ٥٩/.

هذه الجزيرة الصغرى في وسط القطر السوري وأي شأن لها؟ إن لسوريا الجبل وسوريا السهل احتياطات مشتركة لا يسدّها إلّا الوحدة السورية.»[١]

غير أن فيصلاً كان قد أعلن باسم والده الحسين في بيانه الى الشعب السوري يوم ٥ تشرين الأول قيام حكومة عربية مستقلة شاملة جميع البلاد السورية، وعهد الى رضا باشا الركابي بالقيادة العامة.

ونشر الأمير فيصل في ٥ تشرين الأول بياناً رسمياً شكر فيه أهالي سوريا على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة، ومن المسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان أمير المؤمنين الشريف حسين بنصر الله وأعلن فيه:

— بأنه تشكّلت في سوريا «حكومة دستورية عربية مستقلة، استقلالاً مطلقاً لا شائبة فيه باسم السلطان حسين، شاملة جميع البلاد السورية».

— بأنه عهد الى رضا باشا الركابي «بالقيادة للحكومة المذكورة، نظراً «لثقتي باقتداره ولياقته».

— بأن هذه الحكومة «قد تأسّست على قاعدة العدالة والمساواة، فهي تنظر الى جميع الناطقين بالضاد، على اختلاف مذاهبهم وأديانهم، نظراً واحداً لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة، التي قامت باسم العرب وتستهدف اعلاء شأنهم وتأسيس مركز سياسي لهم من الأمم الرّاقية...»[٢]. وفي هذا البيان ظهرت البادرة الأولى للمخطّط الذي رسمه الأمير فيصل وصحبه، بإنشاء دولة دستورية عربية في سوريا، على اساس

---

١ — راجع كذلك: خطاب الأمير فيصل في وفد لبناني زاره في دمشق اذ قال: «إن بيروت هو ثغر سورية البسّام وبابها وانه لا يمكن أن يتخلّى الإنسان عن باب بيته...» ربّما يخاف بعض اللبنانيين من اغلاط الماضي ونحن نشعر أن خوفهم هذا لا يلامون عليه لما هو باق في الأذهان من مساوىء الماضي وسوابق الخطأ وبوادر الزل ولكن الماضي مضى ولن يعود ذكره في تاريخ سوريا الحديثة (؟)... «وليعلم اللبنانيون أنّنا سنراعي حقوقهم... ولا يكون أدنى فرق بين لبناني ودمشقي ومسلم ونصراني ودرزي...» (عن جريدة العقاب في دمشق العدد ٤٨، ١٩٢٠، محفوظات البطريركية المارونية).

٢ — راجع كذلك: Rabbat, Formation Historique, op. cit., p. 286.

— ابراهيم نجار، فيصل الأول، المرجع السابق، ص/ ٨٩ — ٩٠/.

المبادىء العصرية في المساواة ، بين المواطنين جميعاً ، بدون تمييز بين طوائفهم . وقد بقيت في حيّز النظريات دون أن تطبّق بصورة تامة .

وتوصّل فيصل الى اتفاق مع الفرنسيين بين تشرين الثاني ١٩١٩ وكانون الثاني ١٩٢٠ ، اعتبره فيصل نصراً لقضيته[١] ، وقد تضمّن ما يلي[٢] :

١ — تعد الحكومة الفرنسية بتقديم كل نوع من المساعدة للشعب السوري وبضمان استقلاله ضد كل تعد .

٢ — يطلب الأمير فيصل من الحكومة الفرنسية ، وحدها دون غيرها تعيين مستشارين ومعلمين وتقنيين لتنظيم جميع الإدارات المدنية والعسكرية ولتولّي بعض الدوائر في هذه الإدارات مثل المالية والأشغال العامة .

٣ — يكون للأمير فيصل في باريس ممثّل مفوّض يعمل تحت أمرته ، وممثّل في لندن وروما ، وواشنطن ضمن إطار السفارة الفرنسية في هذه العواصم ، أمّا في غيرها من البلدان فإن القناصل الفرنسيين سيرعون مصالح السوريين .

٤ — يعترف الأمير فيصل باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي[٣] .

٥ — يسهّل الأمير فيصل تشكيل إدارة مستقلّة لدروز حوران داخل الدولة السوريّة .

٦ — تقدّم سوريا الى فرنسا كل عون عسكري في جميع الحالات .

٧ — يعترف باللغة العربية لغة رسمية في الإدارة والمدارس ، تدرّس اللغة الفرنسية كلغة ثانية .

---

١ — كان اللورد كورزن قد نصح فيصلاً قائلاً : «لا يوجد حلّ آخر إلّا التفاهم مع فرنسا مباشرة... فهي قد أصبحت صاحبة الشأن في سوريا. ولكنّه لا يحجم عن أن يكون وسيطاً». راجع :
خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص/ ١٣٧/ ، نقلاً عن مجموعة أوراق عوني عبد الهادي.

٢ — كتبت هذه الاتفاقية في باريس بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩١٩ حسب ما جاء في كتاب ابراهيم نجار ، المرجع المذكور ، ص/ ٦٩— ٧١/.

٣ — «أمّا الحدود ، فسيقررها مؤتمر الصلح آخذاً بعين الاعتبار حقوق السكّان وأمانيهم ومصالحهم» : راجع :
- A. Hokayem, op. cit., p. 289 - 292.

٨ — تكون دمشق عاصمة سوريا . ويقيم المفوّض السامي في مدينة حلب ولكن لرئيس الدولة وللممثّل الفرنسي ، مقرّ شتوي في بيروت ينعم باستقلال بلدي . وفي آخر الاتفاقية ملاحظة على أنّ بنودها ستبقى سريّة بين الطرفين المتعاقدين الى أن يتمّ التوقيع النهائي على الاتفاقيّة وتفاصيلها التي سيتمّ وضعها فور عودة الأمير فيصل الى فرنسا ، ومن ثمّ يجري رفعها في الوقت المناسب الى مؤتمر الصلح[١] .

وكنتيجة حتميّة لمساعي فيصل فيما بعد تمّ وضع نص مبايعة الرؤساء الروحيين له في دمشق ، وللتأكيد على دعم الجانب المسيحي السوري ، وقّع عليه ، اقليمس مخائيل الخماش مطران دمشق على السريان ، ديمتريوس بطريرك الروم الكاثوليك ، غريغوريوس بطريرك الروم الأرثوذكس ، أنيس سلّوم وكيل جماعة بروتستان في سوريا ، جرجس رئيس الأرمن الكاثوليك ، الخوري بشارة الشمالي وكيل بطريرك الموارنة[٢] ، يعقوب داغون حاخام الاسرائيليين ، أستور سركيسيان رئيس دير الأرمن بالشّام ، الراهب مخايل أنطون الرئيس الروحي للسريان القديم ، وقد صدرت الإرادة الملكيّة بنشر هذا الصكّ في الجريدة الرسمية ، فنشر في عددها الصادر في ١١ آذار ١٩٢٠ وممّا جاء فيه : «لما كان وقع اختيار الأمّة السورية على تمليك سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك الحسين الأول على سوريا بحدودها الطبيعيّة ، حضرنا اليوم في دائرة بلدية دمشق العاصمة لتأدية فرض المبايعة» ، فبالأصالة والنيابة نقرّ بأنه مع مراعاة الشروط السبعة التي ارتبطنا بها مع سموّه في أول مقابلة بيننا يوم الاثنين في السادس من شهر تشرين الأول سنة ١٩١٨ وهي : طاعة الله ، احترام الأديان ، الحكم شورى على مقتضى القوانين والأنظمة التي تسنّ لذلك ، المساواة في الحقوق ، توطيد الأمن ، تعميم المصارف واسناد المناصب والوظائف الى اكفائها . وقبول سموّه بها واحدة فواحدة ، نبايعه ملكاً على هذه البلاد متعهّدين بالطاعة والإخلاص لجلالته والمعاونة لحكومته بكل ما تصل اليه القدرة . وعليه أعطينا هذا الصكّ تحت أمضاواتنا واختامنا مسترحمين

---

١ — زين زين ، المرجع السابق ، ص/ ١٤٠— ١٤٢/.

٢ — هو المطران بشارة الشمالي الذي أعرب مراراً في رسائله الى المطران عبدالله خوري عن تخوّف المسيحيين من التعديات والمؤامرات التي تحصل على يد الإنكليز والعرب. راجع : من محفوظات البطريركية المارونية : المجموعة الثانية : أوراق متفرّقة من ملفّ المطران عبد الله خوري ، الوثيقة رقم (٧).

صدور إرادة جلالته بنشره في الجريدة الرسمية تصديقاً منه وقبولاً بمضمونه داعين لجلالته بطول العمر واستمرار التوفيق لما فيه خير البلاد ورقي أهلها. وحين سأل الأمير البطريرك غريغوريوس عن رأيه أجابه: «بيننا وبين سموّكم اتفاق على شروط معدودة لا تبرح من ذاكرتكم الشفّافة، فنحن عليه راسخون»، وعلى الأثر أيّد بطريرك الروم الكاثوليك ديمتريوس وباقي رؤساء الطوائف المسيحيّة قول البطريرك الأرثوذكسي، كما تقدّم حاخام اليهود قائلاً: «أمن أموالنا ونفوسنا بين يديك يا سمو الأمير»[١].

ثانياً: ردّة الفعل اللبنانية على الحكم العربي:

جاءت مقرّرات المؤتمر السوري، تحدياً لمشاعر اللبنانيين في الوطن والخارج، وكان لتحرّك الوفود الرسمية المتابعة ردّات فعل سنراها بالتفصيل، وعلى الأرض، هاج الرأي العام اللبناني، مشدّداً على استقلال لبنان، ورفض أتباعه لسوريا، وتنظّمت المظاهرات الشعبية والوطنية[٢]، وضمّت الوفود من كل المناطق. ويذكر الشيخ بشارة الخوري في كتابه حقائق لبنانية، مشاركته في إحدى المظاهرات الاحتجاجية على الخطوة الفيصلية، مورداً بعض القصائد المعبّرة عن الرفضية اللبنانية ومنها:

«أبناء لبنان الكرام — وحسبكم هذا اللقب»
وعيشي بذلّي ما نحبّا — نتظاهر ما منتخبّا
يا منال الاستقلال — يا منرحل عا أوروبا[٣]
الخ...

وتأييداً لقرار مجلس الإدارة في ٢٠ أيّار ١٩١٩ أعلنت جمعية ساحل بيروت باسم

---

١ — ولا بدّ من الإشارة هنا الى أن الشروط الواردة في الاتفاق تخفي تحفّظات وخوف المسيحيين على مصالحهم وحريتهم. وأن وكيل بطريرك الموارنة، لم يعارض ملكية فيصل على سوريا بينما ترك معارضة ملكيّته على لبنان، للبطريركية المارونية نفسها والوفد اللبناني الثالث في باريس. راجع: من محفوظات البطريركية المارونية: المجموعة الخامسة: وثائق البطريرك الياس الحويك، رقم ٣ و٤.

٢ — يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، الجزء الأول، دار الريحاني بيروت ١٩٦٧، ص/ ١٧٩، ١٨٠، ١٨١/.

٣ — بشارة الخوري، المرجع السابق، الجزء الأول، ص/ ٩٥/.

آلاف اللبنانيين في لبنان والمهجر وباسم المتظاهرين المتجمّعين في سراي الحكومة اللبنانية في بعبدا في ٤ حزيران ١٩١٩، دعمها الكامل لاستقلال لبنان المطلق وسيادته الوطنية بحدوده التاريخية والطبيعية[١].

أمّا على صعيد الجاليات والجمعيّات اللبنانية والسورية في عواصم أوروبا والعالم، فقد ازداد نشاطها المحارب للمدّ العربي الجديد في «سوريا الطبيعية» ولا سيّما تحرّكات اللجنة المركزية السورية أمام مؤتمر الصلح والتي تميّزت بأولوية المطالبة بالوصاية الفرنسية على سوريا الموحدة، والتصدّي لمحاولات السيطرة العربية عليها واقرار النظام الكونفدرالي بين أجزاء سوريا بما فيها لبنان.

ويشتدّ الخلاف بين غانم وفيصل حيث يتّهم الأول الثاني بارتباطه بالدوائر الانكليزيّة. فيبدأ هنا أيضاً الصراع الفرنسي الانكليزي من خلال هذين الرجلين[٢]، حيث يسعى احدهما الى توحيد سوريا في شكل اتحاد كونفدرالي[٣]، بينما يريد الثاني انشاء ملكية سورية مرتبطة بالخليفة المقترح في الحجاز «الشريف حسين»؛ وبالمقابل كانت الجمعيّات اللبنانية كالإتحاد اللبناني في مصر وباريس والنهضة اللبنانية برئاسة نعوم مكرزل في الولايات المتحدة الأميركية تعمل ضد الوحدة السورية وعلى استقلال لبنان التام عن أية تبعيّة غير الوصاية الفرنسية. وكان للتحرّك الواسع لجمعية النهضة اللبنانية لدى بعض الشخصيات المسؤولة الفرنسية والأميركية سياسية وعسكرية ودينيّة الأثر البالغ في تأليب هذه المراجع لصالح القضية اللبنانية. فكتب القنصل الفرنسي في واشنطن (جبسراند) رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٢٠، عن

---

١ — راجع بيان جمعية ساحل بيروت في: - Archive du patriarcat maronite, Annexe N° 5.

٢ — الرابطة اللبنانية في باريس وأعضاؤها البارزين:
عبّاس بجّاني، هـ. هيكل، خيرالله خيرالله، اتهمت شكري غانم، بأنّه يحمل الجنسية الفرنسيّة ويمثّل وجهة النظر الفرنسية، وذلك بالمذكّرة التي وجّهتها الى مؤتمر الصلح بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٩.

٢ — كانت ضرورة انشاء اللجنة المركزية لأغراض ثلاثة جاءت في أحد التقارير الفرنسية كما يلي:

1. "Pour favoriser des enrôlements des syriens dans la légion d'orient.
2. Pour faire de la propagande dans les milieux syriens en Amérique.
3. pour tenter de faire parmi les syriens établis en Europe et en Amérique l'union complète sans tenir compte des différences de culte ou de race".

قوّة التيّار الدّاعي للبنان الكبير والحماية الفرنسية في أوساط الجاليات اللبنانية في أميركا[١] ، وإذا لم نجد عند نعوم مكرزل عمق الروح الاستقلالية في تحرّكاته الظاهرة فإنّنا نرى الإصرار على الاستقلال التام في مواقف الاتحاد اللبناني في رسالته الموجّهة الى رئيس مؤتمر الصلح (كليمنصو) بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩١٩[٢] ، في كتابه في سبيل الاستقلال ، يؤيّد يوسف السودا التوجه اللبناني الأصيل ، ويبرز بهذا المغنى الكلمة التي ألقاها بشارة الخوري في بعبدا يوم ٥/ ١/ ١٩٢٠ مرحّباً بالجنرال غورو وجاء فيها : «إن اللبنانيين وأقصد بهم أبناء هذه الجبال وسكّان السهول المنسلخة عنها وأولئك الضّاربين في بلاد المهجر للعمل والغنى من أوروبا الى مصر الى أميركا . وبكلمة مختصرة جميع هؤلاء كانوا ينتظرون بفروغ صبر هذا اليوم التاريخي ليشاهدوا فيه أمانينا مستجابة الطلبات وغايتنا مقضيّة وفكرتنا محقّقة واستقلالنا الوطني التّام مؤيّداً مضموناً[٣] . وهو يرمي بذلك الى المذكّرة التاريخيّة التي تقدّم بها البطريرك الماروني يوم رئس وفد لبنان الى مؤتمر الصلح بين حزيران وتشرين الثاني ١٩١٩ والى جواب كليمنصو الى البطريرك بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٩١٩ الذي اعترف «برغبة اللبنانيين بالاحتفاظ بحكومة ذاتية وبنظام وطني مستقل[٤] .

وفي إطار ردّات الفعل اللبنانية ، تشير المراجع المختلفة الى تحرّكات مجلس جبل لبنان ودعوته للاحتجاج في بعبدا على المناداة بفيصل ملكاً على سوريا . كما تسجّل مختلف المواقف والعرائض التي تقدّمت بها الفئات اللبنانية الى لجنة الاستفتاء الاميركية . ويلاحظ في تلك العرائض والأجوبة المدوّنة في محاضر الاستفتاء وخاصة بسكان جبل لبنان والمناطق الساحلية المجاورة للجبل ، ان المطالب تمحورت حول قطبين رئيسين : البطريرك الحويك ومعاونيه من جهة والمؤتمر السوري العام من جهة ثانية .

---

١ — أرشيف تاريخ لبنان ، المرجع السابق ، ص/ ٦٦/.

٢ — مذكّرة الاتحاد اللبناني الى كليمنصو — أرشيف تاريخ لبنان — المرجع السابق ص/ ٥٦ — ٥٧/.

٣ — يوسف السودا ، في سبيل الاستقلال ، المرجع السابق ، ص/ ٢١٧/.

السودا ، المرجع السابق ، ص/ ٢٠٠ — ٢٠٨/ ، وبشارة الخوري المرجع السابق ، ص/ ٢٨٠/ ، وراجع

٤ — بشأن رسالة كليمنصو الى البطريرك الماروني :

- Arch. Pat. Maronite. Annexe N° 58.

أما بقية السكان على اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم فقد التقت مطالبهم مع قرارات المؤتمر «السوري العام» الداعية الى الوحدة والاستقلال . ورفض التقسيم ، ومحاربة المشروع الصهيوني في فلسطين ، وان (٤٠ ، ٨٠٪) من العرائض المقدّمة تطالب بالاستقلال التام ، وحدّدت «الانتداب» على أنه «مساعدة فنية واقتصادية» مع تحديد الدولة المساعدة الولايات المتحدة الأميركية ، إذا رفضت بريطانيا ، أما فرنسا فلا .

سبق وقلنا بأن فكرة لبنان الكبير كان قد أعلنها في ٢٠ أيّار ١٩١٩ مجلس الإدارة في بعبدا بقراره رقم ٥٦١ وممّا جاء فيه :[١]

١ — المناداة باستقلال لبنان السياسي والإداري ، بحدوده التاريخيّة والجغرافيّة واعتبار البلاد المغصوبة منه بلاداً لبنانية ، كما كانت قبل فصلها عنه .

٢ — جعل حكومة لبنان هذه ديموقراطية ، مؤسّسة عصر الحرية والإخاء والمساواة . مع حفظ حقوق الأقليّة وحرية الأديان .

٣ — إن الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسية الصديقة تتّفقان على تقرير العلائق الاقتصادية بين لبنان والحكومات المجاورة .

٤ — مباشرة درس وتنظيم القانون الأساسي بحقوق الأصولية .

٥ — تقديم هذا القرار لمؤتمر الصلح .

٦ — اعلان هذا القرار في الجريدة الرسمية وفي غيرها من الجرائد الوطنية ، تطميناً لأفكار اللبنانيين وبياناً للمحافظة على حقوقهم[٢] .

---

١ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 31.

٢ — وقّع هذا القرار رئيس المجلس حبيب السعد وكل من محمد حسن الحاج ويوسف بريدي ، نقولا غصن . الياس شويري ، محمد صبرا الأعور ، فؤاد عبد الملك ، داوود عمّون ، سليمان كنعان ، خليل عقل ، سعد الله الحويك (لم يوقّع محمود جنبلاط) . أمّا محمد محسن الحاج فقد طالب بتوسيع الحدود الى عكّا .

— راجع بشارة الخوري ، المرجع السّابق ، ص/ ٢٧٢ — ٢٧٣/ والوثائق المنشورة المطبوعة في (باب الملاحق) . الجزء الثاني .

— يوسف السودا ، في سبيل الاستقلال ، المرجع السابق ، ص/ ١٧٨ — ١٧٩/.

— وفي تقرير كتبه جورج بيكو بتاريخ ٣ حزيران ١٩١٩ ، عن قرار مجلس الإدارة ، قال «بأن عضو المجلس =

ثالثاً : غورو ومعركة ميسلون :

نقلت الأنباء وصول المفوّض السامي الفرنسي الجنرال غورو إلى بيروت في ١٨ تشرين الثاني ١٩١٩ قادماً من باريس واستقباله استقبالاً رائعاً. وذاع على الأثر أنه قادم لتنفيذ الاتفاق الفرنسي — البريطاني. وقد رافق هذا النبأ جلاء الجيوش البريطانية عن كيليكيا وعن المنطقتين الشرقية والغربية. وقد تمّ الجلاء عن حلب في ١٢ تشرين الثاني، قبل وصول غورو، واستمر بعده حتى الخامس والعشرين منه. وألقت طائرات الجيش مناشير الوداع على دمشق وغيرها من المدن، متضمنة شكر القائد العام البريطاني على ما لاقته جيوشه من الأهلين من ترحاب وإكرام.

وفي الوقت نفسه. أبلغ معتمد الجنرال غورو في دمشق الحكومة السورية تأهّب الجيش الفرنسي لاحتلال البقاع وعلى أثر اعتراضها على هذا البلاغ، وصل الى دمشق في ٢٨ تشرين الثاني كولونيل بريطاني موفداً من قبل المارشال اللنبي قائد القوّات الحليفة، وقام مع الكولونيل كوسى المعتمد الفرنسي بزيارة الأمير زيد في قصر الإمارة، بحضور الحاكم العام ونوري السعيد ويوسف العظمة، معتمد الحكومة العربية في بيروت، وابلغهم الموفد البريطاني أن الجيش الفرنسي سيحتل الأقضية الأربعة، بدون أن يدع مجالاً للمناقشة، وطلب ابلاغ القوات العربية الموجودة فيها بالانسحاب. فأوضح له الحاكم العام نقمة الأهلين على هذه الإجراءات راجياً إرجاء البت في الأمر لنتيجة مفاوضات تجري بين الجنرال غورو والجنرال نوري السعيد موفد الحكومة السورية، وانتهى الحديث مع الكولونيل البريطاني عند هذا الحد.

وفي الخامس من كانون الأول، أذاع الحاكم العسكري العام بيان الجنرال غورو السّالف الذكر، ثم عقبه في اليوم التالي تصحيح نشرته مجلة «العاصمة»، يتضمّن أنه قد تمّ الاتفاق مع الجنرال غورو على صرف النظر عن إشغال الأقضية الأربعة، ريثما يصدر القرار النّهائي من مؤتمر الصلح.

= الدرزي محمود جنبلاط امتنع عن التوقيع اعتراضاً على فصل لبنان عن باقي سوريا وصرّح بأنه يريد أن يترك في هذا الأمر حرية التصرّف الكامل للدولة العظمى المنتدبة». (راجع).

- Arch. fr. op. cit., Ann. N° 36.

وإزاء اصرار فيصل على الملكية التي أعلنها ورفضه للمطالب الفرنسيّة رفضت فرنسا الاعتراف باستقلال سوريا وبملكية فيصل عليها(١).

وفي ١٤ تمّوز ١٩٢٠، وجّه الجنرال غورو انذاره الأخير إلى الملك فيصل، بوجوب تنفيذ طلباته الخمسة، التي كان نوري السعيد قد نقلها الى الملك، وذلك خلال أربعة أيّام من تلقّيه هذا الإنذار تحت طائلة اتخاذ التدابير اللاّزمة ضدّ سوريا. وفي هذه الأثناء، كان الجيش الفرنسي قد تحرّك من البقاع، بقيادة الجنرال غوان في مسيره نحو دمشق، وتوقّف هنيهة قرب خان ميسلون وقبل أن تنقضي المدّة المحدودة بساعات رضخ الملك فيصل وحكومته لشروط الإنذار، ولكن الجنرال غورو قد اعتبر بأن الجواب جاء متأخراً، وأنه أصبح متعذّراً عليه بأن يعطي الأوامر للجيش بالتوقف في زحلة قبل الوصول الى مكان يأمن فيه من جميع الطوارىء، وكان رئيس الحكومة الفرنسية «ميلران» قد أعطى توجيهات خطية الى غورو بالتصدّي لفيصل بعد فشل المفاوضات معه «فلم يعد بإمكاننا التوافق مع الحكم الذي يناصبنا العداءبقوة، بينما تستطيع جيوشنا ازالته»(٢).

وكان ذلك حافزاً لغورو بأن يعطي الأوامر في ٢٤ تموز ١٩٢٠ بالتحرّك نحو دمشق محتجاً بأن القوّات النظامية العربيّة قد هاجمت جيشه في تلكلخ، وفي ميسلون اندحرت القوّات العربية التي كان يقودها وزير الحربية يوسف العظمة، وقضى فيها، وبلغت أخبار الإنكسار الى الحكومة في دمشق، كما تسلّم فيصل من غورو كتاباً يطلب اليه مغادرة دمشق بأسرع ما يستطاع بناء على قرار الحكومة الفرنسية. فاحتجّ فيصل لدى غورو ولدى جميع الدول قائلاً: «إن دخول الجيوش الفرنسية الى دمشق خرق لمقررات مؤتمر السلام ومخالف لمبادىء جمعية الأمم ومناف للأخلاق المدنيّة»(٣).

١ — Georges Karam, op. cit., pp. 250 - 252.

٢ — لم يعترف بالقرار السوري سوى إيطاليا.

— راجع: خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص/ ٢٠٦/.

- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 119
- Arch. du Dossier du G. Gouraud. Annexe N° 137.

٣ — ساطع الحصري، يوم ميسلون، طبعة أخيرة، بيروت ١٩٦٤، ص/ ٣١٥ — ٣١٦/.

خابت آمال فيصل بالدعاية البريطانية وقسّمت غنائم الحرب بين الحليفتين فرنسا وبريطانيا.

وبعد انتصار الفرنسيين، احتل الجيش الفرنسي المواقع الاستراتيجيّة في دمشق والمدن السوريّة الرئيسيّة ولكن بقيت مناطق معيّنة حول حلب وحوران وجبال العلويين مضطربة. ممّا استدعى تنظيم الانتداب الفرنسي على سوريا. وفي ٢٦ تموز ١٩٢٠، أعلن الجنرال غوابت بأن... الأمير فيصل الذي قاد حتف بلاده بظلفه انتهى ملكه»[١].

١ — Arch. fr. Dossier, op. cit., Ann. N° 137.

ويقول ابراهيم نجار في كتابه المذكور سابقاً بأن فيصلاً ذهب ضحية ثلاثة أشياء:

أولاً: أهل الشام أنفسهم أحرجوه وجنوا عليه،

ثانياً: قلة تمرّسه بالسياسة وضعفه.

ثالثاً: مطامع أجنبية ومواجهة شخصيّات أقوى منه (ص ٧٥).

الفصل الثالث
الرأي العام والكيان اللبناني

أولاً: الرأي العام ومطالب اللبنانيين:

تمثّلت المواقف والاتجاهات في لبنان بثلاث، «الاتجاه الأول: ضم البقاع ومدينة بيروت الى لبنان الأهلي أي القديم. وطلب الكثير من السكان، جعل لبنان لبناناً كبيراً مستقلاً تحت الوصاية الفرنسية. وكان معظم القائلين بهذا الموارنة الذين يسكنون جبل لبنان القديم؛ الثاني: يطلب لبنان الكبير أيضاً بدون أن يطلب الوصاية الفرنسية؛ والثالث: يطلب لبنان الكبير مستقلاً استقلالاً إدارياً، ضمن الوحدة السورية بدون وصاية أو مساعدة وكان معظم هؤلاء من المسلمين»[١]. نلاحظ بعد هذه الطروحات إجماعاً على تكبير لبنان بين المسيحيين والمسلمين. أمّا الخلاف فواقع على الإستقلال السياسي أو الإداري ومبدأ الحماية.

وعلى مدى مطابقة هذا الكلام على الواقع اللبناني السياسي، لدى وصول لجنة الاستفتاء الأميركية، ننقل ما أوردته جريدة الحقيقة الصادرة في بيروت في ٢٨ حزيران ١٩١٩: «بالرغم من كثرة الأحزاب والجمعيّات وتنوّع مذاهبها، يتمحور الوضع حول مبدأين: الأول: يدور حول الوحدة السورية تحت الوصاية الأميركية إذا لا بدّ من وصاية أو وصاية بريطانية في حال رفض أميركا. والثاني: لبنان الكبير المنفصل عن سوريا المستقلّ عنها سياسياً وإدارياً واقتصادياً تحت الوصاية الفرنسية وتعضد المبدأ

١ — أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، طبعة ١٩٥٦، ص ١٢٤.

الثاني مواقف ومطاليب جمعيّات ونقابات مختلفة مثل جمعية الطوائف المسيحيّة والشبيبة السورية والحزب المعتدل وطائفة الماسونيّة ونقابة المحامين والصحافيين وغيرها.»[١]

ونحن نميل الى الوصف الذي أوردته آنفاً جريدة الحقيقة نقول بأن المواقف انقسمت بين مؤيّد للإستقلال المطلق أو إلى الاستقلال مع الانتداب الأميركي أو البريطاني أو الفرنسي.

في بيروت طالب التجمّع المسيحي Le groupement chrétien في ٧ تموز ١٩١٩، أن يشكّل لبنان في حدوده الطبيعيّة التاريخيّة والجغرافيّة والطبيعيّة والإعتراف باستقلال لبنان الكبير التّام... وأن تكون فرنسا الدولة المساعدة[٢].

أمّا منطقة بعلبك فقد طالبت بالأكثرية الإنضمام إلى لبنان الكبير تحت الحماية الفرنسية «أما القلّة فقد انقسمت بين المطالبة بالإستقلال التام المطلق والاستقلال تحت الإنتداب الأميركي أو الإنكليزي. وسبق هذه المطالب عريضة من مسيحيي غربي قضاء بعلبك بتاريخ ٦/ ١٢/ ١٩١٨ تطلب إعادة أملاكهم الى لبنان بعد أن فصلتهم عنه الحكومة التركية ظلماً واستبداداً[٣].

وفي ٨ تموز ١٩١٩، طالبت لجنة لبنان الكبير في اجتماعها مع لجنة الاستفتاء الأميركية ما حرفيّته:

«إن لجنة لبنان الكبير المؤلّفة من أكثرية الشعب تختصر رغباتها في التالي:

١ — إعادة الأراضي التّي أُنتزعت من لبنان وإرجاعه الى حدوده القديمة[٤].

٢ — الحفاظ على استقلاله منفصلاً عن سوريا.

٣ — تنظيم حكومته الوطنيّة مع الانتداب الفرنسي.

ويستفيض البيان في ابراز البراهين الموجبة لإرجاع حدود لبنان وذلك بالإعتماد على التاريخ: فإن شهادات التاريخ التي تبرهن عن هوية الحدود المذكورة هي عديدة،

١ — جريدة الحقيقة، العدد ١١٢٣، ٢٨ حزيران ١٩١٩، ص ٣.

٢ — Arch. fr. des aff. étr. Annexes N° 50
Arch. du Patr. Mar., Annexe N° 5.

٣ — Arch. fr. des aff. étr. Annexe N° 14.

٤ — أنظر خريطة الأراضي في: Annexe N° 139.

التوراة، Polybe المؤرخ اليوناني Eusèbe de cesarée Heiôdere de sicile، ابن العبري، المقدسي، أبو الفدا، ابن بطوطة، شمس الدين الدمشقي، وغيرهم من المؤرّخين الثقات.

كما يعتمد البيان على البراهين الطبيعيّة ومنها: «إن الطبيعة بتحديدها لبنان بواسطة سلسلتي جباله قد وهبته سهوله وأنهاره التّي وحدها تضمن الحياة للشعب الذي يسكن فيه. فكلّ هذه الجبال وهذه السهول المعترف بها منذ العصور القديمة تحت اسم لبنان تثبّت وحدة هذه البلاد التّي قسمتها المتطلبات السياسية...»

ويعطي البيان كذلك براهين سياسية ومفادها: «إن القادة اللبنانيين كانوا يبسطون باسم لبنان سلطتهم على كل هذه المقاطعات التّي انتزعت، وذلك قبل الفتح الاسلامي، وهذه السلطة استمرّت حتى سنة ١٨٦٤، حيث انتزعت عن لبنان عدة مناطق بإرادة الحاكم التركي...

ولا يغفل البيان البراهين عن استمرارية الاستقلال للبنان كما أوردناه سابقاً. «وفي سنة ١٠٩٩، خمسون ألف لبناني انضمّ الى الصليبيين وبعدها انضوى خمس وعشرون ألف مقاتل لبناني في صفوف الملك لويس التاسع ملك فرنسا. وعندما هاجم المصريون سنة ١٦٩٠ سوريا ورموا الى دخول لبنان ردّهم اللبنانيّون على أعقابهم وتشتّت جيش الأمير «بيدرا».

ومن الأسباب التّي يذكرها البيان كموجبات لرفض الإنضمام الى سوريا

أولاً: إن عدم تنفيذ تركيا بنود المعاهدات المتعلقة بلبنان وأخذها فرصة الحرب العامة مناسبة لإفناء الشعب اللبناني يفقداننا كل ثقة بأي حكم اسلامي.

ثانياً: إن الأقلية المثقّفة تضيع دائماً مع الأكثرية الجاهلة.

ثالثاً: إن اختلاف الأطباع (الطبائع) ستكون سبباً لفقدان العدالة بحق الضعيف.

خامساً: إن الطبيعة الجغرافية ذاتها قد فصلت لبنان عن سوريا، والاستبداد وحده قد سبّب لجوء المتمرّدين الى لبنان للحفاظ على حريّتها الفردية والوطنية.

سادساً: إن القوانين الإسلامية لا تستطيع التكيّف بأي شكل من الأشكال مع التقاليد اللبنانية فهذه القوانين غير قابلة للتعديل لأنها تنبثق من منبع عقائدي غير قابل للتفسير.

سابعاً : إن تأثير مناخ لبنان على نمو اللبنانيين العقلي يجعلهم يفضّلون أخلاقاً وحياة اجتماعيّة وعائلية لا تتّفق أبداً مع أخلاق وحياة الأغلبيّة السورية .

ثامناً : إن التطوّر الذي يولده توحيد التعليم والعادات والتقارب والصلات مع الأمم المتحضّرة يجعل من اللبنانيين الذين على غرار الفينيقيين أجدادهم وبتقاربهم من الغرب أمّة لا يسع مبادئها أبداً الإنصهار مع مبادىء الأكثرية السورية حيث كل قبيلة تحفظ لذاتها عاداتها وتقاليدها القديمة بعيدة عن كل علاقة مع الأمم المتحضّرة وحتّى مع اللبنانيين أنفسهم .

وفي النهاية يطلب البيان انطلاقاً من « الأواصر التاريخيّة والتقليديّة التي تربط لبنان الكبير بفرنسا منذ زمن بعيد المدى ومنها المؤسّسات التي بنتّها فرنسا في هذه البلاد والتعليم الذي نشرته ... » الانتداب الفرنسي . « لتنظيم الحكم الوطني في لبنان » ويلي التواقيع : بطرس ضاهر ، أمين حمادة ، ن. صوايا ، ابراهيم أسود ، سيزار معلوف ، سليم قرداحي ، ن. لحود ، شيبان ، ابراهيم كنعان ، م. شويري ، أحمد عبد الهادي ، علي شاهين ، أمين نخلة ، جورج مشعلاني ، محمد حمادة ، وديع فرنجية ، جان ضاهر ... الخ ...[1] .

يتوافق هذا البيان مع وثيقة التبريرات الاقتصادية لضرورة تكوين لبنان الكبير (محفوظات البطريركية المارونية بالفرنسية) ، وجاء فيها : « لبنان الذي تتوفّر فيه هذه المعطيات الأساسيّة والذي ندعوه بلبنان الكبير ، يشتمل على الأراضي المحدّدة كالآتي :

من الغرب : البحر المتوسّط

من الجنوب : منطقة النفوذ الإنكليزي.

من الشرق : أقدام السفح الشرقي لأنتي — لبنان .

من الشمال : خط ينطلق من الطرف الشمالي لأنتي — لبنان ويتصل في جنوبي حمص مع العاصي ، ويتبع النهر حتى انصبابه بنهر نفسي ويتبع هذا النهر حتى البحر » ...

وتضيف الوثيقة : « حالياً (أي في ٧/ ١/ ١٩١٩) ، يتكوّن لبنان الكبير من

١ — Arch. fr. des aff. etr. Annexe N° 51.

التوزيع السكّاني التالي : مسيحيّون ٤١٢ ألفاً ، مسلمون ٣ ، ٣٨٧ ألفاً ، اسرائيليّون ٧ ، ١٠ آلاف ، والمجموع : ٨١٠,٠٠٠ آلاف » ثم تقارن الوثيقة بين عدد المسيحيين قبل ٥٠ سنة خلت ٦٩٥ ، ٣٣٩ ألفاً والعدد المذكور سابقاً « لأن عدداً كبيراً من الشعب المسيحي ، وخاصة المتنورين منهم ، قد أجبروا على الهجرة عملاً بالتدبير التركي الرسمي ... ما يقارب ٨٠٠ ألف مسيحي تركوا لبنان الكبير ، وكثير بينهم سيرجعون فيما لو توقّفت الظروف السياسيّة التي دفعتهم الى الهجرة » ...[1] .

« أمّا من حيث الوجهة السياسية ، فإن تكوين لبنان الكبير هي قضية انصاف واستجابة لماض تاريخي ... وبكلمة فإن ضم الأراضي التي تعطي لبنان حدوده التاريخيّة ، الطبيعية والاقتصادية ، وانضمام أجزائه تحت اعلان لبنان الكبير وفقاً للخريطة المحدّدة ، وتطوير مبدأ الحكم الذاتي والمتدرّج وهو امتياز لا ينساه اللبنانيون ، تحت حماية دولة عظمى غربية متقدّمة ، تحترمه ، والاستقلال الاقتصادي الذي يضمن الاحترام التام للحريات الفردية وبثّ العدالة التي تعضد التنظيم الداخلي ، وتوفّر الازدهار الاقتصادي والاستفادة من الثروات الطبيعيّة ، تؤلّف المطالب التي تتجاوب مع رغبات أغلبية سكان لبنان الإداري ولبنان الكبير »[2] .

وهناك وثيقة تكمن غرابتها في خروجها عن مألوف العرائض الطائفيّة من حيث الإسم صادرة عن مندوبي العمّال ، ومن حيث المضمون لم تخرج عن المطالبة بما سلخته يد القوّة من لبنان الكبير المستقل ، وإعادته الى حدوده الطبيعيّة والجغرافيّة والتاريخيّة واتخاذ حكومة فرنسا مناصرة لنا[3] .

وفي ١٠ تمّوز قدّمت الوفود المسيحيّة في صيدا مطاليبها الى لجنة الاستفتاء الأميركيّة جاء فيها : « إن الرغائب التي يشرفنا تقديمها باسم الطوائف المسيحيّة والاسرائيليّة في قضاء صور هي ضمّ هذا القضاء الى لبنان الكبير المستقل تحت حماية فرنسا »[4] .

١ — راجع بيانات الإحصاءات المنشورة في كتاب : "La Syrie, G. Samné, pp, 252, 284, 285. -

٢ — Arch. du patr. Mar. op. cit, Annexes N° 2 et 74.

٣ — Arch. fr. des aff. étr. Annexe N° 129.

٤ — راجع تقرير الحاكم العسكري في صيدا المسيو شاربنتيه Charpentier بتاريخ ١١/ ٧/ ١٩١٩ في :

- Arch. fr. des aff. étr. op. cit., Ann. N° 54.

وفي هذا اليوم بالذات أصدر مجلس الإدارة قراراً ضمّنه مطالب المجلس التي سيقدّمها الى لجنة الاستفتاء.

وكان سبق لهذا المجلس أن أصدر في ٢٠ أيار (١٩) ١٩١٩ قراراً طالب فيه باستقلال لبنان الكبير السياسي التام، مع المساعدة الفرنسية التي لا تؤثّر على جوهر استقلال البلاد»(١). وأيد منشور أصدرته لجنة وكلاء شعب كسروان في ملحق مجلّة صدى لبنان الصادر في جونيه بتاريخ ٩ تموز ١٩١٩، ووجّهته الى «أبناء الوطن اللبناني»، قرار مجلس الإدارة، ودعا الى اعتبار يوم ١٤ تموز «عيداً وطنياً رسمياً في كامل أنحاء جبل لبنان»(٢).

وفي صور رجحت كفّة «لبنان الكبير» والانتداب الفرنسي(٣)، وحظيت بتأييد المجلس البلدي والإكليروس الماروني وعلماء السنّة (بعضهم) وقاضي ومفتي الشيعة، والوفد الشيعي الأول الذي قابل اللجنة، ووفد الروم الأرثوذكس، ووفد الموارنة والروم الكاثوليك والأطبّاء والصيادلة والمحامين والتجّار من كل طائفة والصناعيين والمزارعين ورؤساء المكاتب والإدارات، ومدير تبنين ومشايخ القرى، ورئيس ووجهاء الطائفة البروتستنتيّة. إلّا أن التقارير الفرنسية أوردت لائحة رفعها موارنة صور وقضائها الى دول الائتلاف تطالب بتقسيم سوريا الكبرى الى أقاليم تجمعها الروابط الاقتصاديّة والوحدة الجمركيّة وتضيف في البند الثالث: «واحد هذه الأقاليم هو الإقليم الذي فيه بيروت وبعض متعلّقاتها ومتصرفية جبل لبنان، وهو لبنان الكبير يرجّع في تحديده الى تاريخه وتخومه الطبيعيّة ومنافعه الاقتصادية وتكون بيروت قاعدة هذا الإقليم بأجمعه» وفي البند الخامس: أساس السلطة في كل اقليم الشكل الديمقراطي الجمهوري. وهذا الأساس يقوم على مبدأين: أي مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الأقلية ومبدأ فصل السياسة عن الدّين. والاعتماد في هذه المبدأين على قاعدة الحرية والمساواة والإخاء مع احترام الأديان وعدم مسّ أحدهما في وضع النظامات والقوانين المدنية، على أن يبقى

١ — راجع أيضاً: يوسف السودا، المرجع السابق، ص/ ١٨٢.

٢ — Ibid. Annexe N° 53.

٣ — نشير هنا الى أن صيدا منذ «بدء تحجيم لبنان ١٨٦١، بمتصرفية الجبل، كانت تطالب بإلحاقها الطبيعي بحكومة الجبل»، راجع:
- Arch. fr. op. cit., Annexe 54.

القضاء الديني للطائفة الإسلامية موكولاً الى المحكمة الشرعية ولسائر الطوائف الى الرئاسة الروحية»، وفي البند السادس: تربط الأقاليم السورية الحرّة بعضها ببعض بحكومة سورية متّحدة نيابية»(١).

وفي التاسع من تموز ١٩١٩، قصد رئيس اللجنة وأمين السر، بكركي ليستمعا الى مطالب البطريرك الماروني المتلخّصة، كما هي معروفة، باستقلال لبنان السياسي في حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة مع المساعدة الفرنسية.

ولم تكن اللجنة الأميركيّة تعتقد أن مقام البطريرك الروحي والمعنوي يستحقّ تحرّك واحد من أعضائها، وينقل يوسف مزهر عن رئيس اللجنة قوله: «تأكّد يا صاحب الغبطة أن لجنتنا زارت كل من فلسطين وسوريا ولم تمثل أمام أحد، بل كان الجميع يمثلون بين يديها لإبداء آرائهم. أمّا الآن فإنّنا نأخذ رأيكم ونحن بين يديكم اعتقاداً منّا أنكم تمثّلون أمّة بأكملها كما ظهرت وقائع الحال»(٢).

أمّا عن البقاع، فقد طالب أهالي تعلبايا بإرجاعهم الى وطنهم الأصلي لبنان، بعريضتهم الموقّعة بتاريخ ٢١ حزيران ١٩١٩(٣). وجاءت نتيجة الاستفتاءات كما أوردها بتاريخ ١٢ تموز ١٩١٩، (المندوب الإداري الفرنسي في زحلة ليماريه بأن كل من الشيعة «متاولة بعلبك بقيادة محمد دندش» والكاثوليك والأرثوذكس، طالبوا بالإنضمام الى لبنان والاستقلال تحت الحماية الفرنسية، باستثناء بعض مشايخ المسلمين المعيّنين من قبل الإدارة المحلية (فيصل) وأرثوذكسي واحد فقط، فقد طالبوا بالانتداب الإنكليزي(٤).

وحذا حذو أكثرية البقاعيين، مواطنو منطقة راشيا، بلسان رئيس الحلقة الديمقراطيّة في جبل حرمون فارس غنطوس بالبرقيّة التي طالبوا فيها الالتحاق بلبنان تحت حماية فرنسا. وكذلك فعل أهالي دير الأحمر واليمّونة. وتتابعت السلسلة، فعبّر مخاتير

١ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 25.

٢ — يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، الجزء الثاني، بيروت، بدون تاريخ. ص/ ٨٨٢.

٣ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 20,

٤ — Ibid. Annexe N° 35.

القرى المسيحيّة والشيعيّة في البقاع وبعلبك عن رغبتهم في الإنضمام الى لبنان ومساعدة فرنسا...» لكن مع الأسف منذ ذلك الحين ما يزال مناصرونا يعانون من كل المضايقات»[1]. أمّا زحلة التي «تحلم بلبنان الكبير مع البقاع» فإن قائمقامها لم يقطع الجسور مع دمشق، خوفاً من التعدّيات على أملاك أهلها في حال حصول اخفاق سياسي»[2].

ويجدر بنا ونحن نتحدّث عن مواقف الاستقلاليين اللبنانيين من مصير بلادهم وحدودها، أن نشير إلى ظهور مسعى يهدف الى تقسيم الجبل الى منطقتين، وذلك كحل لتضارب وتباين الاتجاهات السياسيّة. أمّا أصحاب هذا المسعى فكانوا من الدروز والنصارى الذين اجتمعوا في رأس بيروت لوضع أساسات الاتفاق لتحقيق الفكرة الجديدة. ونهار الأحد الواقع في ٢ آب ١٩١٩ تمّ اجتماع آخر في رأس بيروت بين دعاة هذا الحلّ، وبعد البحث اتفقوا على ما يلي:

١ — المطالبة بلبنان الكبير المعروفة حدوده.

٢ — أن يكون منفصلاً إدارياً عن سوريا مع حفظ العلائق السياسيّة والاقتصاديّة[3].

٣ — تقسيم لبنان الكبير أربع مقاطعات، الأولى: بيروت وصيدا وصور ومرجعيون، الثانية: لواء طرابلس واللاذقية، الثالثة: لبنان الجنوبي، الرابعة: لبنان الشمالي.

٤ — ينتخب الحاكم في المقاطعتين الأولى والثانية بالتصويت. وأمّا في لبنان يترأس القسم الجنوبي زعيم الأمراء الأرسلانيين ويرأس القسم الشمالي زعيم الأمراء الشهابيين.

---

١ — راجع تقارير جورج بيكو عن الرأي العام البقاعي ولاسيّما:

- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 14.

٢ — وفي هذا الجو، ردّ ممثّلو طائفتي الروم والموارنة على المطالبين بالإنتداب الأميركي أو البريطاني، و«بألّا يؤخذ بتصريحات هؤلاء الذين لا يحوون أي مسيحي، بل يقتصرون على الموظّفين الشريفيين»

٣ —

- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 25.

واستقبلت اللجنة الأميركية وفداً من العلماء المسلمين في السّابع من تموز ١٩١٩. أما مطالب الوفد فكانت «استقلال تام سياسي واقتصادي بلا حماية ولا وصاية ولا رعاية ولا مراقبة ولا انتداب... وأن تكون سوريا، من رفح العقبة جنوباً الى طوروس شمالاً ومن نهري الخابور والفرات شرقاً الى المتوسط غرباً، مستقلة استقلالاً تاماً، وكذلك العراق مع رفع الحواجز الاقتصادية بينهما، وعدم تجزئة سوريا وعدم فصل لبنان وفلسطين عنها وعدم الحاق بيروت بلبنان.

وسألت لجنة الاستفتاء ذلك الوفد: «إذا كان فيصل أميراً على الشّام فما علاقة بيروت بالدّاخل؟ فكان الجواب: تكون متصلة بها سياسياً واقتصادياً. وما علاقتكم بالحجاز؟ — هي علاقة دينيّة لا سياسيّة. وطرحت اللجنة على وجهاء المسلمين البيروتيين وأبرزهم رياض الصلح، مختار بيهم وسليم سلام الأسئلة التالية:

س — ما الذي تطلبونه لبلادكم؟

ج — الاستقلال التام.

س — هل توافقون في مطالبكم على قرارات المؤتمر السوري؟

ج — نوافق عليه كل الموافقة وحرفاً بحرف.

س — هل لديكم ما تقولونه مما هو خارج عن قرارات المؤتمر السوري؟

ج — إنّ لنا حديثاً بشأن المسألة اللبنانية لأنّها تهمّنا نحن البيروتيين أكثر ممّا تهمّ دمشق، ونرى أنّه لا يجب أن يخرج لبنان عن الوحدة السورية السياسيّة التي نطلبها كما نطلب الاستقلال الإداري، أي تقسيم البلاد الى مقاطعات (كانتونات). وأما كيفية التقسيم فمن صلاحيات البرلمان السوري وسيكون لبنان أحد هذه المقاطعات[1].

س — ما رأيكم في إلحاق البقاع وبعلبك بلبنان؟

ج — ذلك متعلّق بما يقرر البرلمان السوري ونحن قابلون بكل ما يراه مناسباً بهذا الشأن وإننا نطلب الى الحلفاء ألّا يسعوا في إيجاد بلقان ثان في هذه البلاد.

---

١ — هناك عرائض عدّة مؤرّخة في ٧ تموز ١٩١٩، تقدّم بها بعض المسلمين الى اللجنة، لم تتوجّه فيها المطالب حول نظرة واحدة للبنان وسورية وجاءت متعاكسة. راجع:

- Arch. fr. op. cit., Ann. N° 46, 124.

غير أن أصواتاً اسلامية أخرى ومن بين علماء الدين الاسلامي أنفسهم قد نادوا بالاستقلال اللبناني والمساعدة الفرنسية ، يقول عبد الرحمن قريطم ، محمد علايا ، ومحمد أديب «نحن نطلب مساعدة الحكومة الفرنسية شرط ألّا نعرّض استقلالنا . ولقد فضّلنا فرنسا لأن عاداتها وتربيتها تشبه عاداتنا وتربيتنا ولأنها حرّة متسامحة مع كل الأديان ، ومن ثمّ لأن لنا معها كثيراً من العلاقات الاقتصادية والتجارية [1] .

ولقد أثارت هذه الآراء حفيظة بعض المسلمين فأتّهم أصحابها بالعمالة والرشوة : والخروج عن الاجماع الاسلامي الذي «صوّت للاستقلال التام وعدم تجزئة البلاد السورية ، وللملكيّة فيصل وعند الضرورة الانتداب الأميركي وإلّا فالانتداب الإنكليزي ، ما عدا اثني عشر شخصاً كلّهم مباعون وفي أكثريتهم موظّفين منبوذين من أقربائهم ، هؤلاء فقط صوّتوا للاستقلال تحت الانتداب الفرنسي [2] .

ثم استمعت اللجنة الى وفد من بلدية بيروت وكان الحوار التالي :

س — ما هي رغائبكم ؟

ج — نحن كلّنا مسلمين ومسيحيين ، متّفقون على بعض النقاط ومختلفون على البعض الآخر ، أمّا النقاط المتّفق عليها فهي : الاستقلال التام ، عدم فصل سوريا عن فلسطين (!) ، رفض مهاجرة الصهيونيين الى بلادنا مع المحافظة على اليهود الموجودين بيننا ، لأن هؤلاء اخوان لنا في الوطنية ، الإنفصال السياسي عن الحجاز لأن عاداته وتقاليده تختلف عنها في بلادنا ، تمنّي الاستقلال التام للعراق والوحدة الاقتصادية بين القطرين (سوريا والعراق) ، وأمّا النقاط المختلف عليها فهي : يطالب اخواننا المسيحيّون بلبنان الكبير مستقلاً عن سوريا تحت حماية فرنسا وأن تكون سوريا وفلسطين قطعة واحدة تحت سيطرة فرنسا ، لتتمكّن هذه الدولة من توحيد الأعمال الإدارية والاقتصادية ، وأمّا نحن المسلمين فلا نوافق على انفصال لبنان عن سوريا ، لأنّ السّاحل

---

١ — - Arch. fr. des aff. étr. Ann. N° 46,

٢ — ورد في هذه الوثائق الأسماء التالية : (سعيد الجزائري ، عبد الله الفاخوري ، عبد الباسط الأنسي ، عبد القادر النحّاس ، عبد القادر الدنا ، أديب محرم ، علي السعدي ، عبد الكريم أبو النصر ، رامز مخزومي ، محمد الجسر ومحمد علايا) . راجع تفاصيل اتهامهم بالعمالة والرشوة في :
- Arch. fr. op. cit., Ann. N° 144.

لا يعيش بدون الدّاخل... ثم قال الرئيس عمر الدّاعوق : «نحن الأعضاء المسلمون متفقون على المطالب التي ذكرناها ونؤيّد كل ما جاء في قرارات المؤتمر السوري المعقود في دمشق الشام» .

بعد بيروت ، استمعت اللجنة الى مسلمي صور . فمثل وفد ثان من الشيعة أمام لجنة الاستفتاء ، وكما تقول جريدة الحقيقة ، إنّه ظهر من الأوراق التي حملها الوفد أنه ينوب عن ٣٢ ألفاً (؟) وسألتهم اللجنة :

س — ما هي رغائبكم ؟

ج — استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعيّة بلا حماية ولا وصاية ولا انتداب وعدم فصل فلسطين ولبنان عنها . ورفض لبنان الكبير رفضاً باتاً . وأن يكون الأمير فيصل ملكاً على سوريا . وظهرت مشكلة التمثيل في التعارض بين المطالب ، ولا سيّما حول المطالبة بلبنان الكبير مع مساعدة فرنسا ، إذ شارك القاضي والمفتي ورؤساء الطوائف المسيحية في لبنان . وهذا ما دوّنه بيكو في تقرير بتاريخ ١٦ تموز ١٩١٩ : «في صور أكثرية الأعيان الذين استمعت اليهم اللجنة من مسلمين ومسيحيين طالبوا بالإنضمام الى لبنان الكبير تحت الانتداب الفرنسي» .

ونقل الحاكم العسكري في صيدا انقسام الرأي الشيعي في جبل عامل وتأثير الدعاية الفيصلية التي يروّجها اسكندر بك عمّون ، ونوّه بتأييد كامل بك الأسعد لفرنسا وقيام لبنان الكبير [1] .

ومثل وفد آخر من مسلمي صيدا لدى اللجنة ، وطالب باستقلال سوريا الكامل بحدودها الطبيعيّة من جبل طوروس في الشمال الى نهري الفرات والخابور في الشرق ، الى خط العقبة في الجنوب والبحر المتوسط في الغرب... على ألّا يضمّ أي جزء من سوريا الى لبنان الذي سوف ينفصل عنها ، كما تضمّنت المطالب أن تكون الحكومة دستورية على أصول اللّامركزية ، وأن ينصّب الأمير فيصل ملكاً عليها . أمّا بصدد المساعدة الأجنبية فيرفض مسلمو صيدا مساعدة فرنسا ، رفضاً باتاً على أن يأخذوا ما

---

١ — راجع تقريره في : - Arch. fr. op. cit., Ann. N° 40.

يحتاجون اليه من مال ورجال اختصاص من الولايات المتحدة الأميركية. ورفض السنيّون في صيدا أيضاً هجرة اليهود الى فلسطين وطالبوا باستقلال العراق التام ورفع الحواجز بين البلدين. وعندما سألتهم اللجنة : هل لكم ملاحظات خصوصيّة؟ أجابوا : «نرفض فكرة لبنان الكبير! . وكذلك كان جواب وفدى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، ونشر العلم، وهيئة البلدية، ووفد وجهاء الطائفة السنيّة، الذي كان في عداد أعضائه رياض الصلح. أحد أعضاء المؤتمر السوري، الذي قال للجنة : «بصفتي أحد أعضاء المؤتمر أصادق على هذه المقرّرات وأزيد أن مجموع أهالي قضاء صيدا هم ٥٥ ألفاً منهم ١٥ ألفاً سنيين و٣٣ ألفاً شيعيين[1]، تمثّلوا في الوفود الذين رأيتهم، ولا عبرة في تعداد أشخاص بقية الوفود فهي لا تمثّل إلّا الباقي من هذا العدد»[2]!

أمّا مسلمو جبل لبنان، فقد شكّلوا وفداً برئاسة الشيخ ابراهيم الخطيب. هذا الوفد وافق أمام لجنة الاستفتاء على مقرّرات المؤتمر السوري، ورفض فصل جبل لبنان عن سوريا. سألت اللجنة رئيس الوفد :

س — ما هو المحذور الذي ترونه من انفصال لبنان عن سوريا؟

ج — اذا حكم بفصل لبنان عن سوريا فكأنه حكم علينا بالموت جوعاً. لأن لبنان ليس قطراً زراعياً ولا تجارياً وليس فيه مصانع ... فلولا الهجرة الى أميركا لكان لبنان غاباً تأوي إليه الوحوش. (!!).

أمّا عن طرابلس، فقد استقبلت اللجنة أولاً مجلس ادارة المدينة المؤلّف من محمد بيك البحري وعبد اللطيف سلطان، مدير التحريرات، وميشال رحمه، وعبد الله

١ — يتعارض هذا العدد مع الاحصاءات الرسمية التي حصلت بين ١٩١٣ و١٩٢٠، ممّا أفقد بعض المطالب والادعاءات مصداقيتها. راجع هذه الإحصاءات في :

- Georges Samné, op. cit., pp, 284 - 285.

— راجع كذلك تقرير الملحق العسكري في صيدا في :

- Arch. fr. op. cit., ann. 40.

٢ — لاحظ التناقض بين هذا القول ومضمون التقرير الذي رفعه جورج بيكو الى الخارجية الفرنسية في حينه، راجع :

- Arch. fr. des aff. Ann. N° 56.

الغريب، ودخل المفتي عبد الحميد كرامي متأخّراً. في هذه الجلسة طالب رئيس المجلس بلبنان الكبير مع ضم طرابلس اليه لأن ينابيعها تتفجّر من الجبل. وهنا تدخّل المفتي وحاول اظهار فساد هذه النظرية وقال : «إننا نرفض فكرة لبنان الكبير رفضاً باتاً لأن لا حياة للشواطىء إلّا بالداخلية ... ونوافق على قرارات المؤتمر السوري»، التي تعمّمت على جميع الوفود الاسلامية السنية خاصة. وهذا ما اعترف به بيكو في تقريره عن اللجنة بتاريخ ١٦ تموز ١٩١٩، إذ قال : «في طرابلس طالب المسلمون بسوريا كبرى فرنسية». وبالمقابل وجّه المطران الماروني في طرابلس ومسيحيّو صافيتا عريضة الى القنصل الفرنسي باليولوغ Paléologue يرفضون مقرّرات المؤتمر السوري، وكذلك فعل «شبيبة طرابلس»، حيث رفض باسمهم بشير عثمان علم الدين ملكية فيصل وسلطته، وطالب بالانتداب الفرنسي[1].

أما الدروز فقد انقسموا بين مؤيّد لفرنسا وآخر مؤيّد لانكلترا، وآخر معترض على هذا التأييد الأخير لأنّه نتيجة عمالة وشراء وتبياناً لذلك نذكر ما طلبه بعض زعماء الدروز من أعضاء اللجنة الأميركية :

«أنا الموقّع أدناه من رؤساء جبل الدروز بالأصالة عن نفسي وبالوكالة عن متعب بك الأطرش وعن سلمان بك الأطرش وعن علي... أطلب ما يأتي :

١ — الاستقلال الإداري الواسع لسوريا تحت حماية فرنسا.

٢ — عدم تجزئة سوريا.

٣ — إن الوفد الدرزي الذي حضر أمامكم قبلنا وطلب غير مطالبنا هو مشترى بالدراهم والشعب لا يعلم عنه شيئاً لأن مطالب الشعب هي نفس مطالبنا وبياناً لما نقوله لحضراتكم عن الوفد المشترى بالدراهم. نفيدكم أن سلطان باشا الأطرش يقبض معاش ٦٠ ليرة بالشهر، ونسيب بك الأطرش أربعين ليرة بالشهر وحسين بك الأطرش ٤٠ ليرة بالشهر وكلّهم لا يعملون عملاً للحكومة على الاطلاق سوى أنهم يأخذون هذه الدراهم ويطلبوا حماية انكلترا رغماً عن إرادة الشعب...

١ — Ibid. Ann. N° 98 et 125.

الموقعين :

متعب بك الأطرش : شيخ رساس
سلمان بك الأطرش : شيخ أم الرمان
علي بك الأطرش : حامي حزب في السويدا
أسد بك الأطرش : « « «
سليمان بك الأطرش : شيخ المجيمر
الشيخ نعمان أبو غانم : مندوب المفرق الشرقي
الشيخ حسن حمزة : وكيل سليم باشا الأطرش في عره.

٣٠ حزيران سنة ١٩١٩ [١]
فارس سعيد الأطرش

وكان هذا الأخير، قد أرسل إلى المسيو بيكو بواسطة سكرتيره عارف أفندي الغريب بتاريخ ٣ تموز ١٩١٩، يعلمه بالمطالب الآنفة الذكر والمقابلة التي جرت بينه وبين اللجنة الأميركية في الشام مكرّراً «تفضيل حماية فرنسا على سوريا كلّها، ورفض إمارة فيصل على سوريا والمطالبة بحكومة جمهورية ديمقراطيّة على أصول اللاّمركزيّة مثل الولايات المتحدة»[٢].

أمّا دروز الشوف فبالرغم «من ضغوطات الأمير أمين أرسلان ومصطفى بك حمادة فقد ظلّوا في حذر وترقّب، إلّا في بعض قرى الباروك، شارون، وبتاتر حيث أظهر بعض الأهالي تعاطفاً مع الحركة الشريفيّة. أعيان الدروز كانوا منقسمين الى حزبين، الحزب الجنبلاطي بزعامة محمد بك جنبلاط عضو مجلس الإدارة وملحم بك حماده وحزب الأمير توفيق أرسلان قائمقام الشوف مع فؤاد عبد الملك عضو مجلس الإدارة وهذان الأخيران من دعاة لبنان الكبير ولا يعطيان أهمية لتأثير الشريف»... «كما أنّ شيخا العقل، شيخ «بعقلين» يؤيّد النفوذ الفرنسي، وشيخ «الجديدة» ملتحق كلياً بالسلطة الشريفيّة»[٣].

١ — Arch. fr. des aff. Annexe N° 39.
٢ — Arch. fr. des aff. Annexe N° 43.
٣ — Arch. fr. Annexe N° 34

ثانياً : دور الاغتراب اللبناني الاستقلالي :

ضيّق الحكم العثماني على اللبنانيين سياسياً وفكرياً واقتصادياً، فخنق الحريات ولاحق المفكّرين، واضطهد رجال الدين، تمهيداً لإلحاق لبنان نهائياً بالوطن التركي، ممّا دفع بالكثيرين من اللبنانيين الى ترك وطنهم والهجرة الى البلاد المجاورة والبعيدة تخلّصاً من الظلم التركي، وإيثاراً بتوفير سبل العيش الكريم. ولم يتقاعس هؤلاء المهاجرون عن العمل الوطني، فقد اتّحدوا وأنشأوا الجمعيات السياسية التي ساهمت بإبراز القضيّة اللبنانية، على الرغم من أن بعض المهاجرين اللبنانيين والسوريين وقد جمعتهم المصيبة التركية الكبيرة، حاولوا التعاون لتخليص بلادهم من دون أن يعيروا الفوارق والمميزات الأساسيّة في كل من لبنان وسوريا، انتباههم.

ولعبت تلك الإتحادات والجمعيّات دوراً مهماً في توحيد المغتربين اللبنانيين، والعمل يداً واحدة من أجل استقلال الوطن اللبناني الواحد ومحاربة كل محاولة لتذويبه في الدولة التركية. وقد بذل المغتربون جهوداً جبّارة لإقامة الدولة اللبنانية، سواء بتأييد الوفود اللبنانية الى المؤتمرات الدولية، أو بالمشاركة الفعليّة عن طريق الاتصال بسفراء وقناصل الدول الأجنبية، وتوضيح فكرة الوطن اللبناني. فقدموا المذكرات لكسب تأييد الدول الفاعلة؛ ويقول يوسف السودا: «أخذنا ننشر المقالات ونتصل بوجوه الجالية ومفكّريها الى أن وقف الرأي العام اللبناني على حقيقة الحال، وأقر انشاء جمعية تحت شعار لبناني لا طائفي غايتها الدفاع عن كيان لبنان وامتيازاته ومحاربة الانضمام»[١].

إن فكرة ضمّ لبنان الى السلطنة كان في أساس أول تفكير بتشكيل فريق من المغتربين اللبنانيين لمحاربة هذه الفكرة التي سعت اليها تركيا. ونتيجة الاتصالات التي جرت بينهم في هذا الإطار، وعلى أثر «اجتماع كبير عقده اللبنانيون في مصر، استعرضت فيه ما آلت إليه الحالة في لبنان، بعد أن اقتطعت أجزاء فسيحة من أرضه وأسيء تطبيق الامتيازات التي أقرّتها معاهدة ١٨٦١ بين الدول الست الكبرى والدولة العثمانية، ووقفت الحركة في الموانىء اللبنانية، وانحطّت الصناعات في لبنان، وضاقت

١ ــ يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، ١٩٠٦، ١٩٢٢، المرجع السابق، ص/ ٢٥/.

سبل العيش في وجه أهليه، فاشتدّ تيّار الهجرة، فعلى أثر ذلك تمّ تأسيس جمعية «الاتحاد اللبناني» في القاهرة بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٠٩، برئاسة اسكندر عمون[1].

أهداف هذا الاتحاد كانت الدفاع عن الإمتيازات المعترف بها في المعاهدة المذكورة والعمل على تحسين الحالة الاقتصادية، واصلاح اداة الحكم، وأخيراً استقلال لبنان ضمن حدوده الطبيعيّة بضمانة الدول الكبرى.

إذاً، فإن تأسيس «الاتحاد اللبناني» في القاهرة جاء بعد اتصالات اللبنانيين بشأن رفضهم ضم لبنان الى أيّة ولاية من ولايات السلطنة المجاورة. أي إن فكرة ضم لبنان الى السلطنة حرّكت اللبنانيين من منطلق قومي، لأن اقتطاع اجزاء من الأرض، واساءة تطبيق النظامات ومحاولات ضرب الاقتصاد، ودفع السكّان الى الهجرة هي عناصر جوهرية في التفكير القومي للبنانيين. وبهذه العناصر والأبعاد جاءت أول جمعية لبنانية، أي «الاتحاد اللبناني» لتجعل من أهدافها الرئيسيّة استقلال لبنان في حدوده الطبيعيّة. وتحرّكت مختلف الجاليات اللبنانية في بلدان الاغتراب. وفي ٢٨ آذار ١٩١٠، أنشأ «الاتحاد اللبناني» فرعاً له في الاسكندريّة[2]. برئاسة يوسف السودا وقد كان هدفه الأول «إثارة رأي عام لبناني في الوطن والمهجر ضد الانضمام الى الدولة». وبقيت القاهرة المركز الرئيسي لفروع الاتحاد. كما استمرّ الاتصال بالجاليات اللبنانية في دنيا الاغتراب لإنشاء الجمعيات اللبنانية في سبيل استقلال وطنهم الأم وإعادة ما اقتطع منه من أراض عقب نظام المتصرفيّة. وتمشياً مع ذلك، أرسل يوسف السودا في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٠ رسالة الى نعوم مكرزل في نيويورك يشرح له فيها أهمية «الاتحاد

---

١ — قوامها: اسكندر عمّون رئيسا، أنطون الجميل سكرتير عام، حيدر معلوف أمين صندوق، وأعضاؤها: جبرائيل تقلا، داوود بركات، حبيب غانم، محمد تلحوق، خليل أبي اللمع، بولس مسعد، حبيب يزبك، جرجس حنا، سليم بو عز الدين، سليم البستاني، سامي الجريديني. راجع: يوسف السودا، المرجع السابق، ص/ ٢٥/.

٢ — وأعضاؤه: حبيب أنطونيوس رئيس، يوسف السودا سكرتير، ديمتري سابا أمين صندوق، حبيب المصغي وحبيب المعوشي وجورج شيخاني واسكندر سكري وبطرس لحود أعضاء. راجع: يوسف السودا، المرجع السابق، ص/ ٢٥/.

وأهدافه، وعلى أثر هذا، نشأت «النهضة اللبنانية» سنة ١٩١١ في نيويورك برئاسة نعوم مكرزل[1].

وهكذا حيثما تواجد اللبنانيون كانوا يعمدون الى تأسيس جمعية على غرار «الاتحاد اللبناني». في سنة ١٩١٥، تألّفت في بيونس — ايرس عاصمة الأرجنتين، جمعية احتفظت باسم «الاتحاد اللبناني»، برئاسة يوسف سلامه ثم موسى بو صادر. كما ألفت في باريس، «اللجنة اللبنانية» برئاسة عباس بجاني.

أمّا في القاهرة فقد تأسّست، الى جانب «الاتحاد اللبناني»، جمعيّات متشابهة في المرامي والأهداف، منها جمعية «لبنان الفتى» برئاسة فريد حبيش، و«الحزب الوطني» برئاسة يوسف البستاني. إن هذه الجمعيّات كانت تجمع كلّها على استقلال لبنان في حدوده الطبيعيّة والتاريخية[2]، لكنّها كانت تختلف شكلاً حول هوية الدولة الوصيّة أو الحامية لهذا الاستقلال، وذلك بتأثير الوسط السياسي الذي تقوم فيه بنشاطها الوطني والقومي.

وفي ١٠ نيسان ١٩١٠، قدّم الاتحاد، عبر أحد رجالات السلطنة مجموعة من المطالب المهمّة جاء فيها:

— فتح الموانىء اللبنانية للبواخر الأجنبيّة وإنشاء محاكم للتجارة في جبل لبنان.

---

١ — راجع رسالته التي وقّعها بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٩١٩ في:

حيث يبدو واضحاً رفض المغتربين اللبنانيين لكل أشكال الضم والتذويب، ان مع تركيا أو أية دولة جديدة بعدها، كسوريا ومملكة فيصل، راجع أيضاً:

— يوميّات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ١٧ آذار ١٩٢٠. ويذكر فيها المطران التلغراف الذي وصله من نعوم مكرزل باسمه واسم «٥٠٠ ألف لبناني في أميركا للإحتجاج على طمع فيصل بالملك على لبنان، ولطلب توسيع لبنان وأن تكون علاقاته مع فرنسا وحدها».

٢ — بعد الحرب الأولى، وجهت هذه الجمعيات مئات العرائض المطالبة بالاستقلال اللبناني، والدور الفرنسي في لبنان، وعبّرت عن الوجود اللبناني الفاعل في الأوساط العالمية، وارتباطها الوثيق والأصيل بالوطن الأم، وعن حقّها المشروع في ابداء الرأي لجهة تقرير مصير لبنان ومساعدته في شتّى المجالات.

— السماح للتبغ اللبناني بالصدور من الموانىء العثمانية الى جميع الجهات والى القطر المصري دون مضايقة وإزاحة الاحتكار.

— إعادة سهل البقاع الى لبنان لأنه من أملاكه الطبيعية، وإعادة الأراضي الواسعة التي أخذت من شمالي لبنان وجنوبه حتى تعود حدوده الى أصلها[١].

— فتح الملّاحات في لبنان ومنع احتكار الملح. إباحة تصدير المشروبات والكحول، واستقلال القضاء التجاري عن القضاء في ولاية بيروت.

وفي الخامس من نيسان ١٩١٢، وجّه «الاتحاد اللبناني» بالاشتراك مع «اللجنة اللبنانية» في باريس، مذكّرة الى الدول الكبرى تتضمّن الأماني اللبنانية في إدارة المتصرفية». وفي أول حزيران من السنة نفسها، وقّع عدد من اللبنانيين المقيمين في باريس، عريضة كلّفوا فيها شكري غانم، رئيس اللجنة السورية المركزية (اللبنانية فيما بعد)[٢] وسكرتير اللجنة خيرالله خيرالله، لتمثيلهم أمام المراجع المعنية من أجل الإصلاحات المطلوبة في لبنان. وكان «الاتحاد اللبناني» في القاهرة قد سبقهم في تكليفه داود عمون في الخامس من آيار ١٩١٢، ليثير مطالب اللبنانيين، بشأن تطبيق أفضل للنظام الأساسي في المتصرفية واجراء بعض التعديلات والمطالبة ببعض الاجراءات، بهدف تحسين الوضع التمثيلي والاقتصادي، أمام مجلس الوزراء الفرنسي.

وفي هذا المناخ المحموم، أخذ لبنانيّو الاغتراب يدعمون توجّهات الحلفاء لتخليص بلادهم من نير الأتراك. وطالب مؤسّس «اللجنة اللبنانية» في ١٥ آب ١٩١٤، خيرالله خيرالله بإعلان مؤثّر من «مواطنيه المبعثرين في مختلف أنحاء العالم» الالتحاق بالجيش الفرنسي «لخدمة قضية الحق والحرية والمساعدة على خلاص بلدهم»[٣].

١ — ان المطالبين بعودة البقاع والشمال، هم أهله الأصليون الذين أجبرهم القهر على الهجرة، وهذه المطالب بقيت نفسها، في مقاومتهم لحركة فيصل والوحدة السورية.

٢ — كان يعاون شكري غانم جورج سمنه مدير مجلة Correspondances d'orient في باريس، ورئيس فرع القاهرة عبد الله باشا صفير، وفرع الاسكندرية ادغار طويل.

٣ — خير الله طنوس خير الله، ١٨٨٢ — ١٩٣٠، ولد في قرية جران قضاء البترون. كان عضواً في الجمعية اللبنانية في باريس التي تأسّست سنة ١٩١٢، وكان قد اشترك كعضو في المؤتمر العربي في باريس ١٩١٣. راجع: يوسف السودا، المرجع السابق، ص/ ٧١/.

وهكذا التحق عدد من المسيحيين المقيمين في باريس بالجيش الفرنسي، ويوضح خير الله بقوله: «إنّنا أردنا اتخاذ موقف سياسي يكون تكملة للسياسة الفرنسية في الشرق... لإعطاء هذا الموقف كلّ أهمية، وليكون له الصدى المطلوب في لبنان وسوريا، فإن اشتراك لبنانيين وسوريين وفرقة فرنسية أمر ضروري»[١].

غير أن مهمة هذه الجمعيات لم تكن سهلة اطلاقاً، فقد اصطدمت بعقبات كثيرة أهمها الاتجاهات التي كانت تتخذها هذه الجمعيّات والأطماع الدولية المختلفة.

فقامت لجنة الاصلاح اللبنانية في أيلول ١٩١٥، بعقد مؤتمر في نيويورك دعت اليه اللبنانيين في جميع بقاع الأرض الى درس ومناقشة الوسائل الأكثر فاعلية لجعل لبنان إمارة مستقلة. ولكن هذه النشاطات المطالبة بالحكم أو بالاستقلال أو بالانتداب الأجنبي، جلبت المزيد من الويلات والنكبات على اللبنانيين[٢]. ويقول في هذا الصدد «محمد يبهم» انه علم بصورة سرية من أحد أركان حزب الاتحاد والترقّي أن قراراً صدر من الباب العالي يقضي بإجلاء الفئة الموالية لفرنسا عن لبنان، أسوة بالأرمن في الأناضول، وأنه كلّف جمال باشا بتنفيذ هذه المهمة. وفي هذا المجال نقل عن أنور باشا قوله: أفنينا الأرمن بالسيف ونفني اللبنانيين بالجوع». وقد عبّر البطريرك الماروني عن سياسة الاتحاديين في تجويع اللبنانيين بقوله: «إن بطريرك لبنان يتغذّى من خبز الشعير»[٣].

١ — حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٥٥٤ — ٥٥٥/.

٢ — في رسالته الى شكري الخوري صاحب جريدة أبو الهول في سان باولو البرازيل في ٢٨ حزيران ١٩١٧ كتب يوسف السودا: «قد سعى البعض الى دغم المسألة السورية بالمسألة اللبنانية، فلا يمكننا التسليم بهذا الإدغام إلّا إذا تنازلنا عن حقّنا بالاستقلال. فلبنان يصبو الى نزع كل سيادة أجنبية... واللبنانيّون غير متجنّدين بكليّتهم لهذا الفكر بل يتخبّط بعضهم بين هذا وذاك في حين أننا الآن في أمسّ الحاجة الى توحيد الكلمة» (يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، المرجع السابق، ص/ ٩٩/.

٣ — حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٥٤٥ / وما بعدها، ويقدّر جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب، ضحايا السياسة التركية بما لا يقلّ عن نصف مليون نسمة من أصل ٤ ملايين في لبنان وسوريا، بسبب المجاعة والاعتقال والنفي والخدمة العسكرية والاعدام. ص/ ٣٤٥/. كما يذكر أوجين تافرنيه Eugène Tavernier في مقالة له في جرائد باريس أن جمال باشا أمات ٨٠ ألفاً من اللبنانيين جوعاً. راجع: حرفوش، المرجع السابق. ص/ ٥٥٥/.

وفي ٢٢ شباط ١٩١٧ ، قدّم «الاتحاد اللبناني» ، الى مفوّضي فرنسا وانكلترا وإيطاليا في القاهرة ، مذكّرة احتجاج على احتلال تركيا لمتصرفيّة جبل لبنان.

وفي الاسكندرية ، بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩١٧ ، أقام «الاتحاد اللبناني» حفلة تمّت فيها المناداة باستقلال لبنان التام في حدوده الطبيعيّة وبضمانة دوليّة. وقد خلت هذه الدعوة من أي مطلب للحماية الأجنبية الفردية. أما في الأرجنتين فقد طالبت لجنة «الاتحاد اللبناني» في تشرين الثاني ١٩١٧ بفصل المسألة السورية عن المسألة اللبنانية بالقول : «... المسألة السورية هي واحدة والمسألة اللبنانية واحدة أخرى ولا يمكننا إلّا أن نفصل الواحدة عن الأخرى... نحن أولاً لبنانيّون ثم فرنسيّون»[1]. وكان ذلك بمناسبة مرور لجنة باريسيّة في مدينة «بيونس — ايرس».

أمّا في مدينة نيويورك فقد طالبت الرابطة اللبنانية منذ تموز ١٩١٧ ، باستقلال لبنان التام تحت الحماية الفرنسيّة. وفي إشارة الى عمل اللبنانيين في أميركا نجد في رسالة المطران خوري الى البطريرك ما يفيد عن دور الدكتور أيّوب تابت الذي «في أثناء الحرب كان في الولايات المتحدة من أهم العملاء في سبيل استقلال لبنان وقد انتدبه من أميركا كل الذين يطلبون استقلال لبنان ومعاونة فرنسا وانتدبته أيضاً اللجنة المسيحية في بيروت ليحضر لباريس ويلاحق السعي باسمهم... وهو منذ نصف سنة هنا يلاحق مهمته بكل اجتهاد وكان نظراً لمذهبه البروتسطاني وتربيته عند الأميركان أحسن نصير لنا وهو عائد اليوم الى بيروت لمواصلة السعي مع البيروتيين حتى يضمّوا أصواتهم الى صوت لبنان»[2].

وفي كانون الثاني ١٩١٩ ، قدّم «الاتحاد اللبناني» في الاسكندرية مذكّرة جديدة الى دول الحلفاء ، فجاء ذلك بعد اعلان الرئيس «ولسن» بنوده الأربعة عشر والتي على أساسها دخلت الولايات المتحدة الأميركيّة الحرب الى جانب الحلفاء. جدّد «الاتحاد»

---

١ — كان اللبنانيّون يشدّدون على الاستقلال ، ورفضوا الاندماج في أيّة دولة أخرى. راجع رسائل المغتربين ضدّ الوحدة السورية في :
- Arch. fr. des aff. étr. op. cit., Ann. N° 138.

٢ — وثائق المطران عبد الله خوري ، محفوظات البطريركية المارونية ، الوثيقة رقم ١٦.

في هذه المذكّرة مطالبته باستقلال لبنان التام في حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة بضمان الدول العظمى. فجاءت هذه المذكّرة استناداً الى ما كان الحلفاء قد أعلنوه بأنهم يخوضون الحرب دفاعاً عن العدل والحرية وتحريراً للشعوب الصغيرة المقهورة. وفي رسالته الى الجمعيّة اللبنانية في باريس بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٩ ، أوضح الاتحاد اللبناني وجهة نظره وقالت الرسالة : «إذا كان كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الاستقلال والانعتاق من السيادة أليس ذلك أحرى باللبنانيين الذين ما برحوا متمتعين على مرّ الدهور باستقلالهم الإداري أو التام فيطلبوا ذلك الاستقلال الآن ، بعد تقلّص السيادة التركية ، كاملاً خالصاً من كل نقص حفظاً لتقاليدهم وصيانة لقوميّتهم... وقد تصدّى لنا كثيرون في سبيلنا وأقاموا بوجهنا العقبات لغايات في النفس... حاول الخصوم بنوع خاص تسويد صحيفتنا في عين فرنسا... نحن نحب فرنسا أكثر ممّا تحبّونها ولكنّنا نحب وطننا أكثر منها وهي لا تريد إلّا كذلك على أن هذه الوشايات جازت لسوء الحظّ على بعض طلّاب الاستعمار فوقفوا بوجهنا موقف المعاكس مخالفين في ذلك تقاليد بلادهم الحرّة... فلم يخب ظنّنا بكم يا سلالة اللبنانيين الأماجد... حققتم الآمال المعقودة عليكم فبارك الله فيكم وأخذ بيدكم في عملكم الشريف»[1]. كما طالبت بالمناسبة ذاتها «رابطة لبنان وسوريا» التي يرئسها الدكتور «أيوب تابت» والتي تضمّ أعضاء من الجاليتين السورية واللبنانية في نيويورك بتحرير سوريا ولبنان مع طلب المساعدة الفرنسية. أمّا الجمعية اللبنانية المؤسّسة في باريس فكانت تسعى الى استقلال لبنان بحدوده الطبيعيّة والتاريخيّة[2].

إن الفترة التي نحن بصددها ، عرفت الكثير من التيّارات والطروحات السياسيّة ، وقد لعبت الجاليات اللبنانية في بلدان اغترابهم أدواراً مختلفة الأهمية والأساليب ، قريبة الغايات والأهداف الى حدّ ما. وكانت جمعيّاتهم أشبه بنواة الاحزاب ، تأثرت بالبيئة التي نشأت فيها ، وكانت تنظر في الغالب بمنظار البلد الذي حضنها دون اهمال حقوق

---

١ — Arch. fr. des aff. étr. op. cit., Ann. N° 23.

٢ — كان «الاتحاد اللبناني» يعدّ مسألة الحماية والمساعدة الفرنسيّة مراوغة سياسيّة ودعائيّة كانت تواصلها الدوائر الفرنسية متأثّرة بها اللجنة المركزية برئاسة شكري غانم وفروعها بينما واصل الاتحاد عمله في سبيل الاستقلال التام. راجع يوسف السودا ، المرجع السابق ، ص / ١١٠ — ١١٢ /.

لبنان[1]. ولهذا نرى بعض اللبنانيين يماشون السوريين في المهاجر في بعض النشاطات السياسيّة لجهة مشاريع الوحدة السورية المخالفة شكلاً ومضموناً لمشروع الأمير فيصل... وبرزت في هذا المضمار، اللجنة المركزية السورية برئاسة شكري غانم الذي كان يناهض ويحتجّ على طريقة عمل الوفود اللبنانية في مؤتمر الصلح كما كان يهاجم ملكية فيصل، وسرعان ما رأينا تحوّلاً جذرياً لدى شكري غانم، فأصبح من أشد المتحمّسين للقضية اللبنانية، ومشجّعاً على المطالبة باستقلال لبنان «فلبنان واللبنانيّون لهم الحق بإعلاء أصواتهم للصالح العام، إنّهم الشعب الأكثر تنوّراً في سوريا»[2]، وداعياً الى «أنّ خلاص لبنان هو بيد أبنائه» وحذّر في رسالته الى المطران خوري بتاريخ ٣٠ آب ١٩٢٠ قائلاً: «كل شيء حسب رأيي يتعلّق بتضامنهم الوطني وحكمتهم... وما يجب خوفه هو الخطر الذي يهدّد لبنان بضمّه الى (الباقي ؟)... والخطأ الكبير... هو في اعتقادهم بأن باريس تقرّر. بديهي أن الحكومة المركزيّة ترسم، لكن القرار يعد مسبقاً من بيروت... فهناك يجب التحرّك والتقرير، فالبطريرك والأعيان وأصدقاؤنا في بيروت في عرائضهم وتنسيقهم مع غورو كانت لهم طروحات ناضجة ووجهات نظر قاطعة... لقد قمت بواجبي... وفي ساعة المات، ستكون تعزيتي بأنّي خدمت بلدي وأجيال الغد... ورغبتي الوحيدة هي الاياب الى هناك... وأصل بدون أن يعرفني أحد، وأتنقّل بين القرى البعيدة التي لا تصلها الطرقات، لأعيش ما بقي من الحياة عيشة الماضي... فأريد قبل الموت أن أشفي حنيني الى الوطن»..[3].

---

١ — بعض اللبنانيين في أميركا طالبوا بالوصاية الأميركية، وكان مقابل ذلك بعض الصحفيين السوريين واللبنانيين في مصر ينادون بهذه الوصاية وقد اتخذوا من مجلّة المقطّم التي يديرها كلّ من يعقوب صرّوف وفارس نمر منبراً لترويج أهدافهم التي لخّصها تقرير الأمانة العامة للبحرية الفرنسية في بور سعيد بقوله:

“Le programme de ce parti consisterait à demander l’indépendance complète de la grande Syrie sous le contrôle et la direction temporaire du gouvernement des Etats-Unis d’Amérique... ce parti serait appuyé en Syrie par une bonne partie des musulmans, des druses, par les protestants et les grecs orthodoxes en général”.

٢ — Arch. Patr. Maronite Annexe N° 54.

٣ — Ibid. N° 63.

تجد في هذه الوثيقة بوحاً عاطفياً من قبل شكري غانم يشكو فيه الى المطران خوري حالته النفسيّة وبعده عن وطنه ومواقف الآخرين نحوه.

وشملت التحركات اللبنانية جميع أنحاء العالم من سيدني في أوستراليا، الى أميركا، وتشيلي، والمكسيك، واجمعوا على مطالبة المسؤولين الفرنسيين ومؤتمر الصلح، باستقلال لبنان الكبير والحماية الفرنسيّة له، وقد اختصرت احدى البرقيات الموجّهة من رئيسة الاتحاد اللبناني في المكسيك للرئيس الفرنسي بوانكاريه Poincaré بتاريخ ٨ أيلول ١٩١٩ أماني لبنانيي الاغتراب بالطلب اليه: «تأييد مساعي بطريركنا وممثّلنا لاستقلال لبنان المنفصل عن سوريا، بالحدود القديمة، بظل حماية فرنسا»[1].

ثالثاً: التحرّك اللبناني الرسمي الأول:

بينما كان القلق يساور نفوس اللبنانيين على مستقبل بلادهم كانت دول الحلفاء المنتصرة منهمكة في اعداد مؤتمر عام للسلام، يقضي على اسباب الحروب. وقد انعقد مؤتمر الصلح في قصر فرساي في باريس، وبدأ المنتصرون يعدون لاقتسام بلاد المشرق والتي كانت خاضعة للأتراك باعتبارها أراضي «العدو المحرّرة» وقد حاولوا ابقاءها خارج أبحاث المؤتمر ليسهل اقتسامها فيما بينهم، مع العلم أن رئيس الولايات المتحدة ولسن كان يرغب في أن يدعو مؤتمر الصلح الى حقّ تقرير المصير للشعوب وتوطيد السلام، وإنشاء منظمة عالمية لفضّ المنازعات الدولية وصيانة السلم العالمي.

الوفد اللبناني الأول:

في ٩ كانون الأول ١٩١٨ أصدر مجلس ادارة لبنان القديم، الذي ألغاه الأتراك أثناء الحرب، وأحياه دي بياباب في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٨، بعد انهاء الحكم العربي في بيروت وبعبدا، قراراً يطلب فيه توسيع «لبنان الى ما كان به من التخوم تاريخياً وجغرافياً وما تقتضيه منافعه الاقتصاديّة». «وتأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بواسطة رجال من أهله... ومساعدة دولة فرنسا... وشكّل المجلس وفداً برئاسة داوود عمّون وعضوية محمود جنبلاط وعبد الله الخوري واميل اده وابراهيم أبو خاطر وعبد الحليم الحجّار وتامر حمادة، لعرض هذه المطالب في مؤتمر

---

١ — Arch. fr. Ann. N° 146.

الصلح في باريس...[1] ودعم مجلس الإدارة قراره بحجّة قدم استقلال الجبل الإداري، أمّا بشأن توسيع الحدود فقد برّره بقوله: «إن لبنان الحالي لا يغل من الحبوب إلّا ما يقوم بحاجة أهله لمدّة شهرين فقط بحيث اذا سدّت عليه موانئه وسهوله المذكورة أي (بيروت وصيدا وصور وملحقاتها والبقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا) كان ذلك بمثابة القضاء عليه بالمجاعة كما حدث في هذه الحرب ممّا قضى على نصف أهاليه جوعاً.

وكلّ ما قيل على دور السياسة الفرنسيّة في استصدار القرار، فقد أثار عقب نشره في جرائد بيروت، غلياناً في الأفكار في المدينة. فمؤيّدو السياسة البريطانية — الشريفية غضبوا وقدموا عرائض للسلطات الحليفة[2].

وبدأت تحرّكات اللبنانيين منذ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ فألّف مجلس إدارة لبنان وفداً من أعضائه ليعرض على مؤتمر السلام المطالب الآتية: أولاً توسيع حدود لبنان بحيث تتناول جميع الأنحاء المنسلخة عنه في عهد الدولة العثمانية، وثانياً الاعتراف باستقلال لبنان التام وبحقه في اختيار نوع الحكم الذي يصلح له، ثالثاً انشاء مجلس نواب منتخب على قاعدة التمثيل النسبي تأميناً لحقوق الأقليات ويكون لهذا المجلس حق التشريع والتمتّع بجميع ما تتمتّع به مجالس النواب في الحكومات الديمقراطية من الحقوق والامتيازات، رابعاً معاونة فرنسا له ومساعدتها لحكومته الوطنية وتأييدها لاستقلاله[3].

وصل الوفد الأول الى باريس في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٩. وقبل الخوض بتحرّكات الوفد في باريس، من المهم معرفة شيء عن اتجاهات رئيسه السياسية طالما اتهمت فرنسا باستصدار القرار وتعيين عمون رئيساً للوفد.

---

١ — أعضاء الوفد اللبناني الأول الذي وصل الى باريس هم: داوود عمّون، عبد الله خوري سعادة، اميل اده، عبد الحليم الحجار ونجيب عبد الملك.

٢ — Lyne Lohèace: Le Liban à la conférence de la paix (1919 - 1920) Paris 1972, p. 47.

٣ — نذكر هنا احتجاج «الاتحاد اللبناني» على قرار المجلس بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٩١٨ والذي طعن في «حرية اتخاذ القرار، وصلاحية المجلس لوضع هذا القرار شكلاً وموضوعاً».

كان عمون يسعى للإستفادة من البرنامج التحرّري في دستور ١٨٧٦، العثماني وحمل غير المسلمين من مسيحيين ويهود للاستفادة منه سنة ١٩٠٩، والانخراط بالخدمة العسكرية.

كما أن داوود عمّون كان صديقاً حميماً لشكري غانم. وكلاهما يؤيّد السياسة الفرنسية. وإذا كانت السلطات الفرنسية مطمئنّة من موقف رئيس الوفد، الذي يطالب بالاستقلال الذاتي مع المساعدة الفرنسيّة، فإنّها كانت قلقة لوجود عبد الحليم الحجّار في الوفد، «فهذا المندوب هو مسلم، وطيلة وجوده في بور سعيد أعطى انطباعاً بأنه غير مؤيّد تماماً لفرنسا. فلتجنّب بعض المصاعب المزعجة من قبله سيكون من المفيد مراقبته وأشغاله بالنزهات».

وفور وصول الوفد الأول الى باريس في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٩، أدلى رئيسه بتصريح لجريدة Le Temps قال فيه: «إن لدى الوفد تفويضاً بطلب إعادة لبنان الى حدوده التاريخية والجغرافية وتأكيد استقلاله الذاتي ومنحه مجلساً تشريعياً وطلب المساعدة الفرنسية»، وبعد أن يؤكّد تمثيل مجلس الإدارة للبنانيين، وبعد أن يوضح بأن الوطن الذي يريده هو لبنان الحر من كل قيد في حدوده القومية والطبيعيّة، يمهّد عمون لطلب المساعدة الأجنبية عبر اعترافه بعجز اللبنانيين عن تطوير اقتصادهم وتنظيم حريتهم بمعزل عن مساعدة دولة أجنبية. هذه الدولة ليست سوى فرنسا التي «دافعت عنّا في كلّ زمن، ودعمتنا، ووجّهتنا، وثقّفتنا وأنجدتنا»، فأي خطر يراه في مشروع فرنسا في سوريا الكبرى طالما هو داعية استقلال ذاتي؟. «اذا دعيت فرنسا لتقديم مساعدتها لكامل سوريا. فسنرحّب بهذا القرار بفرح، لأنّه بحصولنا على استقلالنا الذاتي الداخلي في سوريا الكبرى تحت النفوذ الفرنسي. فسنكسب بدون خصام مكاسب حقيقيّة من الوجهة الاقتصاديّة وأملنا سيكون أكثر ضمانة. وعلى هذا الأساس فنحن على اتفاق تامّ مع برنامج اللجنة المركزيّة السوريّة[1].

وفي ١٥ شباط ١٩١٩، عرض رئيس الوفد اللبناني، أمام مجلس العشرة، بياناً بالمطالب اللبنانية مرفقاً بالخريطة للحدود الطبيعيّة والتاريخيّة التي يطالب بها الوفد حسب خريطة الحملة الفرنسية ١٨٦١، فمن الشمال النهر الكبير. ومن الجنوب نهر القاسمية،

---

١ — يوسف السودا، المرجع السابق، ص ١٦٩.

ومن الشرق السلسلة الشرقية عند الحدود الحالية لأقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا، ومن الغرب المتوسط[١]. وبذلك يشمل لبنان مدن طرابلس وبيروت وصيدا وأقضية عكار وبعلبك وحاصبيا ومرجعيون. ربط البيان هجرة اللبنانيين بقلّة السهول والموانىء البحرية. لذلك يأمل من توسيع الحدود زوال الضيق الاقتصادي بحيث تتأمّن الحياة للبنانيين المقيمين وتسهل عودة المهاجرين الى وطنهم. ولم يفت الوفد، في مطالبته بالحدود الطبيعيّة والتاريخية، أن يقرن الحجج التاريخيّة برغبات سكان المناطق المعنية بالضم. فليس بروح الفتح يطلب لبنان حدوده القديمة، وإنّما بحجّة مهمة تغلب دائماً الاعتبارات الأخرى وهي الحقّ بالحياة.

ويقول يوسف السودا تعليقاً على خلو مهمة الوفد الأول من المطالبة بالاستقلال السياسي هو الأهم في الموضوع. «لذلك لاقى الوفد معارضة شديدة» خصوصاً من قبل الاتحاد اللبناني في مصر واللجنة اللبنانية في باريس. فبينما قدم الاتحاد اللبناني في الاسكندرية الى مجلس ادارة لبنان في أواخر ١٩١٨، احتجاجاً على قراره بإرسال وفد للمطالبة بالاستقلال الإداري، نجد عباس بجّاني رئيس اللجنة اللبنانية في باريس يوجّه في ١٤ شباط ١٩١٩، احتجاجاً الى الأمانة العامة لمؤتمر الصلح على مهمة الوفد اللبناني وطالبها بإرسال لجنة تحقيق لتدقّق في أماني اللبنانيين في لبنان وفي مراكز اغترابهم الرئيسيّة كما طالب مؤتمر الصلح أن يعمد الى دعوة جمعية وطنية عامة يكون لوحدها الحق في إقامة النظام اللبناني العتيد. ثم طالب بجاني أن يسمع مؤتمر الصلح صوت المغتربين اللبنانيين، الذين احتفظوا بهويتهم الوطنية[٢]. لقد كلّف فيصل نفسه بالتحدّث على لبنان، ثم سمح لشكري غانم وللدكتور بلس رئيس الجامعة الأميركية في بيروت. والآن سمح المؤتمر بالكلام لوفد مرسل من قبل مجلس ادارة لبنان، وهو يمثّل تماماً وجهة النظر القومية في المسألة اللبنانية[٣]. أمام هذا الأمر حاولت اللجنة اللبنانية في باريس تعديل موقف الوفد اللبناني من المطلب الاستقلالي، فدعت هذه اللجنة باسم

١ ـــ راجع الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، المرجع السابق، ص/ ١٥٧/.

٢ ـــ Lynelophéac: Le Liban à la conférence de la paix op. cit., p. 15, 16.

٣ ـــ "Lettre du comité libanais à Paris, le 14 fév. 1919, au secrétariat général de la conférence de la paix".
- Arch. fr. des aff. étr. Annexe N° 24.

الجمعية اللبنانية، إلى حفلة على شرف مندوبي الحكومة اللبنانية في ٢٧ شباط ١٩١٩. لكن داوود عمون، رئيس الوفد رفض الدعوة بحجة أن المهمة الموكولة الى الوفد رسمية وبالتالي لا تسمح بالاتصال بأفرقاء ذوي اتجاهات معيّنة وذلك لتنفي عنها كل شبهة.

وبعد اللقاء الذي تمّ بين فيصل وكليمنصو في ١٦ نيسان ١٩١٩، حصل تقارب فرنسي ـــ عربي نتيجة اعتراف **فرنسا المبدئي** «بحق سوريا في الاستقلال بشكل اتحاد فدرالي يتألّف من حكومات محلية تتمتّع بالاستقلال الذاتي ممّا يتناسب مع تقاليد السكان ورغائبهم. وإن فرنسا مستعدّة تمام الاستعداد لتقديم عونها المادي والمعنوي لدعم هذا التحرّر الذي فازت به سوريا». وفي العشرين من نيسان أرسل فيصل الى كليمنصو رسالة يعده فيها بالعمل للحفاظ على العلاقات التقليديّة الطيّبة بين بلاده وفرنسا وساهم الكولونيل لورانس في التمهيد للتقارب الفرنسي الفيصلي برسالته الى كليمنصو يدعوه فيها لموافقة فيصل على استقلال سوريا[١].

وصل فيصل الى بيروت في ٣٠ نيسان ١٩١٩. ويبدو أن عودته الى سوريا، بعد محادثاته مع كليمنصو، كانت بهدف تهيئة الأجواء للإتفاق مع الفرنسيين. لذلك «خلال وجوده في بيروت ومنذ وصوله الى دمشق التزم الأمير فيصل بدقّة بالخط السياسي الذي رسم في باريس. في جميع خطبه في الأندية والجوامع والمجالس كان يدعو السوريين الى ضرورة التقرّب من المسيحيين ومن الغرب[٢].

إلّا أن وفاقاً وتقارباً من هذا النوع كان لا بدّ له من أن يغيظ اللبنانيين. فهذه معادلة حسّاسة بين موارنة لبنان وفيصل وفرنسا. إذ لا بدّ لأي تفاهم بين طرفين من هذا المثلّث، من أن يؤدّي الى مخاصمة ومعارضة الطرف الثالث. لذلك اعتبر التقارب العربي ـــ الفرنسي فشلاً لمهمة الوفد اللبناني الأول رغم مجاملة الحكومة الفرنسيّة لأعضائه[٣]. بينما كان المفوّض السامي الفرنسي في بيروت يتحدّث عن الأثر الطيّب لنجاح هذا الوفد، وينقل شكر مجلس الإدارة اللبناني لفرنسا عن لسان رئيسه حبيب

١ ـــ زين زين، المرجع المذكور سابقاً، ص/ ١١١/.

٢ ـــ خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص/ ١٠٢ ـــ ١٠٣/.

٣ ـــ حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٥٩/.

باشا السعد. والذي حصل أنّه في ظلال التفاهم الفيصلي — الفرنسي، وفي أجواء الاستقبال الحافل الذي لقيه فيصل من قبل السلطات الفرنسيّة في بيروت، تحرّك البطريرك الحويك ورئيس مجلس إدارة لبنان «لأحداث حركة لصالح استقلال لبنان الكبير التّام الذي لا يحفظ أي رابط له مع سوريا ... فالإجتماعات تتعدّد والأكثر تحمّساً يلقون بعض الأحيان حتى الخطب المؤسفة بخصوص فرنسا»[1].

ونتيجة لهذه السياسة التي شغلت اللبنانيّين، عقد اجتماع لمجلس الإدارة في ٢٠ أيّار ١٩١٩، تمّ فيه وضع القرار اللبناني الثاني، بعد قرار ٩ كانون الأول ١٩١٨، بخصوص المستقبل اللبناني. والجديد في القرار يكمن في المناداة باستقلال لبنان السياسي والإداري بحدوده الجغرافية والتاريخيّة، على أن تتّفق الحكومة اللبنانيّة والحكومة الفرنسية، والمساعدة على تقرير العلاقات الاقتصادية بين لبنان والدول المجاورة. وقد رفع مجلس ادارة لبنان في ٢٥ أيّار ١٩١٩ الى الكومندان (سوشيه) حاكم جبل لبنان صورة عن القرار وطلب منه أن «يتكرّم برفعه الى مؤتمر الصلح في باريس بالطريقة الرسمية»[2]. وقد لاقت مطالب المجلس الإداري دعم اللبنانيين وتأييدهم عل صعيد العرائض والتحرّكات السياسيّة.

إن العمق التاريخي للنزعة الاستقلاليّة في لبنان كما رأيناها منذ العهود الفينيقيّة الى ما زرعته الروح المارونيّة على مدى ثلاثة عشر قرناً الى فخر الدّين الى الأمير بشير ما كان ليخبو أمام سطحية أصوات حديثة العهد في لبنان. في بدء قصّته مع العرب اعتبر لبنان وأهله وأرضه اعداء. فشنّت الحروب بغية القضاء عليهم والاستيلاء على ديارهم

١ — Lettre de G.F. Picot, Beyrouth, le 23 Mai 1919 aux A.E.

٢ — ويذكر يوسف السودا في «سبيل الاستقلال» ص/ ١٧٩/ قراراً آخر لمجلس الإدارة جاء فيه: «لبنان استناداً على تاريخه الذي يؤيّد استقلاله، واعتماداً على تصريحات مجالسكم العالية المحقة التي تعطي الاستقلال للشعوب المظلومة وتعيد لهم حقوقهم المهضومة واللّازمة لحياتهم، ينادى بلسان مجلسه الإداري الكبير باستقلاله الإداري والسياسي بحدوده الطبيعيّة التاريخية بمساعدة فرنسا وبتأسيس حكومة ديمقراطية على مبادىء الحرية والمساواة. على ثقة بأن الدول المتحالفة التي تفانت لأجل حرية الشعوب لا تحرم لبنان المسكين الذي نكب واضطهد في هذه الحرب من ثمرة انتصاراتها أسوة بسائر الشعوب التي أعيدت لها حقوقها المهضومة، ٣١ مارس سنة ١٩١٩).

لكنّ مقاومتهم أجبرت الغزاة على عقد المعاهدات معهم والاعتراف بهم قسراً. أيّام العثمانيين اعتبر اللبنانيّون المسيحيّون أجانب على أرضهم واعتبرت أرضهم اسلامية فأعطوا أنظمة خاصة. لكن محاولة فيصل ومن التفّ حوله كانت أخطر المحاولات. فهي أرادت أن تعتبر لبنان بشعبه وأرضه ملكاً عربياً. ممّا أثار حفيظة اللبنانيين والمسيحيين منهم بشكل خاص ازاء محاولة الضم والتذويب هذه. ولا عجب فإن القرون القمعيّة التي عاشها هذا الشعب المسيحي من جرّاء الاعتداءات المتواصلة عليه قد أثّرت فعلياً على فكره السياسي القومي. ومن واجه جيوش الفتح والأمويين والعبّاسيين والمماليك والقبائل العربية والأقطاع والعثمانيين حباً بالبقاء الحرّ المستقل الكريم لا شكّ يرفض الاستسلام لمن يمثل تراث كل هؤلاء المعتدين. وفيصل يقول في حزيران ١٩١٩ لوفد جاء من لبنان مهنّئاً بعد عودته من أوروبا: «إن لبنان في نظرنا ونظر العالم أجمع عين سوريا بل حصنها المنيع. وإن بيروت هي ثغر سوريا وبابها ولا يمكن أن يتخلّى الإنسان عن باب بيته... ربما يخاف بعض اللبنانيين من أخطاء الماضي، ونحن نشعر أن خوفهم هذا لا يلامون عليه كما هو عالق في الأذهان وباق من مساوىء الماضي وسوابق الخطأ ولكن الماضي مضى، ولن يعود ذكره في تاريخنا الحديث[1].

لم تكن ذاكرة اللبنانيين لتنسى أصالتها وما عانته في سبيل الحفاظ عليها وعلى حريتها. ومن ينسى الماضي ينساه المستقبل ومن يعتبر الماضي يضمن المستقبل. وتهب ارادة لبنانية أصيلة لمواجهة فيصل والتيّار العروبي الذي يناصره وبذور الفرقة التي غزاها الإنكليز. لتؤكّد ديمومة الهوية اللبنانية ونزعاتها الثابتة عبر أجيال من النضال. يطلق الصوت الأول وإن مبهماً عبر قرار مجلس الإدارة (أول كانون الأول ١٩١٨) الذي يحمله الى مؤتمر الصلح الوفد اللبناني الأول برئاسة داوود عمون مطالباً باستقلال لبنان الإداري وتوسيع حدوده المهضومة وقد جاء في القرار بعض الحيثيّات المعبّرة: «من حيث أن جبل لبنان لم يزل منذ القديم وخصوصاً منذ الفتح العثماني لسوريا في عهد السلطان سليم الأول متمتعاً بحكومة وطنية مستقلّة تشمل جبل لبنان بحدوده الجغرافية والاقتصادية وقد امتدّت في عهد بعض أمرائها كالأمير فخر الدين المعني الى حدود عكّا

١ — أكرم زعيتر: مجلة الحوادث العدد ٩٧٨ — ٨ آب ١٩٧٥، ص/ ٦٤/.

وقيصرية... وبما أنه في سنة ١٨٦١ عقب الحوادث المشؤومة التي دبرتها الحكومة التركية. أقرّت دول أوروبا في مؤتمر بيروت على استقلال جبل لبنان ووضعت له شكلاً مخصوصاً ووضعته تحت كفالتها...» إلى أن يورد القرار المطالب بوجوب:

«توسيع نطاق جبل لبنان الى ما كان معروفاً به من التخوم تاريخياً وجغرافياً وما تقتضيه منافعه الاقتصادية بحيث يكون بلاداً قادرة على القيام بحياة شعوبها ومنافعهم وثروتهم وبحكومة راقية منظّمة وتأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائيّة بواسطة رجال من أهله»[١].

ويعقب ذلك اعلان رسمي لاستقلال لبنان صادر عن مجلس ادارة جبل لبنان في العشرين من أيّار ١٩١٩ وقد كرّر المناداة باستقلال لبنان السياسي واعتبار البلاد المغصوبة منه بلاداً لبنانية كما كانت قبل سلخها عنه. وتقديم هذا القرار لمؤتمر الصلح العام[٢]، وإذا بالصوت الأكبر ينطلق بأكثر فاعلية ووضوحاً حيث تخطّى المطالبة بالاستقلال الاداري الى التركيز على الاستقلال السياسي التام، عنيت به صوت البطريرك الماروني الياس بطرس الحويك[٣] الذي رأس الوفد اللبناني الثاني الى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس منذ ١٨ كانون الثاني ١٩١٩. إنّه صوت لبنان الصافي النابع من أعماق التاريخ، حاملاً فيه صفاء الجبل وعناده، وأصالة التراث الماروني البعيد الأغوار، وقد ظلّ العمل البطريركي اللبناني مستمراً بإيفاد الوفد الثالث برئاسة المطران عبد الله خوري الذي عكف على استقطاب التأييد الفرنسي لمواجهة خطوة فيصل بإعلان ملكيّته على سوريا ولبنان، وتتفاعل الأحداث ويقرّر مؤتمر سان ريمو اعلان انتداب فرنسا على لبنان وسوريا إلى أن تقتنع فرنسا وتعلن بلسان الجنرال غورو سنة ١٩٢٠ دولة لبنان الكبير المنفصل عن ملكية فيصل، وقد أوضح غورو بأنه قبل تعيين

---

١ — بشارة الخوري، المرجع السابق، ص/ ٢٦٩ — ٢٧١/.

٢ — المرجع نفسه، ص/ ٢٧٢ — ٢٧٣/.

٣ — بطريرك الطائفة المارونية من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٣١ ولد في قرية حلتا — البترون سنة ١٨٤٣ توفي في بكركي سنة ١٩٣١. (حرفوش — المرجع نفسه ص/ ١٤ و٦٩٩/، ونجد في المرجع نفسه «دلائل العناية الصمدانية» ترجمة كاملة لحياة البطريرك ومنجزاته في الحقلين الديني والوطني) وسنأتي مفصّلاً على أعمال هذا البطريرك ودور البطريركية المارونية.

حدوده (لبنان) استشرت الشعب واستناداً الى تعهّدات فرنسا وإلى المبادىء التي أوحتها جمعية الأمم المتحدة استطيع أن أقول أني لم يكن يخطر لي غير أمر واحد وهو تحقيق أماني الشعب الذي كان يجاهر بها بملء الحرية وخدمة صوالحه المشروعة[١].

لكن الحقيقة اللبنانية وإن سطعت ما اسكتت أصوات النشاز التي ما فتئت هي، هي، ولا تزال حتّى اليوم تنخر الكيان اللبناني في الدّاخل مطالبة بكل شيء إلّا بالولاء للبنان. ما هو سبب هذا الواقع المؤلم؟ أضعف بالكيان بالذّات. يشكّك به هؤلاء المتأرجحون؟ أم ضعف بأنفسهم يمنعهم عن الولاء للوطن ويلقيهم على أعتاب الطامعين به باسم العروبة والدين؟ غريب أمرهم! أي دينٍ هو هذا الذي يدفع الإنسان الى الغربة في وطنه ويحرّضه على تقويض هذا الوطن إن لم يستطع الاستيلاء عليه؟ وما هو أثر هذا الكيان على الدين حتّى يعمل ضدّه طالما أن الحرية الدينية مؤمنة لكل الأطراف؟ هل يكون الخلاف في الدين سبباً لخلاف حضاري عميق الجذور وتفاوت اجتماعي لا يمكن التخلّص منه؟ أم أن الصعوبة والمشكلة تكمن في المزجيّة المستمرّة للعقيدة الدينية والتوجّه السياسي؟ من تراه يكون هذا الإنسان الذي يرفض مناخ الحرية الشامل لقاء حرية دينية بحتة واستعباد سياسي واجتماعي؟ أهو عود الى الأصالة النسبيّة، حيث كل يريد أن يربط هذا الوطن بالأرض التي نزح منها أو انتمى اليها في عصر من العصور السالفة؟ أليس في مثل هذه النزعات المتوارثة بذور الخلافات والنزاعات؟ فأي لبنان يريدون؟ لماذا يغربونه عن ذاته وأصالته الفريدة؟ فهلّا يتلاقون حول وطن علماني المنهج السياسي، عصريّ التطلّعات والمرامي المستقبليّة، حيث تترك للأديان والطوائف والمذاهب حريتها في الممارسة والاعتقاد؟ ما همّ إذا كان الدّاعي إلى هذا التلاقي ممثل الموارنة والمسيحيين ما دام هدف «بطريرك لبنان» كما لقّبه اللبنانيون أنفسهم، جمع شتات الوطن وتوحيد الكلمة من أجل حرية الاستقلال كاملين؟

---

١ — المرجع نفسه ص/ ٥٩٧ — ٥٩٨/.

الفصل الرابع
البطريركيّة المارونيّة والكيان اللبناني

أولاً: لمحة تاريخيّة عن المارونيّة والتعدّد الطائفي:

لبنان مركّب طوائف، يقود كلّ واحدة منها زعيم روحي، ومنزلة الرؤساء الروحيين الموارنة وخصوصاً البطريرك، لدى أبناء الطائفة، ودورهم في التوجيه والقيادة أشهر من أن يعرّف. حتّى أن بعضهم يرجع ثبات الموارنة في جبل لبنان وتماسك بنيتهم الاجتماعية الى تلك الوحدة والطاعة التي تشدّ عموم الطائفة الى القيادة الروحية. «إن البطريرك الماروني ليس فقط رئيساً روحياً كما هم أصحاب المقامات في الكنيسة الكاثوليكيّة في أوروبّا، فله أيضاً صفة القائد الزمني. وهذا تقليد تاريخي منذ عصر بطريركهم الأول في لبنان القديس يوحنا مارون. وكان أحياناً يجمع في السابق، الى هاتين الصفتين، سُلُطات عسكرية. من هنا منزلته المهمّة ليس فقط لدى أبناء طائفته، وإنّما أيضاً لدى أسياد المنطقة الذين توالوا على حكمها. فيجب ألّا ننسى، أنه بين كلّ البطاركة الشرقيين، وحده رئيس الطائفة المارونية لم يكن خاضعاً مطلقاً لإرادة الباب العالي في زمن السيطرة العثمانية.

لقد لعبت كل طائفة من الطوائف اللبنانية دوراً بارزاً ومميزاً خلال فترة من التاريخ اللبناني بحسب علاقاتها مع الأمير الحاكم، وبصلاتها الحسنة مع الدولة القوية، قريبة أم بعيدة من لبنان. ولربما لعبت المتغيّرات دوراً مهماً، فأثّرت في تاريخ لبنان السياسي.

فازدياد نفوذ طائفة مرتبط بنفوذ من يدعم مركز الطائفة داخلياً أو خارجياً، وفي منطقة محدودة في لبنان أو على كامل التراب اللبناني.

ومنذ قيام «لبنان الإمارة» لاحظنا توافقاً طائفياً ثنائياً بين الموارنة والدروز، لكنّه لم تتوفّر فيه مقوّمات الديمومة، ولم تتركّز وتثبت الثقة بين الفريقين، «ولبنان الكبير» الذي نحن بصدده، قام على توافق طائفي ثنائي بين الموارنة والسنّة إلّا أن قيامه كان منذ بدايته مهدّداً بالتمزّق والانشطار، لأن نظرتيهما الى لبنان، كانتا متضاربتين لا بل متناقضتان، ليس فقط عهد اعلان «لبنان الكبير»، إنّما منذ وجود كل منهما في لبنان. وان استعراضاً سريعاً لواقع هاتين الطائفتين ونوعية علاقتهما التاريخية بلبنان، يظهر مكمن الضعف والعطب في البنية اللبنانية الأساسيّة.

فما هي علاقة الموارنة بلبنان؟

ينتمي الموارنة أصلاً الى جماعة رهبانية سريانية انطاكية، قامت في نواحي قورش وأفاميا من سوريا الداخلية على أثر انعقاد المجمع المسكوني الرابع أي مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م. الذي كان من نتائجه أن انقسمت المسيحيّة بين مؤيّد للمجمع ومناهض له.

أمّا دعوة تلك الجماعة بالموارنة، فمردّها الى الدير الذي عاشت فيه وكان يدعى دير مارون تيمّناً باسم ناسك قدّيس عاش في منطقة قورش في أواخر القرن الرابع وابتداء القرن الخامس.

نعرف عن حياة هذا القدّيس ما يرويه أحد مؤرّخي القرن الخامس ثيودوريطس القورشي ومفاده أن الراهب مارون ولد في القرن الرابع، وإذ تخلّى عن العالم، مارس في صومعته وفي الهواء الطلق على الغالب حياة نسكية من أشدها صرامة. وما لبثت شهرته أن جذبت اليه اتباعاً كثيرين. «فأقبلت عليه الجماهير من كل صوب، وكان يشفي أمراض الجسد ويعالج النفوس بأدوية تناسبها حتى كثر عدد تلامذته. وكان الكمال المسيحي قد استهواهم، وكانوا يبحثون عن مثال، وعن قائد روحي اختبر الحياة. هؤلاء الأتباع سلكوا طريقه ودخلوا مدرسته يقاسمونه الخلوة وطريقة العيش. وبعد مماته اختلف سكّان الناحية حول رفاته الى أن أخذها أهالي أكبر قرية في الجوار وأصبح ضريحه محجّاً للزائرين. وعلت شهرته بعد ذلك، فشيّد الأمبراطور مرسيانوس

عام ٤٥٢ ديراً كبيراً بجوار أفاميا على اسمه [١] . وكان لهذا الدير الذي باستطاعتنا اعتباره مهد المارونيّة ، أهمية كبرى في حياة سوريا الداخلية من الناحية الدينية والحضارية ، من هنا كان أن أطلق اسم مارون أولاً على الدير وثانياً على الجماعة الرهبانية التي عاشت فيه وناضلت في محيطها عن عقيدة مجمع خلقيدونيّة بوجه النساطرة واليعاقبة ، وثالثاً على الجماعات الشعبيّة التي تحلّقت حول هذا الدير بالذّات والأديار التي كانت تابعة له في مناطق سوريا الداخلية .

وما لبث الشعور القومي أن خلق لحمة بين هذه الجماعات إزاء محاولات الهيمنة البيزنطيّة من جهة ، وإزاء الفتح العربي الاسلامي الناشىء من جهة ثانية . فبينما استقبل النساطرة واليعاقبة الفاتح العربي بالترحاب وفضّلوه على الأمبراطور البيزنطي المتعنّت ، انكمش الموارنة الخلقيدونيون على ذواتهم وشعروا بأن لا مجال للتوافق السياسي بينهم وبين هذا الغازي الذي جاء يفرض عليهم أمّا دينه ليسلموا وأمّا البقاء على دينهم تحت شروط الذمية التي تنتقص من كرامة الإنسان وحريته . ومن بوادر هذا الانكفاء على الذّات ورفض التبعيّة ، أنّ الموارنة حين انقطعوا عن بيزنطية قسراً واضطر بطاركة انطاكية الخلقيدونيّون الى البقاء في القسطنطينيّة خوفاً من العرب ، قد انتخبوا لهم بطريركاً من بين رهبانهم . يقول الخوراسقف يوسف داغر : « فلما رأى رهبان القديس مارون ، حماة المجمع الخلقيدوني ورعاة الشعب ، أن الرعية الأنطاكية ليس لها راع يرعاها ويدير عن كثب شؤونها ، أقاموا لها بطريركاً من ديرهم على ما روى المؤرّخ ديونيسيوس التلمحري بقوله : « كان لرهبان مار مارون اسقف يقيم في ديرهم وكان هذا الأسقف بمنزلة رئيس أو جاثليق يرجع اليه الموارنة في أمورهم . ثم عند اشتداد الخلاف بينهم وبين الملكيين أقاموا لهم بطريركاً ليحافظ على كيان أمتهم » .

ولا يخفى على أحد ما لهذا الحدث من أهمية دينيّة وسياسيّة في تاريخ الموارنة . إنّه دون شكّ انطلاقة المارونية السياسيّة وتأكيدها على الاستقلاليّة والحرية منذ نشأتها . ومن البديهي القول بأن من يقدم على خطوة كهذه من الرهبان والشعب الذي يلتفّ حولهم ، لا بدّ من أن يشعر بنداء قومي استقلالي يضجّ في أعماقه . في الواقع أن هذه الخطوة قد أعطت الموارنة حرية تصرّف في مجتمعهم بالنسبة الى بيزنطية من جهة وإلى

١ — P. Naäman, Theodoret de cyr et le monastère de Saint Maroun, Unv. S.E.K., 1971, p. 9.

العرب من جهة أخرى . من هنا كان أن خصوم الموارنة لجأوا الى الخليفة الأموي الذي لم يستشره الموارنة في انتخاب بطريركهم ، بينما انتخبوا هم بتأييد من الخليفة بطريركاً جديداً لهم اسمه توافيلوس ابن قنبرة . « وأخذ ابن قنبرة عسكراً من الملك مروان سنة ٧٤٧ لأجل إكراه الموارنة على الخضوع لسلطته وأتى به الى دير مارون وأخذ يضايق الرهبان لكي يقبلوا به بطريركاً ، وكان معه راهب متقدّم في السن شديد الحماس والتعصّب ، فدخل الى كنيسة الدير وضرب بيده على المذبح قائلاً : « متى تتقدّس أيها المذبح النجس؟ وفي الحال وقع ميتاً ، فاستولى الخوف على ابن قنبرة وترك الدير وعاد بجيش الخليفة خاسراً » [١] .

نستخلص من ذلك أن المارونيّة منذ اطلالتها كانت تحرّراً من كلّ هيمنة ، سواء كانت بيزنطيّة أو عربيّة ممّا أثار عليها الاضطهاذات العنيفة من كلّ جانب واضطرّ بطاركتها الذين قادوا مسيرتها الدينيّة والوطنيّة منذ البدء للهجرة الى جبل لبنان حيث كان العدد الكبير من الشعب الجبلي منذ القرن الخامس قد تنصّر على أيدي تلامذة مار مارون أمثال ابراهيم الناسك وغيره من الذين بشّروا على الأرض اللبنانية ، وكان معبد فينوس في أفقا ، بمثابة مركز للعماد والتبشير ، وتحول معبداً للعذراء مريم ، ونهر أدونيس تسمّى بابراهيم ، إلى ما هنالك من تحوّلات في الأرض والناس ، أدخلتها المارونيّة الدينيّة على البيئة اللبنانية منبتة فيها المارونيّة الإجتماعيّة ، ثم بعد ذلك السياسيّة .

ولئن تميّزت المارونيّة الدينيّة منذ البدء بأصالتها الشرقيّة وانفتاحها على الغرب ، فإن المارونيّة السياسيّة قد جمعت في بوتقتها مسيحيّي لبنان الأصليين ، ومن تبقّى من الوثنيّين (فينيقيين وغيرهم) في الجبل وسفوحه ، واعداداً كبيرة من الثائرين على الظلم السياسي والديني في المنطقة ، وبقايا الشعب المردائيتي (المردة) الذين أرسلهم الروم لمضايقة العرب ، فامتزجوا بالسكان اجتماعياً ودينياً .

يخبر البطريرك اسطفان الدويهي عن القديس يوحنا مارون ، مستنداً الى آراء المؤرّخين العرب والأجانب ما حرفيّته : « ويوحنا مارون [٢] من حين قبل وضع اليد

١ — يوسف داغر ، المرجع السابق ، ص / ١٦ / .

٢ — ذكر اسمه في وثيقة يعقوبية هي (كتاب معتقد اليعاقبة) وجاء فيها أن الموفد البابوي المرسل لدعوة المشاقين الى =

انتقل الى رعيّته، وصار في المواعظ والمراسلات وفي الدوران والتنبيهات، وفي حسن السيرة والصلوات يقودهم الى الطاعة ويشدّدهم في الإيمان القويم. فاستمثل الشعب بكلامه من غير مخالفة وارتدّ إليه جمع كثير من غرب وقرب ومن الذين كانوا متمسّكين بطبيعة واحدة ومن الذين كانوا يكرزون بمشيئة واحدة وصار قطيع عظيم جداً في الروح وفي الجسد، حتى أنه بمدّة يسيرة من الزمان تولّوا ليس فقط على مقاطعات جبل لبنان، بل تملّكوا جميع ما هو من القدس الشريف حتى الى طرف بلاد الأرمن، كما يخبر شيدران[1]، في كتاب تواريخه عن دولة قسطنطين اللحياني (٦٦٨ — ٦٨٥)، قائلاً: «أن في السنة الثامنة والتاسعة من ملك قسطنطين اللحياني دخل المتمرّدون[2] الى جبل لبنان وتملّكوا جميع ما هو من جبل موروس (اللكام) الذي في بلاد أرمينية الى بيت المقدس، وتولّوا أجراد (جرود) اللبنان (لبنان) وارتدّ اليهم نفر كثير من عبيد ويسرى (أسرى) وغرباء حتّى أن في مدة يسيرة من الزمان، نافوا على ألوف كثيرة. فرعبت هذه الأحوال معاوية وصحابته واستقرّوا أن ملك الروم منصان من العناية الإلهيّة فسفّروا الى قسطنطين الملك رسل (رسلاً) بطلب الهدنة والصلح، والملك وجّه الى المسلمين أمير الجيش، وعلى يده انعقد الصلح وتحرّر على صفايح بهذا الشرط أن العرب لمدة ثلاثين سنة يؤدّوا للروم كلّ عام، عشرة آلاف (دينار) ذهب ومائة أسير وخمسين حصان. ومن هذه الهدنة صار هدوء كثير لمملكة الروم»[3].

هكذا تكون الطائفة المارونيّة قد وجدت لها منذ البدء معقلاً أميناً في جبل لبنان حيث الشعب انطبع بإيديولوجيّتها الدينيّة والسياسيّة. وإزاء اشتداد الاضطهادات عليها

= الإيمان القويم، أقام يوحنا مارون أسقفاً على البترون ليحفظ اللبنانيين في الإيمان الكاثوليكي وكان ذلك سنة ٦٧٦. وصرّح يوحنا مارون بقوله: «نخاف على لبنان من أن يجتذبه الملكيون الى أمانتهم».

١ — Georges Cedrenos مؤرّخ بيزنطي ألّف «التاريخ العام من بداية العالم الى سنة ١٠٥٧. وكان راهباً عاش في القرن الحادي عشر».

٢ — لعلّ المقصود هنا الشعب المردائيتي الذي توافق وصوله الى لبنان مع الموارنة، فحصل بين الشعب شبه تحالف ديني وعسكري.

— اسطفان الدويهي، بيروت، ١٩٨١، ص/ ٤٦ — ٥٠ — ٦٠ / والحاشية ٢٥.

٣ — الدويهي، الشرح المختصر، أصل الموارنة وثباتهم في الأمانة، نشر الأباتي فهد ١٩٧٤، الجزء الأول، ص/ ٩٤ — ٩٥/.

في سوريا، تحصّنت في الجبل اللبناني، حيث أمّنت استقلالها الذّاتي وحريتها ونفحت في مختلف ساكني الجبل روح التمرّد على محاولات السيطرة المجاورة. ومن كانت هذه ايديولوجيّته تتنافى نظرته للوطن قومياً مع النظرة الإسلاميّة التي لا تتيح للمسيحي إلّا القناعة بحقوق الذميين وواجباتهم والشروط المحقّرة المفروضة عليهم. وتلخّص قوانين الذمية في ما يقال أن عمر بن الخطّاب فرضه على نصارى الشام حين صالحهم، فاشترط عليهم ألّا يحدثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجدّدوا ما خرّب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يأووا جاسوساً ولا يكتموا غشاً للمسلمين، ولا يعلّموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركاً ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الاسلام إن أرادوه، وأن يوقّروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ولا يتكنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلّدوا سيفاً، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزّوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيّهم حيثما كانوا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالنّاقوس، إلّا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين. فإن خالفوا شيئاً ممّا شرطوه فلا ذمة لهم، فقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق»[1].

رضيت طوائف كثيرة بهذه الشروط، لكن الموارنة ما كانوا ليرضوا يوماً بهكذا وجود مها كلّفهم رفضهم من التضحيات والشهداء. هجر رهبانهم وأكثرية قومهم على دفعات متتالية أرض سوريا حيث الانتقاص من الحرية والكرامة، واستقرّوا نهائياً في لبنان[2]، حيث كانت قاعدتهم الشعبية قد تركّزت منذ ابراهيم الناسك ويوحنا مارون، والنضال يواكب الوجود الماروني. فانتصروا على جيوش يوستنيانوس الثاني في أميون صامدين بوجه بيزنطية ومؤكّدين قوميّتهم المستقلّة، وصمدوا بوجه العرب مجبرين الأمويين على الاعتراف بوجودهم قسراً. وصمدوا بوجه العوامل الطبيعيّة، منتشرين

١ — الشروط العمرية، تحقيق صبحي الصالح، ص/ ٥ — ٦/.

٢ — نقولا زيادة، أبعاد التاريخ اللبناني، مرجع سابق، ص/ ١٣/.

على جوانب منابع نهري ابراهيم وقاديشا، ومن هناك توغّلوا نحو الشرق والجنوب والتصقوا بمجمل الأرض اللبنانية. وعملوا على نحت الصخور بصبر وإيمان، فأوجدوا فيها جنائن معلّقة أين منها سهول البلدان المجاورة فناً وعطاء.

وتفاعل الموارنة مع مجتمعهم العام في مختلف المناطق اللبنانية، حيث جاورهم فيما بعد، أجناس وأقوام، متعدّدة. وكانت لهم أول ثورة منفردة على العبّاسيين سنة ٧٥٩. هاجموا قرى البقاع، لكنّهم اخفقوا في هجمتهم التحريريّة، وحققوا سابقة معنوية بالغة الأهمية. فاشتدّ الظلم الذي لحق بهم ممّا أثار استنكار الإمام الأوزاعي الذي تخطّى حدود المذهبية الى الشعور الإنساني مع مواطنيه في بقعة واحدة. فكانت ظاهرته هذه بذور وحدة وطنية وإن لم تكن واضحة المعالم والغاية.

وأنمى الجور العبّاسي اللحمة القومية بين الموارنة، والنزعة الاستقلاليّة عن أي كيان اسلامي يهيمن على حريتهم. فاضطرتهم الأحداث الى تقوية تنظيمهم العسكري، ليتمكّنوا من الاحتفاظ باستقلالهم ومن التعبير الحر عن عقيدتهم. وكان تعلّقهم بشخص البطريرك رمز هذه القومية وهذا الاستقلال دينياً وسياسياً، سيّما وأن العرب أقرّوا للرؤساء المسيحيين بحقوق قيادة طوائفهم.

ومع خضوع الموارنة لسلطة بطاركتهم، حافظوا على قدسية الحرية، فكان لكل قرية شخصيّتها المميّزة وفرادتها وتحالفاتها ضمن القومية الشاملة التي كوّنت اللحمة الوطنية الضرورية عند الجميع.

وبازدياد الضغوطات الاسلامية على مسيحيي الشرق، ونمو روح المغامرة والروح الدينيّة عند الغرب المسيحي، انطلقت الحملات الصليبيّة الى الشرق، عرف خلالها الموارنة عهداً من السلام والطمأنينة وتمتّعوا باستقلالهم وحريتهم، ونمت قراهم ومدنهم وازدهرت كنائسهم وأديرتهم. وساعد الموارنة الصليبيين في حروبهم اذ اعترف هؤلاء بمهارتهم وفضلهم. وتمتّنت العلاقات بين الموارنة وكرسي روما والغرب. فكان لبطريرك الموارنة شأن كبير عندهم. ولم تكن سلطته تنحصر في المسائل الدينيّة، بل كانت تتعدّاها الى الأمور المدنية وترك له الصليبيّون الزعامة على أمّته.

وهكذا يكون الموارنة قد حافظوا دائماً على جوهر استقلاليّتهم حتى إزاء الصليبيين،

وأرسلوا ممثّلين عنهم مع ممثلي الصليبيين ليعلموا البابا بانتصاراتهم[١]. كما أنهم لم يتورعوا عن مجابهة الصليبيين أنفسهم على أيّام البطريرك لوقا البنهراني اذ حاول الصليبيون الانتقاص من حريتهم واستقلالهم[٢]. ولذلك اعتبرهم الصليبيّون بلسان قائدهم الملك لويس التاسع حين كتب الى البطريرك شمعون الثاني والأمير سمعان، أمة حليفة تامة الاستقلال، وبدأ رسالته: «إلى أمير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك هذه الطائفة وأساقفتها» وأعتبر الملك لويس حقوق الموارنة مساوية لحقوق الصليبيين أنفسهم[٣]. لكن عهد الصليبيين لم يدم، ففقد بذلك الموارنة عصراً ذهبياً مرّوا به في القرون الوسطى. وتوالت الانتقامات عليهم، فانصب حقد المماليك وغضبهم على الموارنة حلفاء الصليبيين، وعلى جيرانهم ومواطنيهم الشيعة خصوم مذهب المماليك. فحصل تقارب ماروني وشيعي، وتعاون الفريقان بوجه المماليك السنّة... وفي عام ١٣٠٥ حشد أصحاب مصر خمسين ألف جندي لمحاصرة الجبل، ونكّلوا بأهله، المتعاونين سوية من أجل استقلالهم. وكان أن سهّلت الظروف تلك، التقارب في العلاقات فيما بين الموارنة والدروز، تجاه العدو المشترك، وعرفت تلك الفترة عهداً من الصفاء والتعايش اللبناني. وفي سنة ١٤٤٤ رافق وفد يتألّف من الدروز والنصارى القاصد البابوي الى روما في رحلة صداقة وسلام[٤]. وكان حكّام الموارنة الزمنيين يلقّبون بالمقدّمين وأحياناً بالأمراء على طريقة الاقطاعيين في أوروبا، وكان الناس يجدون حريتهم على أيدي حكّام منهم «يوم كان الحكم في جميع الولايات المحيطة بها، بيد الباشوات والأغوات والولاة، المماليك ومن بعدهم العثمانيين.

١ — يوسف داغر، المرجع السابق، ص/ ٢٥/، وجاء عن مساهمة الموارنة في فتوحات الصليبيين (استرجاع طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وعكا وحيفا وبانياس وحصن عكا وحصن المنيطرة وحصون حلب وحارّان من بلاد الرها، وتعزّز دين النصارى). نقلاً عن كتاب المؤرخ الفرنسي راي: (تاريخ المستعمرات الفرنسية، ص/ ١٢/).

٢ — بولس نعمان، المؤتمر الماروني العالمي الثاني، نيويورك ١٩٨١.

٣ — كان الأمير سمعان، قائد الموارنة قد أنجد الملك الفرنسي لويس التاسع الى عكّا مع خمسة وعشرين ألفاً من الموارنة. هذه النجدة كانت سبب الرسالة له وللبطريرك شمعون الثاني. يوسف داغر، المرجع السابق، ص/ ٣٢/.

٤ — حتي، المرجع السابق، ص/ ٣٩٩/، ابراهيم عوّاد، لبنان في عهد المماليك، ص/

— طنوس الشدياق، أخبار الأعيان، المرجع السابق، طبعة ١٩٧٠، ص/ ٢٠٧، ٢٠٨/.

ورغم صغر المساحة التي كان يتحرّك عليها أهل الجبل ، وجد لامارتين ، «في مصر رجلاً ، وفي لبنان شعباً»[1] .

هذا الشعب الذي أخذ طريقه في التلاحم الوطني أيّام الأمراء المعنيين والشهابيين ، لم تكن له ذات التطلّعات الجوهرية . فالموارنة ساعدوا الأمراء لأنّهم ناصروا رؤياهم الوطنية في لبنان ، وألفوا مع الدروز جيشاً وطنياً ضدّ كل متعدّ على استقلاليتهم التاريخيّة . فقد وصل عدد جنود الموارنة الذين اشتركوا في المعارك أحياناً الى العشرين ألف مقاتل [2] .

من هنا كان لجوء الأمراء أنفسهم الى قوّة الموارنة . وهؤلاء اخلصوا . فأتخذ فخر الدين الثاني الدرزي من بيت الخازن مساعدين أمثال أبي نادر ، أبي صافي وابراهيم ، وعهد الى الشيخ يونس أبا ضاهر حبيش أمانة الخزينة العامة ، واعتمد على الأسقف الماروني جرجس بن مارون الأهدني للإتصال بالبابا بولس الخامس وقوزما الثاني دوق توسكانة ، لعقد معاهدة تحالف معها ضد الدولة العثمانيّة . ولا يبخل الموارنة بأي عطاء في سبيل كيانهم الاستقلالي (لبنان) . «ان الموارنة بوجودهم تحت سلطة دولة إسلامية فاتحة لم يكن باستطاعتهم المجاهرة بتمايز شخصيّتهم ومعاداة الدولة ، لذلك اضطروا الى مساندة الحكم الدرزي ، وممارسة «التقية السياسية» التي تعرّضوا لها خلال تاريخهم . انّ خضوع[3] الموارنة للحكم الدرزي لم يكن تقية سياسية أو تنازلاً اجتماعياً عن هويتهم ، إنّما كان أحد أوجه الاجتماع السياسي التي ساعدت على نشأة الإمارة وتمايزها ضمن البيئة العثمانية .

ومع ترسّخ علاقة الموارنة بروما ، والإنفتاح الماروني الرحب على حضارة الغرب ،

١ — مقال لإدوار حنين : عدّة التاريخ من التذكرة اللبنانية» .

٢ — حتي ، المرجع السابق ، ص/ ٤٠٨/ .

٣ — نحن نفضّل تعبير موالاة ، لأن الحاكم المعني ولو كان درزياً ، لم يكن باستطاعته الحكم دون الدعم الماروني وتأييد حكّامهم وبطريركهم . كما أن التقية السياسيّة هي غير مبدأ التقية الذي كان يتبعه الدروز تجاه الحكّام المسلمين ، لأن المبدأ الثاني كان خضوعاً ، أمّا الأول فكان أشبه بمشاركة ، لوجود كبار المدبّرين والكواخية الموارنة في حاشية الأمير الذي غالباً ما كان يستشيرهم ويأخذ برأي البطاركة والأساقفة في كثير من الأمور ، علماً بأن ذلك الحكم لم يشمل بصورة دائمة كل موارنة لبنان .

استطاع خريجو مدرسة روما الموارنة في اعلاء شأن الحضارة الشرقيّة بنقلهم اليها الفكر والأساليب الغربية على غرار ما فعل أسلافهم السريان بنقل الحضارتين اليونانية والهندية الى العربية . يقول المطران عبد الله خوري في تقريره عن مهمة البطريرك الحويك : «إن دور البطاركة الموارنة في تكوين لبنان يرجع بالأخص الى تأسيس الكلية المارونية في روما ... وفي المجال السياسي فإن دور البطاركة لم يكن بأقل أهمية . فكانوا يتدخّلون في كل مرّة تتهدّد فيها سيادة لبنان» .

ومع بروز الدور الماروني بين الشرق والغرب ، تمتع الموارنة بتأييد ملوك فرنسا وحمايتهم ، واستطاع مشايخهم أن يتقلّدوا مناصب قنصلية فرنسية هامّة (آل الخازن ، والسعد) . وقد أعطت هذه المجالات الموارنة حرية التصرف وأضفت على وجودهم طابعاً خاصاً في بيئتهم زاد فيهم النزعة الاستقلاليّة التي لاقت في حكم الأمير بشير الثاني الشهابي متنفّساً لتطلّعاتهم ، فدعموا حكمه وناصروا ابراهيم باشا المصري[1] ، ضدّ العثمانيين اعتقاداً منهم بأنه سوف يساعدهم على الاستقلال . لكنهم لم يتوانوا عن الثورة عليه مع باقي اللبنانيين ، متخلّين في سبيل ذلك حتى عن الولاء للأمير بشير سنة ١٨٤٠ . لكن معاناة الموارنة التاريخيّة تبقى الجرح الدّائم في كيانهم ووجودهم . إذ تشتدّ عليهم محاولات التضييق بعد بشير ، ويدخل عامل جديد في بلبلة نفوذهم ، تغذّيه المداخلات الدولية والدسائس العثمانية المتواصلة[2] ، حيث تلعب على وتر الطائفية البغيض ، الذي تسرّب اليه الخلل ، فانقسم الصف اللبناني الداخلي انقساماً مأسوياً . وإذا بالصراعات الطائفية مع الدروز تتحوّل الى مذابح دموية سنة ١٨٤١ ، وسنة ١٨٤٥ ، وإلى انفجار كبير سنة ١٨٦٠ [3] ، إثر تعاطف المسلمين والدروز غير اللبنانيين مع أقرانهم في لبنان[4] ، ومشاركتهم لهم في التعديات على القرى المسيحية البعيدة واستفرادها .

١ — راجع معاملة ابراهيم باشا للنصارى في بداية حكمه في : حسر اللثام عن نكبات الشام الطبعة الأولى ، مصر ، ١٨٩٥ ، ص/ ٦٧/ .

٢ — المرجع نفسه ، ص/ ٦٦/ . حيث تجد شرحاً مستفيضاً لسياسة القهر العثماني في لبنان .

٣ — الصليبي ، لبنان الحديث ، المرجع السابق ، ص/ ١٠٣/ وما بعدها .

٤ — في ١ تموز ١٨٦٠ ، كتب البطريرك الماروني وعشرة مطارين رسالة الى البابا ، يشكون ما يتعرّض له المسيحيّون =

نتيجة ذلك تكرّس نظام القائمقاميتين، وأظهر ثنائية المجتمع اللبناني، ومن دون أن يحقق بروتوكول ١٨٦١، البديل عن ذلك النظام، ما كان يصبو اليه الموارنة من استقلال تام عن تركيا والنفوذ المجاور لجبل لبنان. فظلّوا على انتظار كبير يطالبون بالاستقلال ويعملون له الى أن انتهت الحرب العالمية الأولى، وانتهت السلطنة العثمانية وما تمثّل من قهر وظلم للشعوب التي تريد حريتها وكيانها المستقل.

ثانياً: مواقف من دور البطريركية المارونية التاريخي:

إن سعي الطائفة المارونية الدائم الى الحرية والاستقلال نابع كما رأينا من توجّهات قيادتهم الروحية الأمينة على كرامة الإنسان وحقوقه. ذلك ما جعلهم يتحصّنون في جبل لبنان ويستميتون دائماً في الحفاظ على استقلاله بوجه كل المحاولات الضاغطة المستبدّة. ومنذ أن تولّى بطريركهم الأول كرسيّه عمل على التحرّر من بيزنطية والعرب على السواء، وعلى الصمود بأرض لبنان بوجه كل المعتدين. فالبطريرك دانيال الحدشيتي قاد سنة ١٢٨٢ المقاومة بنفسه ازاء المماليك الذين اعتبروا امساكه على حد قول ابن الحريري «فتحاً عظيماً أعظم من افتتاح الحصون والقلاع» وانتصر مقدمو لبنان على المماليك سنة ١٣٠٢. وبناء على التماس البطريرك موسى العكاري الذي لم يلبّه شارل الخامس في القيام بحرب استقلالية، أصدر السلطان سليمان أمراً همايونياً يوجب المحافظة بنوع خاص على حقوق الموارنة. ولقد اتفق البطريرك يوحنا مخلوف مع الأمير فخر الدين وأرسلا المطران جرجس عميرة الى أوروبا سعياً لمحالفات تضمن للبنان الاستقلال[1]. ووقف البطريرك يوسف التيّان بوجه الأمير بشير لمناصرة نابليون بونابرت. وما أبلغ ما قاله البطريرك يوسف حبيش لعمر باشا الذي جاء يسترضيه لكي يقبل به حاكماً على لبنان. قال: «أنت من الأشخاص الأكفّاء لتولي الحكم إنّما عيبك الوحيد هو أنّك

= من مذابح «بخيانة غادرة، أخذ الدروز يذبحونهم واحداً فواحداً حتى جرت دمومهم بالأسواق في (دير القمر) وذلك نظير ما صنعوا في بلدة حاصبيا». (مذبحة الجبل، مدخل كتاب حسر اللثام عن نكبات الشام، بيروت، ١٩١٣، ص. ك.

١ — راجع مشروع المعاهدة التي وضعها المطران جرجس بن مارون الأهدني بين فخر الدين الثاني والبابوية وتوسكانا في: عبد العزيز نوّار، وثائق اساسيّة من تاريخ لبنان الحديث، بيروت ١٩٧٤، ص/ ٧٤ — ٨٠/.

أجنبي، «ونحن لا نقبل حاكماً أجنبياً». وهل أبلغ من جواب البطريرك يوحنا الحاج لمن بلّغه وجوب طلب الفرمان السلطاني: «إن حقوقنا سابقة لوجود سلاطين بني عثمان ومعترف بها من قديم الأجيال، فضلاً عن أننا في البلاد أبناء لا غرباء والأبناء معروفة حقوقهم لا حاجة لهم الى الاعتراف بها».

أوردنا بعضاً من مواقف بطاركة لبنان الموارنة لأنّها تختصر الخطّ السياسي الذي جسّده البطريرك الياس الحويك في حقبة اعلان لبنان الكبير والمطالبة باستقلاله ورفض كل وجود الهيمنة الفيصلية عليه. وكائناً من كان البطريرك الماروني في تلك الحقبة، لا بدّ أنّه كان وقف ذات الموقف[1]. من هنا كان اقتناعنا بأن الاستقلال ليس هبة أجنبية للبنان. إن هذا الوطن الذي يكوّن الموارنة أحد مداميكه الرئيسيّة لا بدّ أن يكون مستقلاً وإلّا لخان الموارنة ذاتهم وتاريخهم بقبولهم أيّ مساومة على حرية لبنان واستقلاله. ولكي يكون الاستقلال تاماً، طالب الموارنة بضمّ بيروت والبقاع الى لبنان ليستطيع هذا الكيان أن يكون منفصلاً قولاً وفعلاً عن المحيط الذي يطمع بضمّه اليه، فقد خبر الموارنة من خلال تجاربهم التاريخيّة قساوة المعاناة في ظلّ الاحتلالات والتبعيات، كما ذاقوا الأمرّين من سياسة الدسّ والتجويع والتخويف والتهجير التي مورست بحقّهم وبلغت ذروتها ابّان الحرب العالمية الأولى، التي أظهرت حاجة جبلهم الى شاطئهم وسهلهم كمدى حيوي للكيان الاستقلالي في الوطن النهائي... وهكذا عزم البطريرك الحويك على الاستفادة من مناخات السياسة الدولية وأجواء مؤتمر الصلح والسلام المساعدة على تقرير مصائر الشعوب.

ودعماً لقرار مجلس الإدارة وخوفاً من نضوج مقترحات الإلحاق السياسي للبنان بالمشروع السوري، لأن فيصل كان يردّد «بأن لبنان هو جزء من سوريا»، انطلقت الشرارة التي أشعلت شعور اللبنانيين الوطني من أجل استقلالهم[2]. وبدأت العرائض والوفود تصل الى بعبدا وبكركي مطالبة بذهاب البطريرك الماروني نفسه الى باريس ليلاحق مطالب لبنان. وتكوكبت حول البطريرك كل المجموعات اللبنانية مشكّلة نواة

١ — Arch. du pat. Mar. op. cit., Ann. N° 37. (P.B.)

٢ — Mgr. Abdallah Khoury, une page de l'histoire, arch. du patr. Maronites, document N° 83, (p. 10).

لوحدة الشعب والأرض ، وينقل الخوراسقف يوسف داغر في كتابه بطاركة الموارنة ملخّصاً لخطوط السيد الياس طنوس الحويك يقول فيه : « جميع الشعب اللبناني من الطوائف فكّر في أنه ليس في البلاد أعزّ من مقام البطريرك الماروني ، وأسمى منه ، فاجتمعوا في بكركي عند البطريرك الحويك وطلبوا منه أن يعضدهم في السعي لخدمة الوطن ، ونظّموا الوكالات من جميع أنحاء لبنان القديم والأنحاء المطلوب إرجاعها اليه ، وعيّنوا غبطته مندوباً عالياً من قبل لبنان وأسموه « البطريرك اللبناني » ، ليسافر إلى فرنسا ويطالب مؤتمر الصلح بإرجاع حقوقهم المهضومة اليهم وتأييد استقلال لبنان المطلق »[١] . هذا وقد توالى على البطريرك سيل من برقيّات التأييد من اللبنانيين المهاجرين في الأميركيتين والى رئيس مؤتمر السلام في باريس كليمنصو ، وإلى رئيس جمهورية فرنسا ريمون بوانكاريه لدعم مسعى البطريرك الماروني في مهمته « المقدّسة لاستقلال لبنان الكبير والحماية الفرنسية »[٢] .

وكان جورج فرانسوا بيكو ، قد اجتمع بالبطريرك الحويك في ٢٥ أيّار ١٩١٩ ، ولمس منه رغبة أكيدة بالحضور الى باريس ليدافع شخصياً عن حريات واستقلال لبنان لدى حكومة الجمهورية ، ولدى مؤتمر الصلح . وجهد بيكو في ثني البطريرك عن عزمه ، وذلك لتحاشي الحرج السياسي مع توجهات فيصل ودور الحكومة الفرنسية ، فأخذ يختلق العراقيل ... لكن البطريرك يرى في سفره بالرغم من كبر سنه ، أنه أسهل طريقة لتهدئة الرأي العام[٣] ، وأجاب البطريرك زائره ، « بأن قرنة صغيرة من لبنان أحبّ إلينا من سهول سوريا »[٤] .

وقد دافع المطران عبدالله الخوري في أحد تقاريره التاريخية عن أبعاد

١ — Arch. du patr. Maronites, Ann. N° 83, (p. 11).

٢ — Arch. fr. des aff. étr. Ann. N° 146 et Ann. N° 48, 49, 52, 63.

٣ — Arch. fr. gr. Ann. N° 43. (série fr.) ..... "lettre de G.F. Picot, le 26 Mai 1919, à Clémenceau.

٤ — رغم تعاطفه مع القضية المسيحية ، لعب بيكو أدواراً متقلّبة ، بوحي من وزارة الخارجية الفرنسية نفسها وجاءت بعض تقاريره «المطمئنة للغاية» تصوّر الرأي العام الاسلامي والمسيحي بأنه مجمع على الانتداب الفرنسي ، كما كان على صلة وثيقة بمروّجي الدعاية البريطانية : راجع : حرفوش ، المرجع السابق ، ص / ٥٩١ — ٥٩٢/ مع الحاشية رقم ٦.

فكرة الحويك التي عارض فيها المخطّط الفرنسي في سوريا ، وردّ على بعض اللبنانيين وغيرهم من الذين كانوا يميلون الى الوحدة مع سوريا بأي وجه كان وقال : « هل من الممكن اقناع المسيحي والقبول برضى الحكم الاسلامي ؟ لقد نسي البعض بأنّ المسيحي يعتبره المسلم ككائن وضيع (أدنى منه) ولا قيمة لدمه . فلماذا فضّل مسيحيّو لبنان في كل العصور ، « جفاف صخورهم ، على سهول سوريا الخصبة ؟ أليس حبّاً بالاستقلال ؟ ... لقد كان لبنان ، ملجأ المسيحيّة ، ويجب أن يظلّه على الدوام ... والحاقه بسوريا بأي رابط ، مهما كان محدوداً ، يعني تعريضه كما بالأمس للخراب والمذابح المتتالية ... إنّ نصف شعبنا كان ضحية التعصّب الإسلامي في الحرب العالمية ... فلا يقولنّ أحد بأنّ ظالمينا الأتراك لم يعودوا في سوريا ... فهل تضمن فرنسا بقاءها الدّائم في سوريا ؟ ليس الآن وقت التجارب والاختبار ... فالتاريخ أبلغ شاهد على هذا الوضع ... فينبغي تدارك العلة (المشكلة) ، بحيث سيكون متأخراً ابعادها »[١] .

وهكذا يمكننا اجمال دوافع اصدار قرار مجلس الإدارة الثاني والاتجاه الى تشكيل وفد ثان ، يلاحق المطالب اللبنانية ، بعد عدم الارتياح لمهمة الوفد الأول ، المنحصرة بالاستقلال الإداري ضمن الحدود الطبيعية ، وللتأثيرات الخارجية على المواقف الداخلية ، وبعض الأوساط الاغترابيّة . ونشير الى أن الفكرة الاستقلالية قد نضجت لدى العديد من اللبنانيين ، والفرصة مؤاتية في مؤتمر الصلح . لكن هذه الفكرة كانت عرضة لكثير من التفسير ، وكان اللبنانيون المقيمون في باريس متأثرين جداً بواقع السياسة الفرنسية ذات المنحى الاشتراكي — الماسوني . وفي هذا المعنى كان البطريرك الحويك قد تلقّى رسالة أشبه بمذكرة سياسية حول الأوضاع السائدة في فرنسا والشرق الأوسط من أحد أبنائه المقيمين في باريس وهي تتضمّن تحليلاً لما قد يحدث من تطورات على صعيد تحديد واقع لبنان ، ومقارنة للاختيارات المزمعة لنظام لبنان في الطروحات التالية :

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Rapport du Mgr. Abdallah Khoury, sans date, Ann. N° 40. (p. 5 - 9).

— «وهي مخطوطة غير منشورة من محفوظات البطريركية المارونية معرّبة من قبلنا» ، ونرجّح أنّها كتبت في آذار ١٩٢٠ .

«١ — نظام الاستقلال المطلق... إن غبطته مخوّل أكثر من أيّ كان لمعرفة حالة الناس والبلاد... وإنّي بأسف أسجّل بأن لبنان في وضعه الراهن من التطور، غير قادر على حكم ذاته... فلا يتطلّب مجهوداً كبيراً أن نتوقّع، اذا ما حصل هذا النوع من الاستقلال، (وهذه هي العقدة الكبرى)، أن تنخر به المساوىء العديدة والدموية والإنقلابات... لبنان المطلق الاستقلال، يفرض سورية اسلامية مستقلة... لبنان المستقل غير الحاصل على أيّة ضمانة (بوجه جاره من الشمال ومن الشرق)، يصبح مجبراً على أن يتلوّث وأن يعيش على الدوام بحالة استنفار».

٢ — نظام التعاون والمساعدة... يتجسّد بحكم دستوري مشتمل على كل التسلسلات الرئاسية، الحكومية، البرلمانية، والإدارية لبلد أوروبي حرّ... ولكي يستطيع لبنان أن يفيد مباشرة من المعطيات المادية والمعنوية للحضارة الغربية، ثمرة عدة قرون من الكد... فإن مصلحته العليا تفترض أن يشاركه في مهمته معاون ملائم... يجب علينا أن نجمع على اختيار المعاون المساعد، فرنسا: المنتخبة من القلب... وأيّة مساعدة تلائمنا أفضل: أهي المساعدة التوافقية، أو التشاورية، أم القسرية؟... إن خبرتي تحملني على تأييد الشكل الأول من التعامل... ويجب أن يكون بين الفريقين منذ البداية، عقداً أصولياً في الحكومة وفي الدستور الذي يحدّد الحقوق والواجبات الفردية... وبكلمة... أن يحصل اندماج سليم بينهما... وإني أستند الى البراهين الآتية:

أولاً: أسباب مستقاة من الدستور الفرنسي... لأن فرنسا أخذت على عاتقها برمجة المسائل المطروحة أمام مؤتمر الصلح... وإذا طبقت المبادىء التي أعلنها ولسون... فإن سوريا كما لبنان سيعلنان مستقلّين استقلالاً تاماً ولا تستطيع أيّة دولة عظمى أن تدعي أقل حق من الوصاية أو الإحتلال أو التعويض... لكن فرنسا بالواقع، تعتبر سوريا بكاملها أرض التعويض الشرعي، لأن سوريا بالنسبة اليها قانوناً أرض تركية...

«ولبنان بكونه في كلّ حين معبر السياسة الفرنسية وتغلغلها السلمي في المتوسط الشرقي، فإن فرنسا تستعمله اليوم كنقطة ارتكاز ثابتة... تسمح لها بأن تلعب سياستها... وحل المسألة السورية يفترض، بحسب الظاهر، مرحلتين وتحركين، لكن في الواقع ومن وجهة النظر الفرنسية، أن سوريا بكاملها، ولبنان ضمناً، تشكّل وحدة سياسيّة واقتصادية واحدة ولا تتجزّأ»...

ثانياً: «أسباب استعمارية فرنسية: باحتلال فرنسا مركز ثاني قوة اسلامية في العالم، فإن مصلحتها... تجبرها أن تجعل من دمشق عقل الإسلام المفكّر»...

ثالثاً: «أسباب داخلية فرنسية: منذ أكثر من ربع قرن وفرنسا محكومة من الحزب الرديكالي — الشيوعي الذي يتألّف من نقابة يموّلها مادياً اليهود، ومعنوياً الفرنك — ماسونيون. لا شيء، لا شيء، لا شيء يعمل في الحقل السياسي في فرنسا بدون أمر أو إذن هذه الزمرة اليهودية — الماسونيّة التي توحي كل شيء، ويمتدّ نفوذها الى كل شيء. وفرنسا التي تتمتّع بأغلبية مسيحيّة، إن لم نقل كاثوليكيّة ساحقة، ظهرت منذ ١٨٨٩ مجرّدة عن المقاومة، تجاه سلسلة الاغتيالات المجهولة... وهكذا يكون من الحذر توقّع تغلّب السياسة المتبعة في فرنسا أن تفوز يوماً عندنا اذا ما كان الموظّف الفرنسي المساعد مفروضاً علينا وليس بملء حريتنا. فما الذي يحمينا في المستقبل القريب أو البعيد، من نفس الصدامات السياسيّة والدينيّة التي لم تخمد بعد، والتي كدّرت فرنسا وأضعفتها، الا يمكن نقلها الى لبنان؟... وكما أن الماس لا ينكسر إلا بالماس، فإن أساليب النفاق عند العصابة اليهودية — الماسونية والتي تتلاءم طبعاً مع سياسة التهريج الأعمى تنتهي بأن تواجهنا بعضاً ببعض»... فليس إلّا طلب المساعدة بالتراضي ما يحمينا ضد الاحتمالات المؤذية... وعلينا العمل بكل قوانا لنضمن لها النجاح».

٣ — نظام الضمّ: إذا لم يتسَنَّ لنظام الاستقلال المطلق أن يتحقق، وإذا رفضت فرنسا نظام التعاون والمشاركة... بات علينا، يا صاحب الغبطة، أن نحوّل جهودنا، لنحصل منها، قدر الإمكان، وتعويضاً عن حرماننا من حقّ تقرير المصير، على حقّ المواطنية الفرنسية... فالمساواة في الحقوق السياسية بين الفرنسيين واللبنانيين، بكونها واقعاً ملموساً، تمكّننا بواسطة أصوات ممثّلينا المنتخبين، من كامل الحرية في الإصلاح والتأهيل وإيقاف ما حاولت النزاعات ونكران الجميل أو الحقد الديني أن تهدمه وتمزّقه وتنتهكه... وإذا أرادت فرنسا، فإنّها تجد الطريقة التي تتجاوب، ليس فقط، مع واجباتها تجاه منتديها، بل أيضاً، مع واجباتها تجاه زبائنها السوريين بما فيهم المسلمون... وهناك سوابق أحدثتها في الجزائر سنة ١٨٨٩ (تجنيس المسلمين الجزائريين دون شروط)...

٤ — بعض الملاحظات والاستنتاجات :

« تعلمون يا صاحب الغبطة ، بأني أحب بشغف فرنسا والفرنسيين » ، ولأجل فهم أصحّ لفكرتي ... ينبغي أن نبني على الواقعيّة وليس على الخيال والرمال المتحرّكة ...

« إن اكليروسنا الذي سجّل بكدّه دوراً نبيلاً في الماضي ، دور الرسوخ الروماني ، الذي ساعدنا على أن نتجمّع كلّنا ، في فترات من حياتنا الوطنية حول ، أجراس كنائسنا ، دور الدرع الذي بواسطته تمكنّا وسط عالم من الأعداء ، من اثبات ديمومة الشخصية الحيوية لأمتنا ، دور الوكيل على الوقاية الأخلاقيّة والدينيّة ، دور السفير مدى الحياة ، للشعب الماروني في الخارج ، إن اكليروسنا ، كما أقول ، يستطيع في هذه اللحظة أن يرمي في الميزان بثقل نفوذه ، وخبرته ، وجدارته ، وحقوقه المكتسبة ، فيمهّد بكرامة للمستقبل الذي يتهيّأ . وإذا أردتم ، يا صاحب الغبطة ، أن تأخذوا بعين الاعتبار هذه الأفكار التي رفعتها اليكم ، سيكون من الممكن طرحها ... في اتصالاتكم مع الإكليروس ، والقوميسارية الفرنسية ، والمجلس الإداري والشعب ... وفي هذا الصدد ، لديّ أمنية أنقلها الى صاحب الغبطة ، هي أن لا يفوّت أيّة فرصة بأن يضع ممثله في باريس ... في مجرى الأمور »[١] .

وفي هذه الأثناء ، كانت أخبار لجنة الاستفتاء وإرسالها الى سوريا ، تحتلّ مركز الصدارة في الاهتمامات السياسيّة ، إلى جانب الأخبار عن إرسال وفد لبناني ثان الى مؤتمر الصلح . وفي السابع من حزيران ١٩١٩ ، قصد ممثّلو الطوائف المسيحيّة في بيروت ، يصحبهم حبيب باشا السعد ، مقرّ غبطة البطريرك الماروني في بكركي للتداول مع غبطته بشأن مصير لبنان السياسي . وقد ألقيت الخطب ، فتكلّم كلّ من شكري أفندي أرقش باسم الروم الكاثوليك وألبير قشّوع باسم الموارنة ، وبترو طراد باسم الروم الأرثوذكس ، وألقى نخله بك التويني كلمات تناسب المقام ، فأجابهم غبطة البطريرك بكلام أثنى فيه على ما أبدوه ودفعهم الى وجوب الإتفاق مع بقية طوائف لبنان الكبير

١ — Arch. du Pat. Mar. op. cit., Ann. N° 86.

(هذه الرسالة موقّعة من م. هاني بدون تاريخ ، ونرجّح أنّها كتبت في أواخر ربيع ١٩١٩ أي قبل سفر البطريرك الى باريس . محفوظات البطريركية المارونية بالفرنسية معرّبة من قبلنا) .

إذ أنه لم يشاهد بينهم لا من يتكلّم باسم الطّائفة الدرزية[١] ، ولا باسم الطائفة الإسلامية السنية التي تكوّن في لبنان الحالي وفي لبنان الكبير أكثرية لا يمكن التّهاون بها وقد حضّهم على السعي في الاتفاق مع بقية الطوائف الأخرى لأن غبطته يعتقد أن لا سبيل الى استقلال لبنان الكبير ما لم يرضَ عنه من ينوي إلحاقهم به وأنه رغماً عن كبر سنه لا يتأخّر عن السفر للمطالبة بحقوق اللبنانيين في توسيع حدود جبلهم فيما إذا أتفق جميع ممثّليه الحقيقيين من مختلف الطوائف على مثل هذا الطلب . فما كان من مجلس الإدارة في ١٩ حزيران ١٩١٩ ، إلّا بأن وجّه عريضة تكليف الى البطريرك الماروني يطلب منه متابعة المطالب اللبنانية في مؤتمر الصلح .

ومن المفيد القول أن « اختيار رئيس الموارنة الديني كان كافياً للدلالة على الطابع المسيحي للوجهة السياسية التي ستسم ولادة لبنان الكبير في روحه وميوله[٢] . » هذا بالإضافة الى حرص البطريرك الماروني الكامل ، على مشاركة الطوائف الأخرى ، كالسنة مثلاً ، في العمل التوحيدي لأجزاء لبنان المقتطعة ، بعيداً عن تأثير الدعاية الفيصلية — السورية[٣] .

١ — نقل الأب حرفوش في كتابه المعتمد في هذه الدراسة (دلائل العناية الصمدانية) بأنّ عدداً كبيراً من دروز لبنان قد انضمّوا الى مسيحيّي بيروت والبقاع ومرجعيون بتوكيل البطريرك الحويك تجاه مؤتمر السلام ، ص/ ٥٩٤/.

٢ — Edmond Rabbath, Formation Historique du Liban Politique et Constitutionnel, Essai et synthèse. Librairie Orientale. Beyrouth 1973, p. 284.

ولا بدّ من الإشارة هنا ، إلى التقليد المتّبع في اختيار رجالات الموارنة المسيحيين لتمثيل الرأي اللبناني في المحافل الدولية ، منذ طريقة فخر الدين الثاني باتصاله مع الغرب وحتى خطاب رئيس الجمهورية السابق سليمان فرنجية باسم العرب في الأمم المتحّدة...

٣ — أبانت الأحداث الأخيرة في لبنان مصداقية الموقف البطريركي ، ورِهانه على مشاركة الطائفة السنية في اتخاذ القرار اللبناني ، وقد بدت خلالها ومؤخّراً ، تحوُّلات جذرية لصالح الولاء للبنان.

الفصل الخامس

البطريرك الياس الحويك يكمل المسيرة

السعي المباشر: الوفد اللبناني الثاني الى مؤتمر الصلح في باريس.

على متن الدارعة الفرنسية «كسار Cassard»، بارح البطريرك الياس الحويك ميناء جونيه في ١٥ تموز ١٩١٩، برفقة كل من «مطران بيروت مبارك ومطران حماه النائب البطريركي بطرس فغالي وأمين السر السيد لاون حويك» وانضمّ الى الوفد فيما بعد مطران زحلة للروم الكاثوليك مغبغب، وأرسل مطران صور شكرالله خوري من روما لزيارة الموارنة في الأميركيتين»(1). وفي طريقه الى باريس، توقف البطريرك في روما في العشرين من تموز وبقي فيها يستعدّ للمهمّة حتى ٢١ آب(2)، فقابل البابا بونوا الخامس عشر Benoit XV، والتقى باربر Barrère السفير الفرنسي في روما، الذي نقل عن البطريرك تصوّراته وتمنياته بشأن مستقبل لبنان، فكتب في ٩ آب ١٩١٩ إلى وزارة الخارجية الفرنسية، يقول بأن البطريرك يطالب بالاعتراف باستقلال لبنان تحت الحماية الفرنسية أياً كان مصير سوريا، وأن الشعب اللبناني بلسان البطريرك يطلب حكومة تساعد فرنسا في تأسيسها على أن الحاكم بإمكانه أن يكون من الوطنيين. ورأى

١ — Arch. du Patr. Mar. Annexe N° 83, op. cit., pp, (12, 13, 14)

٢ — Arch. fr. des aff. étr. op. cit., Annexe N° 57

«باربر» أن البطريرك يميل الى أن يكون الحاكم فرنسياً لما لهذه الصفة من ضمانة عالية، وأن اللبنانيين يطالبون بحدود لبنان الملحوظة في خريطة الحملة الفرنسية سنة ١٨٦١ التي لحظت حدود لبنان حتى صور ضامّة بيروت(1).

هذا الموقف كان ردّاً واضحاً على معارضي التيّار البطريركي من السوريين، وخاصّة على الإحتجاج الذي رفعه حزب الاستقلال العربي في دمشق الى مؤتمر السلم بتاريخ ٧ آب ١٩١٩، ضدّ سفر البطريرك الحويك الى باريس. وقد جاء بالإحتجاج المذكور «أن لبنان الكبير الذي أراد غبطته فصله عن سوريا سياسياً واقتصادياً لم يوكّل غبطته في ذلك، وأن غبطة البطريرك زعيم طائفة لا تمثّل في لبنان الأكبر إلّا الأقلية الصغرى، كما أن صفته الدينية لا تخوّله حق التكلّم عن المسلمين والدروز والروم الأرثوذكس الأكثرية العظمى الموجودة في لبنان الحالي، وأن فئة كبيرة من أبناء طائفته المارونية وفيهم كثير من المتنوّرين(2) العقلاء يخالفونه في آرائه السياسية... ولذلك فحزبنا الذي يتكلّم الآن باسم مئات الألوف من أعضائه ويعرب عن أماني الشعب السوري كلّه، يحتجّ لديكم بقوة وبشدّة على ما قد يقوله غبطة البطريرك الماروني».
وفي ٢٣ آب ١٩١٩، اليوم الثاني لوصوله الى باريس، نشرت جريدة الصباح Le Matin، تصريحاً للبطريرك جاء فيه أن سفره الى باريس مثلّث الأهداف: لمطالبة باستقلال لبنان المطلق الذي هو من حقّه، المطالبة بإعادة الحدود الطبيعيّة والتاريخية اليه كما رسمتها خريطة الحملة الفرنسية سنة ١٨٦١ وأخيراً التأكيد على العلائق المتينة مع فرنسا. وفي آخر آب ١٩١٩، نشرت جريدة الطان Le Temps حديثاً آخر للبطريرك تناول التفويض الذي حمله من مجلس الإدارة، المجلس النيابي المنتخب الوحيد في الشرق والممثّل بصدق وأمانة الرأي اللبناني، ومن مختلف رؤساء الطوائف الدينيّة والشعبية في

١ — راجع التأييد اللبناني للبطريرك الحويك في برقية قبلان منقاري الى الوزير الفرنسي بيشون Pichon في: Arch. fr., op. cit., Ann. N° 63.

٢ — يقصد بهم: الأمير حارس شهاب، جورج بك زوين، الشيخ نسيب الخطيب، الخوري يوسف اسطفان، «جريدة العقاب، العدد ٤١، ١٩٢٠، مخطوطات البطريركية المارونية» ونشير الى أن الخوري ترك الكهنوت وعاد الى علمانيته باسم حبيب اسطفان وسافر الى مصر.

المناطق المطلوب ضمّها الى لبنان ، ولخّص غبطته المطالب اللبنانية « باستقلال لبنان في حدوده الطبيعية بمساعدة ومعونة صديقتنا الدّائمة فرنسا .

بالفعل ، فقد أصدر مجلس الإدارة اللبناني بتاريخ ١٩ حزيران ١٩١٩ مضبطة التفويض وجاء فيها : إن المجلس الممثّل الشعب اللبناني نيابياً قد وجّه رجاء وتكليفاً الى غبطة البطريرك الماروني بالسعي لدى مؤتمر الصلح وسائر رجال الحلّ والعقد في باريس وغيرها ... « في سبيل » تأييد استقلال جبل لبنان الكبير بحدوده التاريخية والطبيعيّة استقلالاً إدارياً وسياسياً وفقاً لقرارات المجلس السابقة ... التي ... تمثّل رغائب اللبنانيين[١] . أمّا بخصوص سوريا ، فلم يتردّد البطريرك من الاعتراف بأنه « إذا دعيت فرنسا لتقديم مساعدتها الى سوريا بأكملها فسيكون ذلك أكبر خير للبنان وسوريا ، كل جهودي ستتركّز للحصول على استقلال بلادي الكامل مع مساعدة فرنسا وفقاً للإرادة اللبنانية الوطنية[٢] . وكان جليًّا أن يظهر هدف الحويك المتمثّل في توحيد « وطن الدويهي » التاريخي جبل لبنان الذي شمل مقاطعات امارة فخر الدين الثاني وبشير شهاب الكبير ، وفي توطيد الأبعاد التاريخية للميثاق الماروني — المعني — الشهابي ، على أرض موحّدة : لبنان[٣] .

وأثناء وجود البطريرك في باريس ، تمّ اتفاق ١٥ أيلول ١٩١٩ بين لويد جورج وكليمنصو حول حلول الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال غورو مكان الجيوش البريطانية في سوريا وكيليكيا . هذا الإتفاق كان فرصة للمسألة اللبنانية ، وكان مصدر خطر حقيقي على مخطّطات فيصل البريطانية — العربية ، فاغتنمته أوساط الوفد الثاني ، فكتب الحويك في ١٦ أيلول الى رئيس الوزارة الفرنسية Clémenceau يقول : « إنّي يا صاحب الفخامة بطريرك لبنان ... جئت رغماً عن الـ ٧٦ سنة ... لأدافع عن القضية

١ — Arch. du Patr. Mar. Annexe N° 40, op. cir., p. (5, 6).

٢ — Ibid, N° 40. p. (6. 7).

- Le temss, op. cit., p. 2.

٣ — البطريرك اسطفانوس الدويهي ، ولد سنة ١٦٣٠ ، توفي سنة ١٧٠٤ ، بطريرك الموارنة من ١٦٧٠ الى ١٧٠٤ .

— المطران بطرس شبلي : اسطفانوس بطرس الدويهي ، بطريرك انطاكية ١٦٣٠ — ١٧٠٤ ، منشورات الحكمة ، بيروت ١٩٧٠ ، ص/ ٩/.

المقدّسة ... ممثلاً كل الملل ... وإنّكم اذا كنتم أدّيتم لفرنسا الخدمات الجليلة ، فيحسن بكم أن تؤدّوا لها خدمة جديدة ، بأن تنظروا في قضية لبنان المتعلّق بها في الصميم . وكان البطريرك نفسه ، قد مهّد لمهمته الوطنيّة برسائل واتصالات عديدة منذ بداية الحرب العالمية الأولى ، إذ كتب في ٢٧ آب ، ١٩١٤ الى وزير خارجية فرنسا دي رومورغ De Remurgue معرباً عن « تعلّق اللبنانيين بفرنسا وأمانيهم بخروجها من الحرب ظافرة[١] . كما أنّه أرسل الى كليمنصو في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٨ يهنّىء فرنسا بانتصاراتها ، وأن الموارنة المعجبين بها منذ ٨٠٠ سنة ... يجدون بأن ثقتهم بها قد تحقّقت أخيراً ، وأن لبنان ، لن ينفصل عن الدولة التي هي بمثابة الأم ... ففرنسا التي حرّرت بلدنا ، نأمل بأنّها ستبقى فيه نهائياً ... واللبنانيّون الذين بمساعدتكم تخلّصوا من النير التركي المجحف ، يتمنّون لبلدهم مستقبلاً أفضل في ظل حماية فرنسا . وفي غضون ثلاثة أشهر تلقى البطريرك الحويك من رئيس الجمهوريّة الفرنسيّة Poincaré جواباً مؤرّخاً في ١٥ كانون الثاني ١٩١٩ يشيد بالعلاقات التاريخيّة بين الأمّتين وأنّ سوريا وبالأخص لبنان ينتظران من فرنسا حقّ التمتّع بالأمن والسلام والحرية ، فاطمئنوا غبطتكم بأن فرنسا ستلبّي تلك الثقة . وأعقب هذا التطمين كتاب من السفير الفرنسي في لندن كانبون الى البطريرك الماروني بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩١٩ ، يوضح بأن فرنسا ... تستطيع أن تأمل قيام نظام يضمن حرية طائفتكم وأمنها ، بفضل مساعي غبطتكم ... التي منذ سنين عديدة نراكم تتابعونها بثبات لا يلين وعزم وحكمة فائقة[٢] . وبالمقابل بعث كليمنصو برسالة الى فيصل مؤرّخة في ١٧ نيسان ١٩١٩ يؤيّد فيها إقامة فيدرالية موحّدة محلية في سوريا ، ازاء هذا الترجرج في الموقف الفرنسي كان على الوفد اللبناني الاحتياط وسدّ الطريق على الطروحات المختلفة . في ٢١ أيلول ١٩١٩ نشر المطران مبارك ، سكرتير البطريرك الحويك في باريس ، برقية خاصة أعلن فيها فصل لبنان الكبير

١ — Arch. du Pat. Mar. Ann. N° 1.

— وأنظر رسالة البطريرك الى قنصل فرنسا العام « كوجيه » في :

- Arch. du Pat. Mar. op. cit., N° 3.

٢ — بول كانبون ، سياسي (١٨٤٣ — ١٩٢٤) سفير فرنسا في لندن لمدة ٢٢ سنة من سنة ١٨٩٨ الى ١٩٢٠ وهو صديق للبطريرك الماروني الحويك.

الكامل عن باقي سوريا، وتكليف فرنسا بالانتداب على سوريا وإحلال العساكر الفرنسية مكان العساكر البريطانية[1].

وأمام مؤتمر الصلح في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٩ بدأ البطريرك مذكّرته تحت عنوان «مطالب لبنان»، بالتركيز على تاريخية الاستقلال اللبناني الذاتي، الذي أكّدت عليه الدول العظمى عبر نظام المتصرفية سنة ١٨٦١، فكل من يدرس تاريخ هذا البلد — يقول الحويك في مذكّرته — يعرف كيف حفظ لبنان هذا الاستقلال وسط خضوع الجماعات المجاورة المطلق للفاتح العربي أو التركي[2]. فإعادة لبنان الى حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة جواب على ضرورة حيوية لبلد، محروم من سهوله في الشمال والشرق، سيكون بدونها سلسلة من الجبال غير المنتجة وغير القادرة على تأمين الوجود لسكّانها[3]. ثم يطالب بالانتداب الفرنسي موضحاً لمؤتمر الصلح مفهوم اللبنانيين للمساعدة الفرنسية: «اللبنانيّون مقتنعون بعمق أن فرنسا الحرّة والكريمة ستعرف أيضاً احترام كرامتهم وحكومتهم وإدارتهم التي يتمنّون ضرورة الحفاظ على لبنانيتها، إنّها ستأتي الى لبنان نصوحة وصديقة، إنّها خلال فترة الانتداب الذي يحضّر لبنان الى السيادة، ستنمّي الحسّ الوطني بتركها في أيدي اللبنانيين التنظيم والإدارة والعدالة في بلادهم... وأخيراً إن اللبنانيين مقتنعون بأن فرنسا المنتدبة ستعمل كل ما يمكن لتوثيق الوحدة الوطنية بين مختلف طوائف لبنان بدل تفريقها[4].

في هذه الأثناء وصل فيصل الى باريس[5]، فترتبك السياسة الفرنسية وتعمل

١ — Arch. fr. "lettre de Laforcade, de Beyrouth, 22 Sept. 1919.

٢ — Archive du Patr. Maronite, Annexe N° 4.

٣ — عندما يذكر البطريرك الحدود التاريخية فهو يحدّدها في مذكّرته الشهيرة كما يلي: من الغرب البحر المتوسط، من الشمال النهر الكبير، من الشرق قمم الجبل الشرقي (انتي ليبان) وجبل الشيخ، من الجنوب خط يمتدّ من جبال بحيرة الحولة الى رأس الناقورة. المرجع نفسه ص/ ١٠/.

٤ — Ibid. N° 4, (p. 10). Ibid. N° 4, (p. 14).

٥ — كتب فيصل الى كليمنصو بتاريخ ٢٥ آب ١٩١٩ وهو تاريخ وصوله الى باريس للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية يقول: «إن المحرّضين قسّموا بين حجازي وعراقي وسوري ولبناني وفلسطيني... وكان للبلاد وحدة ادارية مؤقّتة، فكيف يصحّ أن يفرط عقد هذه الوحدة وللآن بدون انشاء ما يقوم مقامها... والأهالي يعدّون هذا التغيير الجديد(؟): زين زين، المرجع المذكور، ص/ ٢٨١ — ٢٨٣/. أنظر أيضاً:
- Arch. du Patr. Maronite Annexe N° 87, (p. 2).

بدبلوماسية على تعجيل عودة البطريرك الى لبنان تفادياً للقاء الرجلين... وأرفقت مساعيها للتسفير، بمزيد من الوعود المبهمة والغامضة، لم ترق للبطريرك ووفده، ممّا استدعى تتويجها برسالة هامة من كليمنصو، اعتبرها الشاغلون في القضية اللبنانية في تلك الفترة المنطلق الرسمي والأساسي لمعالجتها[1]. ففي ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩، بعث كليمنصو الى الحويك كتاباً يشرح فيه الموقف الفرنسي من «المسألة اللبنانية»، مؤكّداً تعلّق الحكومة الجمهورية الفرنسية بالعلاقات التقليديّة المتبادلة منذ قرون بين فرنسا ولبنان[2]. وأنّ رغبة اللبنانيين بالحفاظ على حكومة مستقلة ونظام وطني مستقل تتوافق مع التقاليد الحرّة لفرنسا. أمّا الحدود التي سيمارس فيها هذا الاستقلال فلا يمكن تحديدها قبل أن يتقرّر ويتحدّد الانتداب على سوريا... على أن فرنسا التي عملت كل ما يمكن سنة ١٨٦٠ لتؤمّن للبنان مساحة أكثر اتساعاً لا تنسى أنّ تضييق الحدود الحالية ناتج عن الظلم الطويل الذي عانى منه لبنان[3].

فمن الواضح إذاً، أنّ الاستقلال الذي أشار إليه كليمنصو، لم يكن استقلالاً تاماً، لأنّ فرنسا «المتطلّعة الى تحسين العلاقات الاقتصادية أكثر ما يمكن، بين كل البلدان الموضوعة تحت انتدابها، ستأخذ أيضاً بعين الاعتبار، في تحديد لبنان، ضرورة تخصيص الجبل بمناطق من السهول وبمنفذ الى البحر كضرورات لازدهاره. وأن طبيعة الاستقلال اللبناني في ذهن الفرنسيين مرتبطة بالتنظيم الفرنسي الذي سيشمل كامل البلدان الموضوعة تحت انتدابه، لأن النظرة الفرنسية الى الشرق، كان بابها التاريخي لبنان المشرّع على المنطقة[4]. فرئيس الوزارة الفرنسية آنذاك أسبق خطابه الى البطريرك، بكتاب الى فيصل بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ يقول فيه: «لا الشروط السياسية في سوريا ولا حدودها الحاضرة ممّا يجري البحث فيه... والإدارة المحلية لم

١ — Arch. du Patr. Mar. Ibid. Annexe N° 82. (p. 1).

٢ — عبّرت هذه الرسالة عن استمرار الدور التاريخي لفرنسا في لبنان واستندت الى خلفيّات تاريخية، كانت قد ربطت القضية اللبنانية بهذا الدور منذ لويس التاسع مروراً بلويس الرابع عشر الذي كان قد وضع «صاحب النيافة البطريرك وكل الإكليروس والموارنة المسيحيين الذين يقطنون جبل لبنان خاصة تحت حماية فرنسا».
— (راجع سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ — ١٩٢٠ ص/ ٨٤ — ٨٦/).

٣ — Arch. du Patr. Maronite, Annexe N° 5 bis.

٤٠ — Arch. fr. étr. cit., Ann. N° 4.

تتغيّر... فجميع المنافع التي لكم الحق الأوفر في أن تعنوا بها لا تزال منوطة بقرارات مؤتمر السلم [١]. وفي مطلع كانون الأول ١٩١٩ بدأت الأنباء تتوافر الى لبنان حول اتفاق تمّ بين فيصل وكليمنصو ممّا أشاع القلق في نفوس اللبنانيين، ولا سيّما تصريحات فيصل الذي ما برح يدّعي «بأن لبنان لن يصير لا كبيراً ولا مستقلاً، إنّما على الأكثر سينعم بحكم ذاتي في سوريا» [٢]. وحيال ذلك أبرق وزير الخارجية الفرنسية في ٧ كانون الأول، الى غورو، يطلب منه طمأنة الشعب اللبناني خصوصاً، فيما يتعلّق بالبقاع، على أن يعمد الى تذكير اللبنانيين بالاهتمام الخاص الذي استقبلت به مطالبهم التي حملها البطريرك الى باريس، وأن الاتفاقات التي هي في طريق التنفيذ هي وقتية [٣] ولا تمسّ مسألة الحدود التي «تهمّنا بقدر ما تهمّهم» [٤].

ولمس البطريرك الحويك تحسّن الإهتمام الفرنسي بمطالب لبنان، فأرسل الى رئيس الجمهورية المنتخب بول دي شانيل Paul De Chanel معرباً عن تهانيه وتهاني الشعب اللبناني له، مبدياً تخوّف الشعب اللبناني من الدعاية الفيصلية التي حملها معه من باريس، بأن التعهّدات الفرنسية للوفد الثاني لن تتحقّق، وقال: «لقد تركنا فرنسا، والقلب مرتاح الى رؤية بلدنا حراً واستعادته حدوده القديمة، وفي يدنا التطمينات الخطيّة من رئيس الحكومة... الشعب اللبناني لم يزل مستسلماً للفرحة عندما عاد الأمير فيصل من فرنسا وأخذ يشيع بواسطة اتباعه بأن «لبنان سيبقى كما هو الآن» [٥].

فخواطر اللبنانيين لم تسكّنها تطمينات الجنرال غورو ولا عزمه على احتلال البقاع

١ — زين زين، المرجع السابق، صفحة/ ٢٨٦/.

٢ — Arch. du Pat. Mar. op. cit., Ann. N° 82, (p. 2).

٣ — يقول المطران خوري عن مفاجأة كليمنصو بأن هذا الأخير، «كان يعتقد استمالة فيصل باللين والتوافق، لكنّه يجهل في الوقت ذاته، بأن هذه الليونة مستمدّة من الضعف، وبأن وراء فيصل يتخفّى المستعمرون الإنكليز الذين يبرقون في عينيه أمل تاج سوريا الذي طالما حلم به».
- Ibid, N° 82, (p. 3).

٤ — نشير في هذا الإطار إلى أن الموقف الفرنسي الحقيقي لم يكن يستهدف التنكّر للمطالب اللبنانية، بل كان وسيلة دبلوماسية لكسب فيصل الذي كان وراء مشاريعه وأحلامه المخطّطات الإنكليزية. راجع بهذا الصدد: اتفاق فيصل — كليمنصو في، حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٦٠٩ — ٦١٢/ و:
Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 82, (p. 3).

٥ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 7 p. 2 et N° 82, p. 9.

بعدما تشبّثت حكومة دمشق بتمسّكها بالأقضية الأربعة، وبعدما فشلت المساعي لإقناعها «بقبول هذا الإحتلال الذي ليس له إلّا صفة عسكرية». وأوفدت حكومة فيصل نوري السعيد بصلاحيات واسعة لمقابلة غورو في بيروت، علّه يتمكّن من منع احتلال حاصبيا وراشيا والبقاع وبعلبك [١]، وبعد أن قبل غورو «باحتلال رياق فقط وإرسال ضابط فرنسي مع قوة فرنسية صغيرة رمزية لكل من المدن الأخرى»، عاد ودخل مدينة بعلبك عنوة بحجّة اعتداء وقع على أحد ضبّاطه. فاتصل فيصل بكليمنصو في ٢٢ كانون الأول ١٩١٩، وكان لم يزل في باريس بشأن وقف تحرّك غورو في البقاع [٢].

إن هدوء العاصفة بين فيصل وفرنسا، في البقاع لم يكن ليرضي اللبنانيين، الذين زاد في قلقهم وصول فيصل من باريس في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٠، والاستقبال الذي أعدّته له السلطات العسكرية الفرنسية في بيروت حسب توجيهات كليمنصو، ومن ثمّ ما قام به فيصل من مساع لإقناع السوريين بالتعاون مع فرنسا.

ومن المرجّح أن تكون هذه المعطيات هي الدافع الرئيسي لإيفاد وفد ثالث الى باريس، ليبقى على الدفع الذي لاقته المطالب اللبنانية في النصف الثاني من العام ١٩١٩، علّ هذا الوفد يقلّل من فرص اتفاق فرنسا مع الحكم العربي ومن تغاضيها عن المسألة اللبنانية [٣].

في رسالته الى الرئيس الفرنسي دي شانيل تاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٠، جدّد البطريرك الحويك مطالب لبنان وقال بأنه «انتدب بفضل تفويض أبناء لبنان الكبير، نائبه البطريركي سيادة المطران عبد الله خوري على رأس وفد لبناني، لكي باسمه (البطريرك) واسم لبنان، يتابع تحقيق هذه المطالب استناداً الى المذكرة التي رفعها الى الأمانة العامة للمؤتمر [٤].

١ — صرّح فيصل بأن «الفرق الفرنسية لن تدخل أبداً الى البقاع وحاصبيا وراشيا كما يطلب اللبنانيون، وأن هذه المناطق لن تعرف العودة الى لبنان مهما كانت الاتفاقات المتعلقة بها».
- Ibid. N° 82, p. (9, 10).

٢ — Ibid, Ann. N° 82, (p. 9).

٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83, (p. 27).

٤ — Ibid. Ann. N° 7, (p. 2).

ولا بدّ قبل الانتقال الى أعمال الوفد اللبناني الثالث، من إيجاز النتائج المباشرة لمهمة البطريرك الحويك رئيس الوفد اللبناني الثاني. فحين عودته من فرنسا عبر روميه وميناء ترانتو في السادس عشر من كانون الأول ١٩١٩، تحدّث في بعبدا لدى زيارته للحكومة اللبنانية قبلاً: «لمّا رأيت اجماع كلمتكم لم أر بداً من تلبية طلبكم رغماً عمّا كان يعترض مهمّتي من المصاعب... قد كان اتحادكم من أسباب نجاحي ونجاح الوطن». أمّا الجنرال غورو، وكان حاضراً احتفال استقبال البطريرك في بعبدا، فأجاب قائلاً: «إن غبطة البطريرك الحويك الذي كان سفيركم في معارك سياسية عقبت المعارك الحربية، فاز منتصراً، وكانت ثمرة انتصاره حكم لبنان بنفسه»[1]. وفي تقريره المعنون «صفحة من تاريخ لبنان» بالفرنسية، أرّخ المطران عبد الله خوري بقوله: «كونه بطريركاً مارونياً، توّج الحويك مساعي القرون الغابرة، بنيل الاستقلال اللبناني سنة ١٩١٩»[2].

خلال لقاءاته واتصالاته الرسمية مع وزير الخارجية الفرنسية Pichon في الكي دوسيه Quai d'Osay في ٢٥ آب ١٩١٩ وما بعدها، ومع رئيس الجمهورية الفرنسية في ٢٧ آب، ومع كبار الشخصيّات والمراجع السياسية والدينية في روما وباريس، عرض الحويك قضيته باسهاب، وتلقّى ازاءها تأكيدات من أن «الحكومة الفرنسية قرّرت الدفاع عن لبنان وتوسيع حدوده وحماية استقلاله وحريّاته الدينية[3]. ولا بدّ من الملاحظة الدقيقة هنا، بأن الحويك شدّد في مذكّرته الى مؤتمر الصلح على عبارة «إعادة لبنان بحدوده الطبيعيّة والتاريخية» التي تتضمّن عمقاً في الأبعاد التاريخية، لما عرفه لبنان من حدود وامتداد عبر عصوره المختلفة وفي التقليد القديم لتاريخ المنطقة ككل، فيكون البطريرك الحويك، قد أضاف الى مسعاه الجليل مبدأ وطنياً لبنانياً[4]، ذلك لأنه، كما

١ — زيارة البطريرك للحكومة وخطابه واستقبالهم اياه، تبرز الصفة الرسمية للمسعى البطريركي الذي أدّاه البطريرك الحويك في باريس. راجع: - Arch. du Patr. Maronite, Annexe N° 83, (p. 22).

٢ — Ibid. N° 83, (p. 6).

٣ — Ibid. (pp. 15 - 16).

٤ — Arch. du Pat. Mar. op. cit., Ann. N° 4, (p. 15).

— وجاء في جريدة الحرية: Liberté du Sud Ouest - Paris-، بدون تاريخ، بأن الانتصارات والأعمال الباهرة التي قام بها الجنرال غورو وجيشه في سوريا ولبنان هي نتيجة تدخل البطريرك الحويك وأساقفته.

كان يعرف عنه نائبه المطران عبد الله خوري، يدرك تماماً بأنّه حان «الوقت الملائم لجعل لبنان مستقلاً... فهل تريدون (والكلام هنا موجّه الى الوحدويين السوريين — اللبنانيين) من البطريرك الماروني، وهو رجل العقيدة والواجب أن يتنكّر لأشرف أمانينا بالاستقلال، وقد استحوذ على ثقة أغلبية اللبنانيين، لأنّه ضحّى لأجل خيرهم وتقدّمهم... فهو مقتنع بأن استقلال لبنان يثبّت أكثر النفوذ الفرنسي في الشرق... لأنّه في لبنان المستقل بدأ النفوذ الفرنسي... والبطريرك الماروني، في تشجيعه لهذا التيّار الاستقلالي، يصنع جميلاً لفرنسا وللبنان[1].

١ — الكلام للمطران عبدالله الخوري في:

- Arch. du Pat. Mar. op. cit., Ann. N° 40, (p. 11 - 12).

الفصل السادس

السعي غير المباشر

أولاً : استمرار الدور البطريركي بالوفد اللبناني الثالث :

بعد عودة البطريرك الياس الحويك من أوروبا ظلّ يتابع عمله الوطني للحصول على الاستقلال، فكان يبعث برسائل الى رؤساء الحكومات الأوروبية والمسؤولين فيها لتأييد القضية اللبنانية، فبعث برسالة الى صديقه بول كامبون سفير فرنسا في لندن، منتهزاً مناسبة انعقاد المجلس الأعلى للحلفاء في لندن معرباً في رسالته عن مخاوفه ومخاوف اللبنانيين ممّا يشاع، بعد رجوع فيصل إلى دمشق، من قبل بعض جرائد باريس ومصر ومن قبل حاشية فيصل، بأن هذا الأخير، وعد في باريس بعدم اعطاء لبنان الحالي إلّا الجزء الغربي من قضاء البقاع، وبأن مناطق حاصبيا ومرجعيون في الجنوب ومنطقة عكّار في الشمال تكون ضمن مملكته بالرغم من تملّك السكان وأغلبيتهم من المسيحيين ورغبتهم بالإنضمام الى لبنان، ويتابع الحويك في رسالته الى Cambon، «وعلاوة على ذلك، قيل لنا أن المرافىء اللبنانية كبيروت وصيدا وطرابلس... يجب أن تبقى خارج لبنان»... ثم يرجوه أن يتابع اهتمامه بشأن لبنان الذي سيعتبره من بين أكبر المفضلين عليه. فالبطريرك يخشى أن يجد لبنان نفسه أمام الأمر الواقع ويدفع لبنان ثمن الإتفاق الفرنسي — العربي[1]. لذلك تقرّر إرسال وفد ثالث مهمته كما أوجزها رئيس الوفد المطران عبد الله خوري، لم تكن سهلة، فعدّة مسائل يجب تذليلها : استقلال لبنان وسيادته، إعادة المناطق التي سلخت عنه بالإضافة الى مدينتي بيروت

١ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 89.

وطرابلس[1]. هذا ما ورد ذكره في صكّ التفويض البطريركي، حين ألّف البطريرك الحويك الوفد اللبناني الثالث في ٣١ كانون الثاني ١٩٢٠، وقد اعتبر البطريرك هذا الوفد استمراراً لدور البطريركيّة باسمه وباسم اللبنانيين، حيث أنه ما يزال هو المفوّض الأساسي والرئيس الأول للوفد اللبناني بمرحلتيه الثانية والثالثة إلى مؤتمر الصلح وقال : «إنهم (الوفد) مكلّفون، من أجل لبنان مستقل، بطلب استعادة السهول والمدن والمرافىء التي اقتطعها منه الأتراك، وطلب الانتداب الفرنسي بحسب المذكّرة المقدّمة من قبلنا في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٩[2].

وفي الثاني من شباط ١٩٢٠، سافر الوفد اللبناني الثالث الى باريس، ليمثّل لبنان في مؤتمر الصلح الذي باشر مداولاته حول موضوع لبنان. وقد ضمّ الوفد : المطران عبد الله خوري رئيساً، وذلك بناء على رأي البطريرك الحويك الوارد في رسالته الى مجلس الإدارة : «ارتأينا أنه من الضروري للمصلحة العامة تكليف أحد من يمثّلنا في مجرى المداولات النهائية للمؤتمر»[3].

وتمثّلت الطوائف الرئيسة، بعضوية المحامي اميل اده (رئيس الجمهورية فيما بعد)، والشيخ يوسف الجميّل وهما مارونيّان، الفرد موسى سرسق[4]، ارثوذكسي، ورئيس تجمّع مسيحيي بيروت، وكامل بك الأسعد، من أعيان شيعة جبل عامل[5]، والأمير توفيق ارسلان من أعيان دروز جبل لبنان[6].

١ — Archive du Patr. Maronite, Annexe N° 83, op. cit., (p. 8).

٢ — Arch. du Patr. Maronite, Annexes N° 8.

٣ — يقول المطران عبدالله خوري في تقريره باللغة الفرنسية «صفحة من تاريخ لبنان» بأن البطريرك الحويك وقد فوجىء «بتبديل الموقف الفرنسي بعد عودته من باريس، كان يفكر بالذهاب مرّة أخرى ليدافع حتى النهاية عن مصالح الأمة التي محضته ثقتها... ولكن لصعوبة الانتقال ومشقة الطريق، كلّفني بالمهمة بصفة رئيس وفد». راجع : - Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83, (p. 30).

٤ — اعتذر عن اكمال مهمته لأسباب شخصية.

٥ — لأسباب صحية فوّض كامل بك الأسعد، المطران خوري خطياً في ٥ شباط ١٩٢٠ قائلاً : «قد وكلت باسم طايفتي سيادة المطران عبدالله خوري لدى مؤتمر الصلح لكي يتابع الطلب والالتماس بربط انحاء الجبل المذكور في لبنان الكبير والاشتراك بكافة امتيازاته المخصوصة تحت حماية فرنسا، ممثّلاً إيّانا بكافة المراجعات المطلوبة» محفوظات البطريركية المارونية، ملف المطران عبدالله خوري، وثيقة رقم ١.

٦ — - Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83, (p. 31).

وافتقر الوفد الى ممثّل عن السّنة ، لأن هؤلاء كما سنرى ، من دعاة الانتماء السوري . لكن الجنرال غورو رأى في الوفد أغلبية لبنانية ظاهرة ، فكتب في اليوم نفسه الى رئيس الجمهورية الفرنسية يعلمه « بتكليف المطران خوري رئاسة الوفد المؤلّف من دروز وإسلام ومسيحيين يمثّلون لبنان الكبير ، ولم يعد هناك من مجال للقول بأن لبنان الكبير هو مطلب مسيحي فقط[1] ، هذا بالرغم من التحمّس المسيحي لإيجاد الكيان اللبناني الموسّع . ولذلك حرص المطران خوري على أن يضمّ الوفد اللبناني كل المكلّفين من قبل مجلس الإدارة والبطريرك الماروني منذ البداية ، وكتب بهذا الخصوص رسالة الى عضو الوفد المعتذر الفرد سرسق يعلمه « بأنّني قد وصلت باريس مع السادة الأمير توفيق ارسلان ، يوسف الجميل واميل اده ، نؤلّف جميعنا وفداً لبنانياً جاء باسم الوطن ليطالب بعودة مناطق بعلبك ، البقاع ، مرجعيون ، حاصبيا ، عكّار ومدن الساحل اللبناني الى لبنان . وبما أنكم قد أخترتم عزيزي السيد سرسق ، كموفد معنا ، أرى من الواجب أخذ المبادرة كي تتمكّنوا من الإنضمام إلينا في باريس ، غير أنه اذا لم تسمح بذلك حالتكم الصحية في هذه الآونة ، تفضّلوا بإبلاغي لأتمكن عند الاقتضاء من الأخذ بعين الاعتبار اعتذاركم »[2] . وفي هذا الإطار ، طلب المطران كيريلّلس مغبغب مطران زحلة بواسطة الجنرال غورو أن يرسل الى الوفد الثالث عضواً من طائفة الروم الكاثوليك لأجل ملاحقة ضم البقاع الى لبنان ، « فجاوبنا أن غاية اللبنانيين مشتركة ونحن من أهم الأسباب التي أوجبت حضورنا هو طلب توسيع لبنان ... وسيادته له ملء الحرية ... غير أننا نخشى أن يصل (العضو المطلوب) بعد نهاية المسائل »[3] . فأرسل المطران يخبر البطريرك عن رأي غورو بهذه المسألة قائلاً : « كتب إليّ الجنرال غورو يطلب إليّ بناء على طلب سيادة مغبغب أن نهتمّ كثيراً بمسألة البقاع ويسألني رأيي عمّا إذا كان يوافق إجابة طلب سيادته بإرسال معتمد من طائفته يلحق بنا وقد قرأت بين السطور وكنت عرفت حين وداعه في بيروت أنه لا يميل الى ذلك فجاوبته

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 9.

٢ — Arch. Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 14.

٣ — يوميات المطران عبدالله الخوري في باريس عندما ترأس الوفد اللبناني الثالث الى مؤتمر الصلح ، مخطوطة ، محفوظات البطريركية المارونية ، ص/ ٣٧/.

واعداً بالإهتمام لأن البقاع هو تقريباً الذي سبّب سفرنا وقلت أنني أترك له الحرية بأن يرسل أو لا مندوباً من الروم الكاثوليك غير أنّني أخشى أن يكون وصوله لهنا بعد نهاية الأمور » ... وأضاف المطران خوري : « نحن الآن نسعى بأن يعطى الجنرال غورو ملء الحرية في العمل كما يرى هناك وأن يرسل له أمراً بأن يحتلّ الأقضية التي يطلبها لبنان الكبير وهي داخلة ضمن المنطقة الزرقاء بحسب اتفاق ١٩١٦ وبحسب الإتفاق الآخر مع الإنكليز ، وذهب اليوم الشيخ يوسف الجميل مع اميل اده وذلك بناء على إشارة بعض المخلصين الى مقابلة المسيو بيرار Bérard وهو من روس الحزب الاشتراكي المعاكسين للحكومة والذي كان طلب منها سحب جيوشها من سوريا وقصّا عليه ما هو جار هناك وشرحا له القضية اللبنانية فارتدّ... ارتداداً تاماً وأصبح لبنانياً أكثر منّا ، فالحمد لله لأن بإرتداده لا يبقى لنا معاكس في المجلس »[1] .

ثانياً : تحرّكات الوفد اللبناني الثالث في باريس :

في ١٤ شباط ١٩٢٠ ، أرسل المطران عبد الله خوري الى Paul Cambon يقول له : « يشرّفني أن أرسل اليكم ربطاً رسالة صاحب الغبطة المونسنيور الحويك التي ستطلعك على مخاوف اللبنانيين عقب تصريحات الأمير فيصل فور رجوعه الأخير الى سوريا . فالمنسنيور الحويك يرى أنه قد يكون ضرورياً إرسال وفد للمطالبة بحقّ اللبنانيين المشروع[2] . كذلك كان موقف مجلس إدارة جبل لبنان ، وقد أوجس خيفة من الخطر الذي يهدّد استقلال الأرض وسيادتها ، فأصدر باسم الوطن تفويضاً رسمياً رقمه ١٦٠ تاريخ ٢٨ شباط ١٩٢٠ ، موقّعاً من جميع أعضائه ، جاء فيه : « لمّا كانت قرارات المجلس السابقة ... جميعها تمثّل رغائب اللبنانيين ... ولمّا كان السبب الجوهري في طلب اللبنانيين انتداب دولة فرنسا دون غيرها هو اعتقادهم باحترام الدولة الصديقة

١ — وثائق المطران خوري ، المرجع السابق ، الوثيقة رقم ٣ . راجع بهذا الموضوع رسالة البطريرك وطلبه من المطران خوري للعمل على اطلاق يد غورو : وثائق البطريرك الحويك ، المجموعة الخامسة ، الوثيقة رقم ٢ .

٢ — حمّل البطريرك الحويك ممثّله المطران خوري كتابات الى المسيو Cambon ودي شانيل رئيس الجمهورية الفرنسية وموريس باراس Barrès ، راجع : يوميّات المطران خوري ، المرجع السابق ، ص/ ٣٧/ . و :

- Arch. du Patr. Maro op. cit., Ann. 89.

استقلال لبنان المطلق واللبنانيّين وحكومتهم وإدارتهم الوطنية... ولمّا كان من الضروري للمصلحة الوطنية أن يوجد الآن من يلاحق المطالب اللبنانية... قرّر هذا المجلس تفويض وتوكيل سيادة المطران عبد الله خوري... وإكمال السعي لدى مؤتمر الصلح وسائر المراجع... للحصول على المطالب والأماني المار بيانها... وتقرير هذه الحقوق... بالصورة النهائية [١]. وأكّد هذه التفويضات البطريرك الحويك للمطران خوري وقال له : «إنّنا مع (صلواتنا) لم نتهاون ولن نتهاون في اتخاذ كل ما لدينا من الوسائل، فقد أرسلنا اشارة فنظم مجلس الإدارة مضبطة باعتمادكم وتأييد ما تطلبونه وأخذت البلديات ترسل البرقيات بهذا المعنى الى الوزارة الخارجية الفرنسية» [٢].

وابرق مجلس الإدارة الى المطران خوري يطلعه على هذا التفويض حيث وصله بواسطة وزارة الخارجية الفرنسية، وكان المطران لدى استقباله من قبل الأمين العام للخارجية الفرنسية باليولوغ Paléologue، قد قدّم بناء على طلب الأخير في ٢١ شباط ١٩٢٠، بياناً بالمطالب اللبنانية وخلاصتها الاستقلال بالحدود الطبيعية والتاريخية ومساعدة فرنسا. وبعد أن عرض مهمة الوفدين السابقين، حدّد مهمة الوفد الثالث بإعادة المناطق الضرورية لإزدهاره حسب رغبات السكان «لأن فرنسا التي تواجدت في سوريا منذ ١٦ شهراً تتجه الأنظار اليها» [٣].

ويذكّر البيان فرنسا بتراجعها عن البقاع في كانون الأول ١٩١٩ [٤]، الذي تركته تحت رحمة عصابات الأمير فيصل، كما يحاول إثارة السلطات الفرنسية ضد الحكم

١ — وثائق المطران خوري، رقم ٢.
٢ — راجع رسالة البطريرك الحويك الى المطران خوري حول هذا الموضوع : وثائق البطريرك الحويك، محفوظات البطريركية المارونية، رقم ١ ويوميات المطران خوري، المرجع السابق.
٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 17 bis.
٤ — وكنتيجة للإحتجاج اللبناني. اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الفرنسي وقرّرت توجيه استجواب الى المسيو ميلران رئيس الحكومة حول المسألتين.
أولاً : «إذا كانت الحكومة تنوي ابقاء لبنان كما هو بدون اعادة المناطق التي طالما طالب بها بحق.
ثانياً : لأي الأسباب تردّد فرنسا في احتلال مناطق راشيا ومرجعيون والبقاع».
- Arch. du Patr. Mar. rapp. du Mgr. Khoury. N° 82, p. 11.

العربي بقوله ان ضباط فيصل الذين قتلوا الضابط الفرنسي Bosquet، يتنزّهون بحرية في حمص دون أن يكون بمقدور السلطات الفرنسية توقيفهم [١]، ويفيد البيان أسباب تعدّد أعمال العنف التي تؤدّي الى سفك دماء الجنود الفرنسية في مرجعيون وغيرها [٢]. وكان عمل المطران في باريس «لرفع سلطة الداخلية» عن هذه المناطق، وفي رسالته للحويك قال : «لأن ليس من يعارض الآن الفرنسويين بهذا الأمر لأنّ كل الدول تقرّ لهم بالنفوذ في سوريا واتفاق ١٩١٦ يجعل هذه المقاطعات تحت النفوذ الفرنساوي واتفاق ك١ ١٩١٩ يفوض الفرنسويين بالإحتلال محلّ الجنود الإنكليزية، فما هو السبب لمراعاة الجماعة لهذه الدرجة... فطلب المسيو باليولوغ مفكّرة خطية بهذه الأمور» وأضافت الرسالة : «أن ما يظهر لنا من ظواهر القوم يدلّ على حسن نواياهم» [٣]. وبهذا المعنى كتب المطران أيضاً الى البطريرك يقول : «وبدأنا نشعر هنا أن أكبر مساعد لمواصلة عطف الفرنساويين علينا وعلى بلادنا هو ما يرونه من. تردّد جارنا (فيصل) ومن المساومة التي يبديها معهم ومن اخلاصنا وصدق عواطفنا» [٤].

وجاء في مخطوطة يوميّات المطران خوري : «انتدبونا... وحضرنا نطلب باسم العلاقات القديمة بين فرنسا ولبنان التي كانت وسيلة لفرنسا بأن تدخل لسوريا وتطالب فيها، بحقوق لا يمكن انكارها عليها من أحد الدول، وأن تحتلّ فرنسا حالاً وسريعاً هذه المناطق (الأقضية الأربعة) وتضمّها إلى لبنان... كما يخوّلها ذلك معاهدة ١٩١٦ والاتفاق الذي جرى في شهر أيلول مع الحكومة الإنكليزية... ومهما كبّروا لبنان فبقدر ذلك يخدمون مصلحتهم ومصلحة اللبنانيين... فأبان لنا المسيو Paléologue أنه من رأينا وأنه تخابر من يومين بهذا الصدد مع المسيو St. René Tallandier واتفقوا على هذه الأفكار وطلب الينا أن نقابل المسيو Sr. René وأن نقدّم له بياناً خطياً هذا المساء

١ — - Arch. Ibid. Ann. N° 17 bis.
٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 17 bis.
- Arch. du Patr. Mar. op. cit. Ann. N° 81 (p. 4).
(Rapport du Mgr. Abdallah Khoury).
٣ — رسالة المطران خوري الى الحويك : وثيقة رقم ١، محفوظات البطريركية المارونية.
— يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ٢١ شباط و ١١ آذار ١٩٢٠.
٤ — رسالة المطران خوري الى الحويك، وثيقة رقم ١، محفوظات البطريركية المارونية.

ليأخذه معه الى الوزير Millerand نهار غد... فبرزنا التقرير المذكور وسلمناه لحضرته... »[1].

ويبدو أن تأثير الوفد كان فعّالاً في الأوساط الفرنسية نظراً لصداقة عضو الوفد اميل اده، لأحد النواب البارزين المسيو Lenail ، الذي نقل للوفد اللبناني تأكيدات رسمية، بأن جميع اقتراحات فيصل ستعرض على المسؤولين الفرنسيين قبل اتخاذ أي قرار، ممّا أشاع الإرتياح في قلوب اعضائه، وكتب رئيسه المطران خوري الى البطريرك يخبره عن نجاحه «باستجلاب الخواجه شكري غانم الى مذهبنا السياسي»[2]، «ووجدناه قد غيّر مبداه القديم المعروف أي المطالبة بوحدة سوريا، وهو مستعد لأن يعضد مطالبنا بخصوص لبنان أي استقلاله تماماً عن سوريا وتوسيعه إلى حدوده القديمة وهو مستعد لأن ينشر بياناً بذلك». وهذا بالفعل كسب مهم على صعيد الفصل بين المسألتين اللبنانية والسورية. وزاد من ارتياح الوفد، ما أعرب عنه رئيس الوزارة الفرنسية بأنه «صار من الواجب على الحكومة أن تهتم بتوسيع لبنان والاعتماد عليه»، وما أكدّه المسيو Cambon عن «استعداد الحكومة الفرنسيّة للمحافظة على مصالح لبنان»[3].

وكان المطران خوري يعتقد بأن لبنان يستطيع أن يحصل على كل شيء من فرنسا، لاسيّما وأن الكاردينال ديبوا Dubois ، الذي جاء بمهمة من قبل الحكومة الفرنسية الى بيروت كان عضداً لوفدنا ومراعياً لحقوقنا المشروعة والمتوافقة مع المصالح الفرنسية» كما

---

١ — يوميات المطران خوري، المرجع السابق.

٢ — كتب المطران خوري في يومياته في باريس يقول: «فهم المسيو اده من المسيو لونيل أن لجنة الأمور الخارجية المؤلّفة من أربعين عضواً... قرّروا باتفاق الآراء كلّهم على المطالبة بما نطلبه الى لبنان... وبما أن هذه اللجنة هي منتخبة من كل المجلس، فهي تمثّله كلّه وأنه من المؤكد أن المجلس يوافق على القرار هذا، وعليه صارت (مسئلتنا) أكيدة وأنّه لولا حوادث قيليقيا ومذابح الأرمن فيها واضطرار الجيش الفرنساوي في سوريا لمحاربة الأتراك هناك لكان صدر الأمر للجنرال بوجوب احتلال بعلبك والبقاع وحاصبيا حالاً... ولا بدّ من هذا الاحتلال قريباً انشالله»

(يوميّات المطران خوري، ص/ ٩/، ماجريات ١١ آذار ١٩٢٠.

٣ — يوميات المطران خوري، ص/ ٣/، ١٨ شباط ١٩٢٠.

قال المطران نفسه[1]. كتب المونسنيور فغالي للمطران خوري يقول: «... في بكركي وفي كل لبنان يستعدّون لاستقبال الكاردينال ديبوا الذي تستضيفه البطريركية... وأكّد لي بأن الحاكم في بيروت سيكون مسيحياً وليس مسلماً»[2]، وذلك لأن الوعود المطمئنة كانت كثيرة. فقد حصل الوفد من الجنرال كاستلنو Castelnau رئيس اللجنة العسكرية في مجلس النواب الفرنسي على مثل هذه الوعود، كما تبنّت لجنة الشؤون الخارجية وجهة النظر اللبنانية، لكن أخبار اعلان ملكية فيصل في سوريا بتاريخ ٧ آذار ١٩٢٠[3]، أقلقت الرأي العام اللبناني من دون أن تثبط من عزيمة العاملين على استقلال الكيان اللبناني، لأن المناداة بالأمير فيصل ملكاً «قد خدم القضية اللبنانية كثيراً من حيث أنها غيّرت الخواطر عليه وجعلت الفرنسويين يرتابون لسوء نيته»[4]. وظهرت هذه النيّة باعلان «انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث (لبنان — فلسطين — سوريا) على أن تقوم مقامها ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس» أي (المؤتمر السوري) وقابل الوفد الثالث هذه الخطوة بمحاربة شديدة وممّا قاله المطران لرئيس الوزارة الفرنسية: «ما أحوجنا الى طلب المقابلة ما أجراه الأمير فيصل من المناداة به ملكاً على سوريا ولبنان وعدم احترامه وعود الحكومة الفرنساوية لنا بالاستقلال عنه وإرادة عموم الشعب اللبناني الأمر الذي أقلق أفكار الشعب اللبناني في لبنان ومصر وأميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وأخذت التلغرافات تتوارد علينا اعتراضاً من كل صوب[5].

ثالثاً: مقاومة اللبنانيين السياسية ودعم الوفد الثالث:

نشط اللبنانيون، مقيمون ومهاجرون، لمواجهة الخطوة الفيصلية، وعلى رأسهم

---

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83, (p. 36).

٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 18.

٣ — جاء في تعليق لجريدة البرق الصادرة في بيروت في ١٠ آذار ١٩٢٠: إن القناع سينكشف عن ملك يحمل الصولجان في يده... والتاج الذي لم تعترف به الدول، ويعتمد على صدفة وطنية محلية، يسهل اسقاطه لدى أقل هبّة.

٤ — رسالة المطران خوري الى البطريرك الحويك، محفوظات البطريركية المارونية، وثيقة رقم / ٦/.

٥ — رسالة المطران الى الحويك، المرجع نفسه.

البطريرك الماروني الذي كان من لبنان يوجّه مساعي الوفد الثالث. فاحتجّ في برقيّته المؤرّخة في ١٠ آذار ١٩٢٠ لدى مؤتمر الصلح ولدى وزارة الخارجية الفرنسية باسم الشعب اللبناني، على مقرّرات المؤتمر السوري المناهضة لأماني اللبنانيين، مكرّراً مذكّرته الى مؤتمر باريس في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٩، ومعلناً أن بعض اللبنانيين المشاركين في المؤتمر السوري لا يمثّلون على الاطلاق الأمة اللبنانية[١]. وكذّب ادّعاء فيصل باشتراك البطريرك الماروني بمبايعته[٢]. وأوعز الى نائبه البطريركي في باريس ليبرق الى مؤتمر الصلح بهذا الشأن[٣].

وتعمّم الموقف اللبناني ضدّ الوحدة الملكية — السورية، فطالب التجمّع المسيحي في بيروت «بلبنان الكبير» ورفض ملكية فيصل الحجازية ووصايته على لبنان[٤]. أمّا الوفد الثالث في باريس، فقد تلقّى الخبر من جريدة الصباح Le Matin في ١٢ آذار ١٩٢٠، فقصد المطران والشيخ يوسف الجميل وزارة الخارجية الفرنسية حيث أبلغهم المسيو برجاتون Bargeton «أن المناداة بالأمير صحيحة، ولكن الحكومة الفرنساوية لم تعترف بها وأن مركزها (فرنسا) السياسي باق على ما كان عليه تجاه الأمير فيصل الذي لا يتجاوز مركزه عندها مركز قائد الجيش العربي»[٥]. ولم يأل الوفد جهداً لدعم وجهة النظر اللبنانية وتقبيح أعمال فيصل» الذي يعمل في دمشق على تأليب أركانه وقد جمع بعض الجواسيس اشتراهم من لبنان وغيره... وبهذه الحفنة من صنيعته عزم على تكوين

---

١ — Arch. du Patr. Mar. Annexes N° 23.

٢ — كان فيصل يعلم جيداً بأن اللبنانيين المسيحيين سيعارضون أن يكونوا جزءاً من سوريا الكبرى خوفاً من أن يصيروا أقلية وسط أكثرية اسلامية، فمن أجل أن يضمّهم الى مشروعه قام بإعلان تصاريح مطمئنة، فالدولة التي سينشئها ستركّز على قواعد الجنسية العربية والعلمنة والمساواة بين جميع المواطنين والعدالة»، وقال: «إنّي أفهم المطلب المحقّ بإعطاء لبنان استقلالاً ادارياً»... محاول جذبهم بمختلف الوسائل، فوزّع مئتي قنطار من القمح في كسروان المارونية، وكمية من المال على البعض... وعيّن بعض الشخصيات المارونية في مراكز هامة أمثال: اسكندر عمون رئيس سابق لجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وقد أصبح وزيراً، والخوري يوسف اسطفان الذي أصبح المتحدّث الأول بمسألة فيصل، وجورج حرفوش عضو المؤتمر السوري... لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، لأن الموارنة كانوا الأعداء الأساسيين لمشروع فيصل.

٣ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 32.

٤ — Arch. fr. op. cit., Annexes N° 79.

٥ — يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ١٢ آذار ١٩٢٠، ص/ ١٠/.

مؤتمر ضدّ كل عرف وتقليد ليعلن به نفسه ملكاً على سوريا وفلسطين ولبنان... فهبّت من زوايا الجبل صيحة استنكار عارمة وقد وصلنا صداها بالبرقيات المثيرة للقلق»...[١]، ويضيف المطران خوري في مذكّرته الى الحكومة الفرنسية حول مسألة فيصل وموقع لبنان فيها: «في غمرة الضيق يتوجه لبنان مرّة أخرى نحو فرنسا، ونحو فرنسا وحدها... لأنّه كان ابّان سنوات الحرب الأربع ينتظر بثقة وسط أصعب الظروف انتصار فرنسا وتحريرها، واليوم، إنّه يرى تكرار الخطر الذي تحدّاه في عصر الغزوات العربية والتركية وهي في أوج قوّتها. لكن بدوياً تجرّأ أن يعتدي على حياته تحت أعلام فرنسا، لذلك يصرخ لبنان بيأس مستغيثاً! فقد أكّدت له فرنسا كذلك في ١٩ تشرين الأول ١٩١٩ بلسان رئيس حكومتها، على مساعدتها ودعمها وحمايتها لاستقلاله ووحدته باسترجاع المقاطعات الضرورية لوجوده. فبالرغم من تعاظم الاهتمامات الخطيرة الحاضرة والتي لا نتجاهلها، هل ستبقى فرنسا متردّدة في أسماع صوتها لطمأنة شعب في حالة من القلق تعنيه وحده؟ هل ستتأخّر عن أن تظهر له بالأعمال بأنه لم ينتظر منها عبثاً تحقيق رغباته والحفاظ على حقّه بالبقاء»[٢]. وفي نيويورك احتجّ رئيس النهضة اللبنانية نعوم مكرزل في تلغراف أرسله الى رئيس الوفد اللبناني الثالث «على طمع فيصل بالملك على لبنان»، وذلك باسم /٥٠٠,٠٠٠/ ألف لبناني في أميركا وطلب «ما نطلبه بتوسيع لبنان وأن تكون علاقاته مع فرنسا وحدها»[٣]. وفي لبنان، اجتمع اللبنانيّون في بعبدا في ٢٢ آذار ١٩٢٠ للاحتجاج على ما جرى في دمشق وعلى عدم شرعية المؤتمر ومقرّراته، وأكّدوا على استقلال لبنان ووحدته ونظامه[٤]. وتلخّصت مطالب المتظاهرين من مشايخ وأعيان ورؤساء بلديات ومخاتير بما يلي:

١ — الاحتجاج على صلاحيّات المؤتمر السوري.

٢ — التأكيد على استقلال لبنان.

٣ — ابطال مقرّرات المؤتمر السوري ودعم الوفد اللبناني في باريس.

---

١ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 29.

٢ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 29.

٣ — يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ١٢ آذار ١٩٢٠، ص/ ١٠/.

٤ — Arch. du Patr. Mar. Annexes N° 36.

٤ — استقلال لبنان الكبير والتعاون مع فرنسا.

٥ — اعداد دستور للبنان.

٦ — تأكيد وحدة لبنان وفرنسا واتخاذ العلم المثلّث الألوان مع الأرزة في الجزء الأبيض[١].

أمّا الصحف البيروتيّة فقد انقسمت، فأيّدت الصحف الإسلامية اعلان ملكية فيصل «وهنّأت الشعب وتمنّت للملك السعادة والإزدهار، وبين هذه الصحف «جريدة البلاغ»... أمّا الصحف المسيحيّة فمنها «من لم يعر أيّة أهمية لذلك الاعلان، ومنها ما قال بأنّه ملهاة والمستقبل كفيل ببرهان النتائج ولبنان لن يحتفظ بالصمت تجاه هذا الوضع، وسيعلن بدوره استقلاله». وبدوره قام الجنرال غورو بتغطية تظاهرة بعبدا وابلاغها الى حكومته في باريس في برقيته بتاريخ ٢٠/ ٣/ ١٩٢٠، وأضاف: «هذه المظاهرة التي جرت بكل هدوء وظلّت ضمن الإطار الشرعي، عاكست مبادرة المؤتمر السوري الاعتباطية، وشهدت مرّة أخرى، للثقة التي يضعها في فرنسا الشعب اللبناني لتنظيم مصالحه التي يجب أن تتحقّق في القريب العاجل. وأرجو من سعادتكم ابلاغ سيادة المطران عبدالله خوري بهذه التظاهرة»[٢].

وورد في أحد تقارير البحرية الفرنسية بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٩٢٠ «ان اعلان ملكية فيصل الذي تمّ في ٨ آذار في دمشق أثار موجة استنكار عارمة في الأوساط المسيحيّة... وطالب الكثيرون منهم بكيان الجمهورية اللبنانية المستقلة تماماً عن سوريا، وأن تحلّ تسميته فينيقيا (القديمة)، محل اسم «لبنان الكبير»[٣].

وفي هذه الظروف وجّه الوفد اللبناني برقية الى مؤتمر الصلح شدّد فيها على «الشرعية الكاملة لمؤتمر بعبدا، الذي يمثّل ألفاً من الشخصيات المنتخبة من الشعب. ويترك الوفد للرأي العام الحكم بين هذه الجمعية، وتلك الجمعية التي انعقدت بدمشق بواسطة زمرة مأجورة في النادي المعروف بـ «النادي العربي»... وكرّرت البرقية التي وقعها كل من

---

١ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 35. (p. 2).

٢ — Arch. p. N° 35.

٣ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 83.

رئيس الوفد المطران عبدالله خوري والأمير توفيق أرسلان، ويوسف الجميّل واميل ادّه، ما صدر عن المؤتمرين في بعبدا بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٢٠[١].

وفي باريس، طالب رئيس اللجنة المركزية السورية، شكري غانم، من رئيس الحكومة الفرنسية السيد ميلران، برفض تبعية لبنان الى المملكة الفيصلية والاعتراف بلبنان باسم «جمهورية لبنانية» ووصاية فرنسا حسب اتفاقية ١٩١٦[٢]. جاء ذلك في رسالته الى ميلران بتاريخ ٨ نيسان ١٩٢٠ والمتضمّنة مختصراً للبرنامج المتعلّق بسوريا وقد جدّد فيه:

١ — «الاحتجاج الحاد ضد اعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا...

٢ — نطالب باستقلال بلدنا ونأمل به الحصول على مؤتمر شرعي...

٣ — نوافق مع الشعور المؤيّد للنظام الجمهوري...»[٣].

فالسيد شكري غانم الذي ترأس اللجنة اللبنانية في باريس وانتخب عام ١٩١٣ نائباً لرئيس المؤتمر العربي، وبالرغم من توجّهه السوري بين ١٩١٨ — ١٩٢٠، حيث كان قد تأثّر بالتيّار الداعي لإنشاء سوريا الكبرى في الكي دورسيه والجمعيات

---

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 36.

٢ — ورد اسم هذا الاتفاق الانكليزي — الفرنسي في المراجع والوثائق القريبة من تاريخه، ونذكر من هذه الوثائق، مثلاً، تقرير للمطران عبد الله خوري سنة ١٩٢٠ من محفوظات البطريركية المارونية بالفرنسية، الذي جاء فيه حرفياً: «كانت الحدود (التي يطالب بها لبنان) موافقاً عليها ضمنياً في محادثات سايكس — بيكو سنة ١٩١٦». وكان المطران خوري يستند في مجمل مذكّراته وتقاريره الى هذا الاتفاق ويسميه Accords". كما أن يوسف السودا في كتابه في سبيل الاستقلال المعوّل عليه في كثير من الأفكار ذكر نقلاً عن جريدة الطان Temps الباريسيّة في عددها الصادر في ٢٦/ ٩/ ١٩١٨ اسم «اتفاق سنة ١٩١٦، الفرنسي — البريطاني». راجع صفحة ١٤٨، ويسمي يوسف السودا الاتفاق أيضاً «بالعهد بين انكلترا وفرنسا» صفحة ٧٥، ويضيف جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب اسم: «الاتفاق الإنكليزي — الفرنسي — الروسي، المعروف بالتفاق سايكس — بيكو» صفحة ٣٤٧، ٣٥٠. أمّا انطون حكيم فيثبت اسم «اتفاق بكلمة» Accords ويشير الى مراحل «المحادثات Entretiens" والتي نفسها كانت بمثابة اتفاق صفحة / ٤٩ — ٥١ /، استدعت توضيحه محادثات كليمنصو لويد جورج بتاريخ ١٣ أيلول ١٩١٩.

- A. Hokayem, l'empire ottoman, op. cit., p. 231 - 233.

٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 42.

الاستعمارية وغرف التجارة الفرنسية ، فقد تحوّل في الفترة الأخيرة الى المناصر الأول للوفد الثالث المقاوم للتيّار السوري — العربي ، والمؤيّد باندفاع لقيام لبنان الكبير الذي يضمّ البقاع وطرابلس وبيروت [١] . هذا الموقف الدفاعي عن لبنان ومصالحه لم يستغربه البطريرك الحويك الذي اعتبر أن « ولدنا الخواجه شكري غانم هو من الأفراد الذين يفتخر بهم لبنان وبوطنيّتهم الصادقة [٢] » . كما نوّه به المطران عبدالله خوري وأشاد بوطنية شكري غانم الذي « وضع كل امكاناته وتأثيره في ميدان الصحافة والأوساط الأدبية والسياسيّة والحكوميّة في خدمتنا » [٣] . وهكذا توطّدت المساعي اللبنانية السياسية في باريس وتركّزت على جميع مراكز التأثير في الإدارة الفرنسية ولاسيّما بواسطة المسيو Lenail الذي استاء جداً من المناداة بملكية فيصل ، وصارح الوفد اللبناني بأن لجنة الشؤون الخارجية في المجلس » طلبت بشدّة من المسيو ميلران رئيس الوزارة ألّا يتنازل عن حقوق فرنسا وحقوق لبنان تجاه فيصل [٤] . وكان البطريرك الماروني قد طلب في رسالته الى المطران خوري حض المعنيين في الحكومة الفرنسية « على

---

١ — أرشيف تاريخ لبنان ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، المرجع السابق.
— راجع أيضاً : يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات ١٨ شباط ١٩٢٠ .

٢ — رسالة البطريرك الحويك الى المطران خوري ، تاريخ ١٧ آذار ١٩٢٠ ، محفوظات البطريركية المارونية ، الوثيقة رقم/ ٣/.

٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83, (p. 61).

— نشير في هذا المجال الى مبدأ شكري غانم في ضرورة اعتماد لبنان الدائم على نفسه مع العون الفرنسي ، نقتطف بعضاً من رسالته الى المطران عبد الله خوري يبرّر فيها موقفه وآراءه ويطرح بواقعية المشاكل السياسية والوطنية في لبنان وقال : « ... المسؤوليّة في لبنان كبرى ، فمواطنونا ليسوا بالسهولة المتناولة ، إنّهم أذكياء ، لكنهم كم يكونون عتاة . إنّهم يطيعون وهذا صحيح . إنّما طاعتهم أسهل الى غريب يفرضها عليهم من واحد منهم ... ما أريده هو أن يكون الوطن اللبناني في المصاف الأول بين الأوطان المجاورة ، على رأس الحضارة السورية وقلعة التقدم . وهذه الكلمة Bastion تحملني على التفكير بالدفاع عنها وبنظامها الاقتصادي ، إذا ، بتكوين قوّة خاصّة لها . فالإسلام في الداخلية سيكون لكم دائماً مصدر تهديد ... ممّا يتوجّب أن نكون على غراره ، ومواجهته بسور قادر على إيقاف كل محاولة اختراق ، وكل طمع ... فإذا لم نكن نحن عند الحاجة قادرين ، على المقاومة ، فإن فرنسا ستنهك من دعم وحماية أقلية عاجزة عن تنظيم ذاتها والدفاع عن نفسها بنفسها » .

-Arch. du Patr. Mar. op. cit. Ann. N° 55.

٤ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات ١٥ آذار ١٩٢٠ .

وجوب اطلاق يد سعادة الجنرال غورو الذي جمع الفطنة الى الشجاعة والإقدام واللطف واللين الى الحزم والشدة ... ان الغلا قد ضرب أطنابه في البلاد أكثر من ذي قبل ... وانفتح باب كبير للمهاجرة فإن لم تداركنا يد العناية وهمّة الحكومة تصبح بلادنا مقفرة ... من صورة القرار الصادر من المؤتمر السوري في دمشق تحصّلون سوء المصير » [١] .

وجاء لقاء الوفد اللبناني مع ميلران مناسبة أعدّت سابقاً لطرح كل الأمور وممّا جرى في ذلك اللقاء : « استحلفه الأمير توفيق أرسلان بألّا تقتل فرنسا محبّة اللبنانيين لها ، وطلب منه الشيخ يوسف الجميّل بأن يفوه بوعد من قبل الحكومة ليوصله الى مسامع اللبنانيين » ... فأجاب رئيس الوزارة الفرنسية ، « أن فيصلاً له الحرية أن يفعل ما يشاء ولكن ذلك لا يتجاوز الحبر على الورق ... » ورداً على تساؤل المحامي اميل اده عن موقف فرنسا ازاء احتلال فيصل للبقاع ، أضاف ميلران : « هذا غلط حدث عن عدم تروّي ولكنه يسهل اصلاحه » [٢] .

رابعاً : تركيز وإصرار الموارنة على « لبنان الكبير » :

وكان على أعضاء الوفد أن يوسعوا دائرة نشاطهم واتصالاتهم في جميع مرافق الثقل الفرنسي ، فشملت كذلك النواحي الإعلامية والدينية ، حيث كان لرجال الدين الفرنسيين فعالية ملحوظة وعلى رأسهم الكاردينال Dubois ، والمونسنيور Gabriel Hanotaux مؤرخ حياة جان دارك ، وممثّل الحكومة الفرنسية في حفلة تطويبها في ذلك الحين لدى الكرسي الرسولي [٣] .

---

١ — رسالة البطريرك الى المطران ، محفوظات البطريركية المارونية ، الوثيقة رقم/ ٢/.

٢ — المرجع نفسه ، ماجريات ٢٠ آذار ١٩٢٠ ، راجع أيضاً :
— رسالة المطران خوري الى البطريرك الحويك ، محفوظات البطريركية المارونية ، الوثيقة رقم/ ٦/.
و : - Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83 (p. 56, 57).

٣ — يوميات المطران خوري ، ماجريات ٢٤ و٢٥ آذار و١٠ نيسان ١٩٢٠ ، وتجد فيها ما وعد به محرّر جريدة الطان Temps وجريدة De Pas للوفد اللبناني ، من المساعدة الفعّالة على صعيد الاعلام بخصوص المسألة اللبنانية .

وبفعل الجهود والتحركات على هذا الصعيد، تلقّى المطران خوري من مجلس الشيوخ الفرنسي ومن مجلس النواب، ومن عدّة شخصيّات بارزة، رسائل تؤيّده وتحدّد مواعيد رسمية لاجتماعاتها مع الوفد اللبناني لمناقشة الحلول المطروحة للقضية اللبنانية.

وقد شدّد المسيو Bargeton وهو يحدّد موعد مقابلة رئيس الوزارة الفرنسية مع الوفد الثالث على أنّه لا يوافق أن تبقى الأفكار قلقة في لبنان، وأنّه من الضروري أن تحافظ الحكومة الفرنساوية على تقاليدها»... وقد توافق هذا الموقف مع مطالب الوفد الملحّة والتي أبلغها الى المسيو Lenail بالحرف: «إذا كانت فرنسا تحبّ حقيقة مساعدتنا فعليها أن تعمل حالاً للبنان ما هو بمقدورها وهو أن تلحق به حالاً بيروت ونواحي صور وصيدا ومرجعيون وطرابلس التي هي بتسلّمها ولا دخل لفيصل بها، فذلك ينعش قلوب اللبنانيين وآمالهم[1]. كما حرّك المطران خوري قضيته في الصحف اذ كتب بتاريخ ٣١ آذار ١٩٢٠ في جريدة Le Temps الباريسية مذكّرة مطوّلة حول البقاع نقتطف منها النقاط الأساسية الآتية: «... لقد ادعى الجنرال اللنبي بأن على العرب الاستمرار باحتلال الأقضية الأربعة لأجل اعتبارات عسكرية... ولمّا كان مفوّض القوميسارية الفرنسي لا يمثّل إلّا صفة المستشار السياسي بالنسبة للقائد البريطاني، اضطرّ أن ينحني أمام إرادة هذا الأخير...» وكان سكان هذه الأقضية قد أعربوا عن رغبتهم بالانضمام الى لبنان في مناسبات عدّة:

١ ــ «قبل الحرب في سنة ١٩١٣، وقّع أهالي بعلبك والبقاع بالاكثرية الساحقة عرائض تطالب بإلحاقهم بلبنان. شخصيّات عديدة، أمثال، حيدر بك زعيم المتاولة، وكثيرون آخرون، ممّن كانوا على رأس الحركة ابّان الحرب أوقفوا من قبل الأتراك وحوكموا وأعدموا. نذكر أيضاً حالة نخله باشا مطران الذي بطلب من القنصلية الفرنسية بدمشق، قد أورد كتابة بأن أهالي بعلبك على استعداد للثورة وأن يأخذوا عنوة مناطقهم اذا ألحقت بلبنان. ومع اعلان الحرب، وجدت هذه الكتابة في أرشيف القنصلية الفرنسية، فكانت سبباً للحكم على كاتبها بالموت من قبل الأتراك».

٢ ــ وبعد احتلال الجيوش الحليفة لسوريا في تشرين الأول ١٩١٨، وبمناسبة

١ ــ يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ١٥ آذار ١٩٢٠.

إرسال الوفد اللبناني الأول الى مؤتمر الصلح، وقّعت جملة عرائض من سكان الأقضية الأربعة، مطالبة بالإنضمام الى لبنان وانتداب فرنسا. أودعت هذه العرائض في وزارة الشؤون الخارجية في كانون الثاني ١٩١٩.

٣ ــ وفي الوقت الذي كانت البعثة الأميركية في سوريا بمهمة الاستفتاء وقّع هؤلاء الأهالي عرائض جديدة بالمعنى نفسه، جميع هذه الوثائق قدّمت إلى المفوّضيّة العليا ببيروت، فنقلتها الى مديرية الشؤون الخارجية بتاريخ ٧ أيّار و٧ حزيران ١٩١٩[1].

٤ ــ بمناسبة انطلاق الوفد اللبناني الثاني في تموز ١٩١٩، تجمّع لدى البطريرك الماروني الذي رئسه، تكليفاً اجماعياً من قبل أهالي الأقضية الأربعة أسوة بأهالي الأراضي التي تطلب انضمامها الى لبنان. والحجج المتعلّقة بهذا التكليف أودعت في الأمانة العامة لمؤتمر الصلح في تشرين الأول ١٩١٩...«ولا يسعنا إلّا أن نذكر ما جرى من اغتيالات في كوكبا والفرزل، وحديثاً، اغتيالات بعلبك والبقاع إلى جانب المذابح والنهب في مرجعيون حيث أكثر من خمسين قرية هجّرت بكاملها»... إن أكثر من ٣/٤ الأملاك في هذه المناطق تخصّ لبنانيين أو من أصل لبناني...» إذا كانت فرنسا لسبب أو لآخر، لا تقدر بعد، الحاقها (الأقضية) نهائياً بلبنان، فلماذا لا تحتلّها بنفسها لتمنع عنها فوضى العربان؟... لكن، بالانتظار، كتب على اللبنانيين أن يظلّوا على صخرهم القاحل، محرومين من سهولهم التي يحول العرب دون تحصيل قمحها، وغير قادرين على الشروع بإعادة تنظيم بلدهم الذي يخرج منهوكاً من سنوات الحرب الأربع وقد فقد خلالها ثلث أهليه»[2].

واسبغ على تلك التحرّكات بوادر النجاح، ذلك التعاون اللبناني بين مختلف الأشخاص والمؤسّسات الاغترابية، التي لعبت دوراً إيجابياً بتأليب الرأي العام الفرنسي والدولي، لصالح لبنان، فتوحّدت كلمة الوفد اللبناني الثالث، وآراء الفعاليات أمثال

١ ــ وكان الجنرال غورو قد أرسل الى رئيس الحكومة يعلمه بمضمون العرائض المذكورة لتكون بتصرّف رئيس الوفد اللبناني المطران عبد الله خوري، راجع:

- Arch. du Patr. Mar. Ibid Ann. N° 87.

٢ ــ Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 39.

شكري غانم، وجرجس طراد مندوب البرازيل، وأيّوب تابت مندوب الولايات المتحدة، وجورج سمنه الذين اجتمعوا بالمسيو Lenail والمسيو millerand وطلبوا الاسراع بأن يحتلّ الجيش الافرنسي المنطقة الزرقاء بما فيها البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا»[1]. وفي هذا المناخ الموحّد، قدّم الوفد اللبناني الثالث الى مؤتمر الصلح، تقريراً مفصّلاً بالمطالب اللبنانية، وقد لخّصناها بالنقاط الأساسية الأربع وهي:

١ — استقلال لبنان المطلق.

٢ — اعادة حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة الضرورية والحيوية.

٣ — المساعدة الفرنسية.

٤ — مسألة التعويضات.

وألحق الوفد تقريره، بمذكرة تأكيد للحقوق اللبنانية والاحتجاج على حركة فيصل ذات النزعة البريطانية، وأبلغ الفرنسيين ومؤتمر الصلح «أن لبنان لا يخشى مطلقاً ادعاءات الأمير فيصل ان هو ترك لقدراته الذاتية وحدها»[2]، فأوردت المذكّرة العلاقات الحميمة التقليديّة بين لبنان وفرنسا، وأثارت مسائل «إعادة إعمار لبنان بعد الفظائع (التركية — الألمانية) التي أفقدته أكثر من ثلث سكانه، ضحايا القهر والتجويع والانتقام من قبل الحكّام الأتراك الذين لم يغفروا للبنانيين تعاطفهم نحو فرنسا...» وكرّرت وعود كليمنصو للبطريرك الحويك في رسالته الشهيرة في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٩، ولا سيّما قضية الأراضي التي تشمل «طرابلس، بيروت، صيدا، وسهول بعلبك والبقاع، ومناطق حاصبيا — راشيا ومرجعيون وغيرها... وجميع سكانها بأغلبيتهم الساحقة لبنانيون أو من أصل لبناني، وقد طالبوا في مختلف الظروف بضمهم الى لبنان... فإلى فرنسا، واليها وحدها، يرجع انصاف لبنان... وإذا كانت الظروف لا تسمح به الآن، فعلى الأقل، يجب الحاق هذه الأراضي بالمنطقة الزرقاء التي تضمّها حسب اتفاقية ١٩١٦، بمعنى أن تكون أخيراً منفصلة عن الإدارة العربية التي لا تملك عليها أي حق... ولهذا لا نرى موجباً للتمادي بتضحية اللبنانيين إكراماً لفيصل...»[3].

١ — يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ٨ نيسان ١٩٢٠.

٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Annexe N° 28.

٣ — Arch. Ibid. Annexe N° 28.

وأعرب عن أمله بألّا تتأخّر فرنسا عن تلبية تلك المطالب، وأن تتولّى تنظيم ادارة لبنان الجديد وأجهزته. وكرّر الوفد اللبناني بأن «لبنان ينتظر بأن يبقى مستقلاً كما كان دائماً، ويذكر الوفد الأمير العربي بأن أسلافه في أوج نفوذهم أجبروا على احترام الجبل اللبناني... فليس باستطاعته اليوم احتلاله بجيشه المعروف والذي لا يشكّل إلّا مجموعة عصابات... ونحن نعتقد جازمين بأن فرنسا لا تجيز أقلّ تدخّل من قبل الأمير فيصل في المنطقة المخصّصة لها حسب اتفاقات ١٩١٦. وإذا كان هذا الاعتقاد في موضع اعطاء التطمينات الى اللبنانيين، فهم غير قلقين على مصير وطنهم ويطلبون التكريس الفعّال لمطالبهم... ينتظر اللبنانيّون من فرنسا العمل الذي يسترجع لهم معنوياتهم التي زعزعتها سنوات الحرب الأربع، والتذبيح المخيف وما يحدث ويتكرّر... إن وفدنا يثق جيداً بأن فرنسا... ستتحرّك بمساعدتها ودعمها ضمن الحدود المرسومة في خريطة الحملة الفرنسية ١٨٦٠ — ١٨٦١»[1]. ثم أرسل الوفد يطمئن مجلس الإدارة في لبنان عن حصيلة مساعيه، بقوله «إننّا تلقّينا من وزارة الخارجية تأكيدات بأنه لم يطرأ أي شيء على نوايا الحكومة الفرنسية فيما خصّ لبنان... فالضمانات التي أعطيت للبطريرك ملتزم بها تماماً.... ونتابع هنا حالياً مساعينا باتفاق تام، ونجد أينما كان استقبالاً مشجّعاً»[2]. وذكر الوفد الدور البارز الذي قام به السفير الفرنسي في لندن المسيو كامبون Cambon الصديق الشخصي القديم للبطريرك الحويك الى جانب المسيو Lenail، لحمل المسؤولين الفرنسيين على اتخاذ القرارات المؤيّدة لمطالب اللبنانيين[3].

وفي ٢٠ نيسان ١٩٢٠ أرسل الوفد الى ميلران مكرّراً «اعتماد الوفد على مساعدته في المفاوضات التحضيرية لاتخاذ القرار النهائي[4] وأضاف... أن لدينا الرجاء القاطع

١ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 33.

٢ — Ibid. Annexes N° 26.

٣ — Arch. Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 89.

— رسالة المطران خوري الى البطريرك الحويك، محفوظات البطريركية المارونية، وثيقة رقم / ١١/.

٤ — في رسالته الى الخواجه أنطون عريضه، اختصر المطران خوري مساعيه حتى ابرام معاهدة الصلح (سان ريمو) بين فرنسا وتركيا وقال: صرنا على أمل أن نرى في وقت قريب بلادنا (سائراً) مثل غيره في طريق الاستقلال، معضوداً من الدولة الافرنسية، واسع الأرجاء وفيه ما يشوق بنيه الى العود اليه والتفاني في سبيله ان شاء الله القدير».

أوراق من ملف المطران عبد الله خوري، بدون تاريخ، محفوظات البطريركية المارونية، الوثيقة رقم ١٧.

واليقين الوطيد بأن فرنسا التي كرّست رسمياً استقلالنا التام ... لا تألو جهداً عن اكمال معروفها التحريري والخيّر بتحقيق اعادة لبنان بالحدود الطبيعيّة والتاريخيّة ... وأن يتسنّى لنا أن نرفع الى من يلزم وجهة نظرنا والتبريرات اللّازمة دفاعاً عن مصالحنا وحقوقنا . إن وفدنا الذي حضر خصيصاً الى باريس من أجل هذه الغاية يسمح لنفسه بأن يعتمد على لطف فخامتكم لإنهاء مهمته والانتصار التام لقضية لبنان»[1] . ولاقت هذه القضية دعماً جديداً من جمعية فرنسا — الشرق France-Orient ، التي قرّر أعضاؤها «أنهم يطلبون بواسطة رئيسهم المسيو لوبويك Leboueq، من الحكومة اجابة مطالب اللبنانيين، وقرّروا انشاء فرع لجمعيّتهم يدعى فرنسا — لبنان France-Liban[2] .

وتركّز جلياً من خلال رسائل المونسنيور فغالي في بوردو الى المطران خوري في باريس التعاون اللبناني من أجل القضية ، «لأنّ القضية اللبنانية مجهولة في فرنسا بشكل عام ، وبواسطة الجرائد والمؤتمرات العامة نتوصّل الى إفهامها إيّاها» ، وقال فغالي أيضاً : «إني على يقين بأن الله تعالى سينهي جهودنا ، بتحقيق أمانينا وكل رغباتنا بالرغم من جميع الدسائس والنوايا السيئة التي تعترض فرنسا في تلك الأمكنة» ... إنه بدون شكّ بفضل مساعيكم ونشاطكم الحكيم تتحقّق المصالح اللبنانية ، وأنا أقوم بإعداد مؤتمر عام حول لبنان [3] .

وبقيت نقطة مهمّة تشغل الوفد اللبناني في باريس ، فاجتمع مع المسيو سان رينه St. René بشأن الحدود المعيّنة بموجب خارطة الحملة الفرنساوية ١٨٦٠ «فطلبنا منه تحقيق أمانينا ... لأن فهمنا من رجال فيصل الذين في باريس أنه حدث اتفاق بين حكومة الشام والفرنسيين على أن بيروت وطرابلس لا تكونان الى لبنان ، أمّا البقاع فيعطى منه لبنان فقط البقاع الغربي الذي هو جزء من ٢٥ فقط من المطلوب»[4] . وكان لا بدّ للمطران من أن يضع البطريرك في أجواء تحرّكاته في باريس فكتب اليه في ٤ نيسان ١٩٢٠ : «لا يزال اعتقادنا متيناً بنوال الاستقلال التام عن الشام وبتوسيع

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. 45,
٢ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ٥ آيار ١٩٢٠ .
٣ — Arch. Ibid, Ann. N° 44.
٤ — يوميات المطران خوري ، ٧ آيار ١٩٢٠ .

الحدود ، إنّما نخشى أن هذا التوسيع لا يكون كما نحن نرغب ، نخشى أن نعطى جنوب لبنان الحالي مع البقاع الغربي فقط دون بعلبك والبقاع الشرقي وأن نحرم طرابلس ونصارى عكار وهذا يقوله هنا بعض رجال فيصل في الوكالة العربية ... وقد ألفتنا الأنظار هنا الى عدم موافقة الحاق نحو سبعين ألف متوالي من الجنوب في لبنان وترك مسيحيي البقاع وعكّار خارجين عنه وقد بلّغنا ذلك هنا لمن يلزم من مساعدينا ... وكلّهم يعتقدون أن الحركة التي حصلت في الشام ... تخدم لبنان أكثر من سواها لنوال مطاليبه ونحن نعتقد ذلك إنما نخشى المساهلة مع الشام وكما كتبنا لكم سابقاً ... إن رأي الجنرال غورو هو المعوّل عليه هنا»[1] .

وفي هذا الإطار جهد المطران خوري مع زملائه في اعداد التقارير حول الحدود والمرافىء والمدن ، فكتب في تقرير عن المدن والمرافىء يقول : «ليس لدينا ، في المباحثات المفتوحة ، أي خصم له الصفة بأن يتدخّل . فنحن تجاه فرنسا ، منفردة ، وهي لا يمكنها أن ترفض اليوم ، ما كانت تجهد نفسها به في الأمس بكل الوسائل ، لنحصل عليه ... فلم تكن تكلّ عن الترداد بأن الصديقة الكبرى ، عازمة بقوة على إنجاز المهمة التي بدأت سنة ١٨٦٠ ... لقد ترامى الينا بأن بيروت وطرابلس لن تكونان لبنانيتين ، فلا يوجد ما يبرّر مثل هذه الأفكار . بالمقابل ، يسهل علينا أن نتبيّن حكم القضاء على لبنان من جرّاء سلخ هاتين المدينتين اللتين تؤلّفان جزأً مكمّلاً منه :

«**أولاً** : **بيروت** : إن نظرة بسيطة على الخريطة ، تتيح الاقتناع بأن هذه المدينة لا يمكن أن تكون إلّا لبنانية . وهي اذ يحوط بها لبنان الحالي من كلّ الجهات ، حيث أنّها فصلت عنه بتعسّف تركي مشوّه ، فليس من الممكن الوصول اليها من جهة البرّ إلّا باجتياز الأراضي اللبنانية بمسافة أقلّها خمسون كيلومتراً . فهي تقع في قلب لبنان ، ومن هذا الواقع ، للبنان فيها الحق الأولي والقاطع ...» .

يتفق هذا الحقّ بالتزامن مع نظيره لدى شعب بيروت الذي طالب في غير مناسبة بانضمامه الى الجبل اللبناني .

١ — وثائق المطران عبد الله خوري ، رقم/ ١٠/.

«الوثائق الرسمية التي تشهد به، ترجمت في مناسبتين مختلفتين، الأولى، الى وزارة الشؤون الخارجية والثانية بعناية البطريرك الماروني الى الأمانة العامة لمؤتمر الصلح.

وبحكم موقعها الجغرافي وتطوّرها الاقتصادي والاجتماعي الذي وصلت اليه، بفضل المسيحيين واللبنانيين، أصبحت بيروت، منذ أمد بعيد، واقعاً عاصمة لبنان، كما كانته في السابق وبحق، بظل فخر الدين الشهير، والأمير يوسف شهاب.

«وتشكّل المركز **الوحيد** لمشاريع الأعمال في لبنان، فكل القوى الفاعلة في الجبل، تجد نفسها مجذوبة اليها... بالنسبة الى الأغنياء والعديد من اللبنانيين في الخارج، إن انضمام بيروت والمدن الساحلية الأخرى الى لبنان، هو الشرط الرئيسي لعودتهم للوطن... وإذا لم تعد هذه المدن لبنانية فسيظلّ الجبل بصخوره القاحلة بالنسبة اليهم، بلا فائدة، وسيحتفظون في العودة، حارمين هكذا، لبنان من مؤازرة رؤوس أموالهم الضخمة.

«من جهة أخرى، على افتراض أن بيروت لن تكون لبنانية، فما هو الوضع القانوني لسكانها الحاليين؟ سيكونون لبنانيين؟ أم سوريين؟ أم بكل بساطة سيكونون مواطني مدينة بيروت؟

«إن بيروت اللّالبنانية، تشكّل الحافز الحقيقيّ للتخلّي عن الواجب، إذ يكفي اللجوء اليها والحصول على حق المواطنية، للفرار من جميع الخدمات العسكرية التي في نيتنا، ويجب فرضها، من أجل المصلحة اللبنانية والفرنسية على السواء... إن لبنان Exsangu [1] بثغر بيروت، يتحوّل الى فريسة سهلة بالنسبة الى مناوئيه الذين يحيطون به ويترصّدونه من كل جهة...

ثانياً: «**طرابلس**: العوامل ذاتها تفرض كذلك أن تكون طرابلس لبنانية... أن تنفصل الآن طرابلس عن لبنان لسبب واحد هو الأكثرية المسلمة، التي من جهة هي لبنانية، ولم تستطع أن تتكون إلّا بنتيجة الاعتداءات التي مورست على المسيحيين من

١ ــ هكذا وردت في النص الفرنسي المأخوذ من تقرير المطران عبدالله خوري. راجع:
- Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 77.

قبل الاتراك، سيكون ذلك استبداداً كما إذا نزع مثلاً من دمشق الحي المسيحي أو الاسرائيلي، لإقامته في مدينة غير سورية... «من البديهي إذاً أن الحل المنطقي الوحيد هو بعدم التوقف عند مثل هذه العرضيات. إن مصير كل بقعة لا يمكن إلّا أن يتبع مصير المنطقة المحيطة حيث تتواجد فيها.

«إذاً»، طرابلس كبيروت، بكونها ضمن منطقة لبنانية في الأساس، لا يمكنها إلّا أن تؤلّف جزءاً من لبنان...

«مدينتان حرّتان»؟ إنه الحلّ الذي ترجّح التوصية به، في هذه الحالة، يطرح سؤال آخر، على افتراض بأن الانتداب المحدّد من قبل جمعية الأمم يتيح تحقيق مشروع كهذا، فلأي حكمة تتبنّى ذلك؟ لماذا يشوّه لبنان الى هذا الحد؟...

«يقال، بأن بيروت وطرابلس، يجب أن تكونا مرفأين، ليس فقط للبنان، بل لكل سوريا، فلا يمكنهما بالتالي أن تكونا لبنانيتين. لكن، يبدو من هكذا اقتراح، ولنفرض بأنه صحيح، أن له نتيجة بأن بيروت وطرابلس يجب أن تكونا بالأحرى مرفأين حرّين «وليس مدينتين حرّتين، هذا لا يعني نفس الشيء... قد يكون واضحاً، عند الاقتضاء، أن يضحّي لبنان، وأن تتضمّن تضحيته بعض الفائدة لفرنسا... لكن كلّما كان (لبنان) أكثر حيوية وصلابة، تجد نفسها أكثر ثباتاً في كل سوريا...

يجب أن يتمكّن اللبنانيون من الاستمرار، بكل قواهم، وبدون أيّة خلفيّات، الأصدقاء الحقيقيين والشرعيين لفرنسا، التي ما برحوا ينادونها منذ زمن بعيد، ولأجلها ٢٠٠ ألفاً منهم قضوا خلال الحرب» [1].

كما أن رئيس الوفد المطران عبدالله، كان متخوّفاً من عدم ذكر استقلال لبنان في معاهدة الصلح مع تركيا، لأن «الاستقلال الذي وعد به كليمنصو واثبته لنا ميلران إنّما هو استقلال إداري فقط» [2]. لذلك ضاعف الوفد جهوده ولا سيّما لدى سماعه برغبة فيصل في الحضور الى باريس. واستعان بجميع الشخصيات اللبنانية في باريس وذكر

١ ــ Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 77.
٢ ــ رسالة المطران خوري الى البطريرك الحويك، محفوظات البطريركية المارونية، الوثيقة رقم/ ١٥/.

في رسالته الى البطريرك بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠ دور جان ملحمة وصداقته مع موريس باراس وأعرب عن اختلاف الرأي مع روبير دي كاه «فحضرته حاول أولاً عدم الدخول بالأمر (مصير المدن اللبنانية) وسألنا عن سير أحوالنا فأخبرناه ما قد توقّع معنا حتّى الآن وعن اهمال ذكر لبنان في معاهدة الصلح مع تركيا، فقال إن اهمال لبنان كان سببه السهو والنسيان، فبكينا بكاءاً مرّاً على الشعوب الصغيرة والبلدان الصغيرة... ثمّ صرّح لنا روباردي (كاه) أن الحكومة تنوي ابقاء بيروت وطرابلس منفصلتين عن لبنان بصفة مدينتين حرّتين: Villes libres حتّى يتسنّى لكلّ اللبنانيين والسوريين معاً التمتّع بمنافعها التجارية، فقلنا أن لبنان يعدّ نفسه مالكاً بكل حق لهاتين المدينتين من كل وجه (جغرافي واقتصادي وقومي وعدلي...) وأن الحاقها به لا يمنع السوريين من التمتّع بالمنافع التجارية بموجب اتفاقية تبرم بيننا وبين السوريين. فقال: إن شعب طرابلس لا يرغب الإنضمام وأكثره اسلامي فقلنا أن نصارى حلب يرغبون الانضمام الى لبنان فلماذا لا يستجاب طلبهم وأن نصارى بيروت طلبوا وهم الأكثرية الغالبة... وجاهروا برغبتهم الانضمام فلماذا لا تضموهم... قال... ربما يعمل في بيروت Plébicite قلت أنكم استشرتم مراراً الشعب البيروتي... فالذي كان صحيحاً البارح لا يزال اليوم كذلك... إنّنا نطلب تحقيق خارطة لبنان المعروفة منكم... وحيث كان المقصود من تأليف حكومة لبنان المستقلّة القيام بواجب العدل نحو بلاد يطلب وحدته وقد تضحّى مدى أجيال بسببكم، وتأليف حكومة مسيحية كما هي رغبة سكان البلاد الأكثرين... فقال إن ذلك يستحيل فقلنا فإذا كل آمالنا خابت لأن من أهم الأسباب التي تجعلنا نطلب الانفصال عن سوريا هو الهرب من حكومة اسلامية فبتفضيلكم هذا للبلاد اللبنانية يظهر أنّكم تنوون ابقاءنا تحت النير المحمدي... عرضت الواقع لغبطتكم حتى إذا رأيتم مناسباً أن تخابروا وبلهجة شديدة الجنرال غورو»(١)... وفي المواضيع نفسها خاض الوفد اللبناني محاولات شاقة لإقناع المسؤولين الفرنسيين: بالموقف اللبناني ووضع المسيحيين. وممّا قاله المطران للمسيو برجاتون والمسيو Della Rocca في وزارة الخارجية الفرنسية «ان عدم ذكر لبنان في المعاهدة (سان ريمو San Rémo) يجعله غير معروف رسمياً من الحلفاء، ويكون نصيبه أمامهم نصيب سوريا»... ولما اجتهد برجاتون

١ — وثائق المطران خوري، المرجع السابق، الوثيقة رقم /١٧/.

في تبيان الخلاف وان فرنسا هي التي تحدّد بين سوريا ولبنان وهي التي تجعل لبنان حراً، أجابه المطران: «إذا أخطرت يوماً فرنسا بأن تنسحب من سوريا بسبب حرب، فلن يتمكّن لبنان من ادّعاء استقلاله لأن لا ذكر له بالمعاهدة كبلاد منفرد عن غيره(١)... فأين هي مواعيد كليمنصو للبطريرك ومواعيد ميلران لنا... وأنتم كلّفتمونا بأن نرسل للبطريرك أنكم تحافظون على الوعود»... أجابه برجاتون: «لا زلنا نحافظ»، فعاود المطران رأيه: «وليس ما يدلّ على ذلك في المعاهدة... ونحن مستعدّون للعودة الى بلادنا لنفهمهم الحقيقة، لأنّ بقاءنا هنا مضرّ ويجعلهم يعتقدوا (ن) بحسن العاقبة! علّهم يجرون شيئاً ويقفون عنهم الخطر هذا(٢). ولمّا لمس المطران تحمّس أصدقائه لقضيّته، شدّد على ضرورة الإهتمام بموضوع الحدود «بيننا وبين سوريا» وكتب الوفد الى ميلران بهذا المعنى يقول: «لقد فوجئنا بألم، بمشروع معاهدة السلام مع تركيا... حيث لم تأت أيّة إشارة الى استقلال لبنان... إنّ حلاً كهذا يشكّل تعارضاً: مع المبادئ المعلنة من قِبَل أعلى المراجع الحليفة، مع إرادة لبنان التي عبّر عنها مراراً بالحفاظ على استقلاله التام بالنسبة الى سوريا، ومع الوعود الرسمية التي تلقاها من فرنسا الصديقة الدهرية التي وضع فيها ثقة عمياء.

«إن نفوسنا تأبى أن تقبل بأن حقوق اللبنانيين المقدّسة، أكثر من غيرهم السوريين والعراقيين، قد أوشكت أن تصير منكورة ومضحى بها.

«تجاه هذا الحدث الذي نريد أن نعتقد بعدم صحته،... نودّ بحرية واجلال أن نسألكم سيادة رئيس الحكومة كي تقولوا لنا جيداً، إذا كان استقلال الجبل غير المنتهك على مرّ القرون، سيظلّ كذلك معتبراً ومحفوظاً(٣). وأرسل المطران خوري الى البطريرك يقول: «لقد طلبنا من المسيو Palrologue كاتب أسرار الوزارة العام أن لا يبتّ شيئاً بخصوص حدود لبنان قبل اشعارنا بذلك والوقوف على البراهين التي تؤيّد ما

١ — يوميات المطران خوري، ماجريات ١٢ أيار ١٩٢٠، كذلك راجع:
— رسالة المطران الى البطريرك، الوثيقة/ ١٤/.
— برجاتون هو: مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية.
٢ — يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ١٢ أيار ١٩٢٠.
٣ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 47.

ندّعيه»(١) . ونذكر مشاركة لفيف الأساقفة الموارنة المنتشرين بين لبنان وأوروبا والأميركيتين لمهمة الوفد الثالث. ومن رسالة المطران بطرس الفغالي الى المطران عبدالله خوري نورد هذه السطور : «يظهر أنه يوجد تقرّب لحكومة الشام (من فرنسا) ، ويخشى أن نُضَحَّى لهذه الغاية ، أنبّه فكركم لتكونوا على سهر وما يدلّ على مخابرات التفاهم على حسابنا هو ما جرى أخيراً من تنزيل الراية اللبنانية إكراماً للجيران على ما يقال ومن التنبّه على رجال الصحافة في أن لا يتفنّدوا على الملك الجديد وغير ذلك ما يوجب القلق لجهة لبنان. مسكين لبنان قضي عليه بالخراب وغير قريب يصير قاعاً بسبب المهاجرة التي تزداد يوماً فيوماً ، وعلى كل فهنا قلّ الأمل وضعف فعلينا أن نجاهد ونقوم بالواجب الوطني الى الساعة الأخيرة والنفس الأخير»(٢) .

خامساً : الواقع اللبناني والسياسة الفرنسية

لكن بعض الدوائر في وزارة الخارجية الفرنسية ، ظلت على مواقفها غير الداعمة لمسألة لبنان ، فاشتكى المطران من هذه المواقف في رسالته الى الجنرال غورو تاريخ ٢٤ أيّار ١٩٢٠ ، ولمس تجاوباً مع تعيين المسيو De Perreti Della Rocca دلّا روكا ، مديراً مساعداً في الشؤون السياسية والتجارية فشعرنا ولأول اتصال معه ، بما يكنّه لبلدنا من أهتمام خاص. وأضاف : «منذ وصولنا الى باريس وبالرغم من إلحاحنا لم نتمكّن من الوصول الى محادثات مفيدة مع الكي دورسي... لكن تعيين دلّا روكا... سيكون له الوقع الحسن على قضايانا... ولسنا نترقّب نهاية قريبة لمهمّتنا... ونقوم بعمل شاق لأجل اثباتها واحقاقها(٣) .

لأن وزارة الخارجية الفرنسية لها نظرة شاملة في كيفية ادارة المناطق ذات النفوذ الفرنسي في الشرق ، لذلك كتب المطران الى مفوّضها السامي في بيروت ، بأن فكرة

١ — للمزيد من تفاصيل التنسيق بين البطريرك الحويك والمطران خوري ، راجع :
— رسائل المطران الى البطريرك ، الوثائق ١٣ ، ١٥.
٢ — أوراق من ملف المطران عبد الله خوري ، الوثيقة رقم/ ٣/.
٣ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 50.

دولة سوريا الكبرى على شكل اتحاد فدرالي ، تأخذ بعين الاعتبار الطوائف المحلية . كاستقلال لبنان ودروز حوران ضمن الوحدة السورية.

وبعد أن اطلع Della Rocca على جملة المسائل العالقة ، تعهّد للوفد ، بأن يصير ذكر لبنان واستقلاله في أمور الوصاية ، وطلب منه تقديم مذكّرة خطيّة للسلطات الفرنسية . فأسرع الوفد بتكليف «اميل أفندي ادّه في ١٣ أيّار ١٩٢٠ ، بوضع عريضة لتقديمها الى رئيس الحكومة ميلران باسم الوفد(١)» . وخلال المدة التي قضاها الوفد اللبناني في باريس ، لم يترك مركزاً من مراكز التأثير في الشؤون السياسية الفرنسية وفي مؤتمر الصلح إلّا وطرقه ، محاولاً تذليل الصعوبات التي واجهته.

وما أن توصّل الى اقناع الدوائر الفرنسية بوجهة النظر اللبنانية ، حتّى وصلت من الشرق أخبار الحوادث الطائفيّة والتعدّيات الشريفية الاسلامية على القرى المسيحيّة المتاخمة لمناطق النفوذ الفيصلي(٢) وأوضح المطران بطرس الفغالي في رسالته الى المطران خوري بعض تلك الحوادث «أخبركم أن عموم المسيحيين غير راضين من سياسة الفرنساويين عندنا والإسلام أمرهم معروف وقد صارت حكومة سوريا أحسن من حكومة لبنان والعدل هناك ماش بقدم وساق... والذي جعل الأمير يختال عندنا هو سهر الاحتلال على إرضاء الاسلام وعدم الإكتراث في أمر النصارى لأنّهم يخصّون فرنسا وهذه خطّة كل كبير يضحّي ذويه لإرضاء أخصامه فتكون النتيجة أنه لا يبقى له مخلص فإن شاء الله بنهاية المسائل عندكم تنتهي الإضطرابات عندنا لاسيّما وأن القوم هنا

١ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات ١٤ و١٥ أيّار ١٩٢٠ ، راجع نص العريضة المذكورة في :
- Arch. du Patr. Mar. op. cit. Ann. N° 48.
٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83. (p. 65, 66).
— وراجع بشأن تفاصيل الحوادث الطائفية الوثائق التالية :
أ — رسائل البطريرك الحويك الى المطران خوري ، الوثائق/ ٥ ، ٦ ، ٨/.
ب — أوراق متفرّقة من ملف المطران عبدالله خوري ، الوثيقة رقم/ ٥/.
والوثيقة رقم/ ١٥/ وفيها تقرير معاصر عن حادثة عين ابل في ٥ أيّار ١٩٢٠ . والوثيقة رقم/ ٤/ من يوسف خليل بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٩٢٠

صاروا معتقدين بوجوب تغيير خطّة الملاينة بخطّة الشدّة»[١] ، وفي رسالة مشابهة قال المطران بشارة الشمالي بعد أن تكرّرت الاعتداءات على المسيحيين : «أصبحنا في موقف نخشى فيه سوء العاقبة وأن نكون ضحيّة السياسة التي لا تعرف الشرف ولا ذكر في شرعها للدّين والوجدان وضحية تسليمنا الأعمى دون قيد وشرط . فالمسؤولية كبرى والموقف حرج والسياسة تتقلّب كلّ يوم وفي غضون ذلك أبناؤنا يذبحون ذبح النعاج في عينبل وجديدة مرجعيون ويخشى من هجوم الشيعيين على جرود كسروان وزعماء هذه الحركات يسرحون ويمرحون في دمشق ... وعليه أقول أن تكون الحكومة امّا قادرة أن تحمي المسيحيين وتقتصّ من المجرمين مسبّبي الفتن أو لا ، فإذا كانت قادرة وهي لا تفعل فتكون هي الجانية ويا له من العار ... وإذا كانت غير قادرة وهي التي كسرت شوكة الالمان فعليها أن توعز إلينا لنستدرك أمورنا ولو بعد فوات الفرصة ولا نكون ضحية أبدية لمطامع الإنكليز والعرب»[٢] .

وكان الوفد اللبناني ومحرّكه الفكري والعملي المطران خوري يجابه الأحداث ويدحض المزاعم المناوئة ، لاسيّما ضد مشروع سوريا الفيصلية فجاء في أحد تقاريره الى مؤتمر السلم «قديماً وعدت فرنسا لبنان برسائل صريحة في ٢٨ نيسان ١٦٤٨ وفي ١٢ نيسان ١٧٣٧ بالحماية والوقاية الخاصة ... ولبنان لخلفيات تاريخية ، وعاطفية وواقعية رفض على الإطلاق محاولة السيطرة الشريفية ... وتعوّد لبنان من خلال حسنات فرنسا اسلامياً كبيراً ، وأنه سيخون آمال الشعب ، التي تأصّلت فيه طيلة نصف قرن ، بمعاناة جمّة ، إذا لم يعارض اليوم ، خطر التبعية الى أي مركز في الحكومة الهاشمية والمملكة العربية ... فإذا حقّقت السيطرة الحجازية شرطها الأول بأن لا تلتحق أبداً بأيّة دولة أجنبية ، فإنّها لن تستطيع أن تفرض السيطرة المقبولة بحرية ، وأن مشروع المملكة لا يمثّل لا على الصعيد الديني ولا على الصعيد السياسي استقلال العرب ووحدتهم ، ولا يعطي الضمانات المتساوية للمصالح المحلية والدول الأوروبية ، أمّا لبنان فقد أثبت ذلك وسيبرهنه بنجاح .

---

١ — أوراق من ملف المطران عبد الله خوري ، محفوظات البطريركية المارونية ، وثيقة رقم/ ٦/.

٢ — أوراق من ملف المطران عبد الله خوري ، محفوظات البطريركية المارونية ، وثيقة رقم/ ٧/.

«إن وحدة العالم الإسلامي والخلافة ، قد توارت بعد القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت في الشرق ، خرافة ، منذ أن أخذت فكرة الجنسية تستند الى الطائفية الدينية ... وفي لبنان بنوع خاص ، تصطدم هذه الوحدة بالقوى التقليدية ، واستمرار النزاعات ، والتفوق العددي للمسيحيين ... إن مذابح حلب في أواخر شباط الماضي .. كانت اشعاراً مهدّداً . والإسلام في بعض الأحيان بكونه سياسة وديناً فإن اشتداد التعصّب يظهر أكثر عندما يكون العرب أكثر اسلاماً ... ثمانية مسيحيين من الفرزل في البقاع أعدموا لرفضهم توقيع مضبطة تأييد لفيصل ، في كوكبا ، سجن قائمقام حاصبيا الزعماء الذين طالبوا بالالتحاق بولاية الساحل ، وأتلف محاصيلهم ، ممّا استدعى تدخّل المفوضية العليا ... وليس ذلك إلّا بعض الشواهد على سبيل المثال لا الحصر ...

«لهذا يكون من الأسهل عدم إثارة عصر من السخط ، وأسباب الشحناء وأزمات التقتيل ، من اللجوء إلى المعالجة بعد وقوع الحادث ... (فالأتراك) عزلوا بيروت عن لبنان ، بالرغم من موقعها على شاطئ المتوسط وانفصالها الطبيعي عن سوريا عبر السهول وقمم الجبال ، كما ألحقت بسوريا ، شمالي وجنوبي بيروت ، أقضية طرابلس ، وعكار وصيدا وصور ومرجعيون وحاصبيا وراشيا وبعلبك والبقاع التي هاجر سكّانها الذين أرهبهم الاستبداد والاضطهاد ... واللبنانيون مسلمون ومسيحيون ، وقد تلاقوا من أجل إنجاح قضية وطنية ، كما فعلوا منذ أشهر في التساوي بالاستشهاد[١] ، وضعوا ثقتهم من أجل الدفاع عن آمالهم القديمة ، في صاحب الغبطة البطريرك الماروني الذي به عاد لبنان سيّد قراره ، أميناً على التطلّعات الدهرية لجوهره ، وعازماً على الاستجارة الدائمة بفرنسا لحماية مصالحه ، فهو يتوجه لها ، الى المثالية الفرنسية التي ما فتئت تهتم بنصرة العدالة والحرية»[٢] .

إزاء هذا الموضوع واستفحال الأمر في لبنان تحرّكت الدوائر العسكرية في باريس ، و«أخبر السيد Lenail المسيو اميل ادّه أنه بعزم الحكومة في باريس أن ترسل أمراً الى الجنرال غورو باحتلال الشام وسوريا ، ثم أخبرنا القومندان ماباي Mappay الذي هو في وزارة البحرية أن احتلال سوريا غير بعيد وأن الأميرال مورنه Mornet

---

١ — اشارة الى إعدامات جمال باشا سنتي ١٩١٥ و١٩١٦.

٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 76.

الموجود في بيروت يلحّ كثيراً بذلك ، وقد كنّا منذ سبعة أيّام طلبنا ذلك من المسيو لينارس Lenars حين قابلناه في ٧ الجاري (حزيران) بخصوص حوادث صور »[1] .

هذه الحوادث أبلغها الى المطران بتاريخ ١٣ أيّار ١٩٢٠ أحد أبناء الجنوب يوسف خليل وقال : «إن الثوّار من متاولة وعرب وصلوا بهجومهم الى بوّابة صور بيدهم البومبات اليدوية ولولا شدّة فرقة المتطوّعين اللبنانيين هناك القليلة العدد لدخلوا المدينة وأجهزوا على أهاليها المسيحيين ثم عرفت بعد ذلك من أخبار الثقات أن الثوار هاجموا عينبل وحاصروها مدة لا تقلّ عن اليومين ولم يدخلوا القرية إلّا بعد فراغ الخرطوش من أهاليها الذين أبلوا بلاء حسناً وأظهروا رجولة كبيرة إنما كثرة العدد التي كانت تقدّر بالآلاف غلبتهم فدخل الثوّار القرية وقتلوا وحرقوا و بلغنا أن عدد القتلى لا يقلّ عن المائتين كذلك فعلوا في باقي القرى كرميش ودبل... حاكم صفد الإنكليزي أرسل تلغرافاً الى سيادة مخدومنا يخبره عن حريق هذه القرى المسيحيّة وعن مهاجرة قسم من الأهالي الباقين أحياء الى صفد وعن حالتهم التي تفتّت الكبد... بالإختصار ننعي لسيادتكم الطائفة المسيحية من موارنة وكاثوليك وروم في جهات جبل عامل . الخوري فرنسيس لم يزل في صور وقال انه لا يترك إلّا متى هاجر آخر نفس من الطائفة وتحاريره ترد بكثرة وكلّها تبكي الجماد... المعروف أن حكومة دمشق هي التي تعطي الأسلحة الى الأشقياء ورؤساء المتاولة على وفاق معها وهم في بيروت يسرحون ويمرحون . إذا بقيت الحال على هذا المنوال فالكل يهاجرون الى أميركا من كبير وصغير ويتركون البلاد . منذ شهرين حتّى اليوم بلغ عدد المهاجرين ستة عشر ألف رجل من جبل لبنان»[2] .

وزاد من قلق الوفد ، اقرار فيصل باستقلال لبنان ، لكنّه أراد تأجيل البت في مسألة الحدود بين سوريا ولبنان ، بعلم الإدارة الفرنسية ، بينما يعتبر الوفد ، هذا الموضوع النقطة الأهم في مهمته . فهي الحدّ الفاصل بين المسألتين السورية واللبنانية لأن هناك لبنان وهناك سوريا . وفي تفنيده لهذه الآراء قال المطران خوري : «هناك القضية السورية وهناك القضية اللبنانية... وحدود لبنان الطبيعية تتضمّن كذلك المدن الساحلية الثلاث ، طرابلس ، بيروت وصيدا المحاطة من كل الأطراف بلبنان الحالي وقد سلخها

١ — يوميات المطران خوري ، ماجريات ١٥ ، ١٦ حزيران ١٩٢٠.

٢ — أوراق من ملف المطران خوري ، المرجع السابق ، الوثيقة رقم/ ٤/.

الأتراك عنوة . وبناء لاتفاق ١٩١٦ ، فإن هذه الأراضي التي يطلبها لبنان تدخل ضمن المنطقة الزرقاء الخاضعة مباشرة للإدارة الفرنسية ، إذاً ، فإنه الى فرنسا وحدها تعود إمكانية اعطاء الحق لمطالب لبنان المشروعة ... «ومع نزول الجنرال غورو الى شاطىء بيروت في أوائل كانون الأول (١٩١٩) أعطى أوامره الى جنوده باحتلال البقاع... لكن بعد اتفاقيات كليمنصو والأمير فيصل تراجعت الفرق الفرنسية عن احتلال البقاع والأراضي الأخرى وتركتها مؤقتاً ! ... بين أيدي العرب... كان ذلك إشارة لعهد الفوضى . أمّا إذا أعطيت حرية أوسع للجنرال غورو في أخذ المبادرة والقدرة على المضي قدماً عند الاقتضاء حتى دمشق لفرض النظام ، وإذا ما أفهم فيصل وأتباعه عن عزم فرنسا ، فإنّه ليس إلّا الإعلان عن مثل هذه الأخبار التي تعقبها عملية الإحتلال ما يكبح العناصر الأكثر جموحاً ، ويضفي عليهم جواً أكثر مسالمة»[1] .

وإزاء عودة القلق الى اللبنانيين ، وإلحاح الوفد في اتصالاته مع الحكومة الفرنسية ، أسرع ميلران في الجواب على مذكّرة الوفد ، لتطمين «سيادة المطران عبد الله خوري والوفد اللبناني ، وللتأكيد على استقلال لبنان تحت انتداب فرنسا»[2] . كما أنه أرسل الى القوميسارية العليا في بيروت يشرح خطة العمل القريب وقال : «فيما يخصّ سورية ، وضعت نفسي في أجواء الإتفاقات الفرنسية — الإنكليزية لـ ١٩١٦ ... واتفاق كليمنصو — فيصل المؤقت ... وإنّي أترك لك (غورو) حرية العمل على الأرض لتقييم الالتزامات والمحافظة عليها ... وفي هذه الظروف أطلب منك أن تحدّد لي رغباتك وتحرّكاتك المزمع اتخاذها من الناحية العسكرية ، وتعلمني أيضاً على الصعيد السياسي بوجهة نظرك حول الوضع في سورية ومجال العمل الذي يبدو لك أكثر تداولاً ليعطي فرنسا الدور والقدرة التي تبرّرها تقاليدها وتضحياتها ومقرّرات مؤتمر السلم»[3] .

١ — Arch. du Patr. Ibid, Ann. N° 81.

٢ — Ibid, Annexes N° 48, 49.

٣ — Arch. fr. Dossier Gl. Gouraud, Ann. N° 106.

الفصل السابع
نحو لبنان كبير

أولاً : لبنان الكبير بين المفهوم اللبناني والمفهوم الدولي :

انطلق الوفد اللبناني في فكرة تحديد الكيان اللبناني، من التقليد التاريخي الموروث ومن أيّام عهود الإمارة، عن الامتداد الفينيقي القديم، وكان الاستناد الرسمي يركّز على تصميم الخريطة التي وضعتها الحملة الفرنسية عام ١٨٦١ [١]. لذلك شدّد المطران خوري في جملة التقارير والمذكّرات على تبيان مسائل الحدود والمدن والمرافىء اللبنانية [٢]. وقال : « لقد تعوّد اللبنانيون دائماً أن يوجّهوا انتاجهم نحو الموانىء الثلاث المذكورة (طرابلس، بيروت، صيدا) التي بحكم موقعها المتاخم لأراضيهم، كوّنت مراكز تجارية مهمة ... إن تأثير اللبنانيين في هذه المدن الثلاث جعلها مزدهرة وضمحل التجارة في « لبنان » ... والمفيد أن نذكر هنا بأن الدول العظمى لم تعترف اطلاقاً للباب العالي بحق السيادة على لبنان، بل بسلطة اسمية ... وأنّنا نستعطف الدول الكبرى الكفيلة للإحتجاج ضد المساس بحقوقنا. فبلادنا صخرية وقاحلة، لقد حرمنا من

١ ــ وضع السيدين شكري الخوري وحبيب مسعود في سان باولو سنة ١٩١٨، خريطة الحملة الفرنسية وهي تشمل البقاعين الغربي والشرقي من الشرق، وبلاد عكّار إلى ما بعد نهر الكبير من الشمال حتى مجرى نهر القاسمية وقضاء مرجعيون من الجنوب وكل مدن الساحل من طرابلس حتى جنوبي صيدا على البحر المتوسط من الغرب.
و :
- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 79.

٢ ــ Ibid, Ann. N° 77.

السهول الزراعية، ولا يوجد عندنا، لا صناعة ولا زراعة. من أجل الحياة أجبرنا على الهجرة، الى أميركا ... وطننا مهدّد بأن يصبح مقفراً. فلا يمكننا البقاء منزوين في جبالنا كمنفيين محرومين من أي اتصال بالبحر، ومحكوماً علينا الى الأبد كـ Sisyphes ننخر الصخر » [١].

أمّا المراجع الفرنسية المسؤولة فقد نظرت الى مسألة الحدود اللبنانية من ناحية تأمين انتشار نفوذها الى المناطق ذات النفوذ البريطاني. وشهدت الفترة بين شهري نيسان وتموز ١٩٢٠، تحوّلات جذرية نحو تحقيق المساعي التي بذلها الوفد اللبناني في مرحلتيه الثانية والثالثة، من جهته، ورداً على التحركات الشريفية في كل من سوريا [٢] وباريس، ناشد من لبنان، حبيب باشا السعد، الوفد اللبناني باسم مجلس الإدارة والشعب، عدم مغادرة باريس قبل اقرار الحلّ النهائي، فيما يخصّ مشكلة حدود لبنان الكبير [٣].

كما أكّد المسيو Perretti للمطران خوري « أنه لا يوجد فرنساوي واحد من كبيرهم الى صغيرهم إلّا ويريد اعطاء لبنان الحدود التي يطلبها لأن الحكومة تنوي استعمال الشدّة مع فيصل » [٤].

من هنا كانت تتمثّل العقبات الدولية بالموقف الفرنسي ذاته من المسألة اللبنانية. ومن التجنّي القول بأن الموقف الفرنسي كان يخلو من العطف، وكم كان المسؤولون الفرنسيون يستغلّون هذا العطف. يقول الجنرال غورو في بيان خطير ألقاه في الخامس والعشرين من آذار ١٩٢٠ أثناء دورته التفتيشيّة بين طرابلس وزغرتا واللاذقية : « أيّها اللبنانيّون المحبوبون، إن داء المهاجرة يهدّد لبنان بالهلاك، لمّا دخلته فرنسا صديقته وأمّه الحنون كانت حاملة اليه الحياة ورغد العيش؟ ... إن فرنسا تهتم في أمر حريتكم ولا تألو

١ ــ هكذا وردت في النص الأصلي المأخوذ عن :
- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 84.

٢ ــ ارتدت تحرّكات أتباع فيصل طابع التعدّي باستفراد القرى المسيحية المطالبة بالاستقلال والانضمام الى الكيان اللبناني، فحصلت مجازر وهجومات عديدة في نواحي الجنوب والبقاع.

٣ ــ Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 46.

٤ ــ يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ماجريات ٢١ حزيران ١٩٢٠.

جهداً في سبيل تأييدها وهي تضمن لكم استقلالكم الذي أفصح عنه أعيانكم وتتكفّل أيضاً بإنماء ثروة الجبل وسط الرغد فيه، ولن تعدل قط عن هذا المنهاج... أنتم أيها اللبنانيون تسكنون بلاداً شيّقة فمن الخطأ المبين أن تغادروها بدون داع موجب بينما نرى كثيراً من الأجانب يعدون أنفسهم سعداء باستيطانها ليتمتعوا بلذائذها وطيباتها. هذا النداء العاطفي وقع في نفوس اللبنانيين المسيحيين موضع الغيث في الأرض العطشى. والجنرال غورو يعرف خير معرفة وضع المسيحيين السياسي والعاطفي وما يضجّ في أعماقهم من تطلّعات استقلالية ومن اعتماد لتحقيق ذلك على صداقة فرنسا فهو الذي رفع الى سلطات بلاده التقرير تلو التقرير عن هذه التطلّعات [1].

مقابل ذلك الوضع الخارجي المعقّد، بقيت العقبات الداخلية والمحلية المتمثّلة بصورة خاصة، بمسلمي بيروت والأقضية الأربعة المرتبطة عضوياً بالحكم العربي في دمشق مستمرّة نسبياً. وظهرت بأشكالها السياسية والعسكرية التخريبية [2]، ممّا دفع الجنرال غورو في ١١ تموز ١٩٢٠ الى أن يبرق الى وزارة الخارجية رافعاً اليها اعتراض البطاركة الكاثوليك على تصرّفات المخرّبين وجاء فيه: «نحن الموقّعين أدناه، رؤساء مختلف الطقوس، نلاحظ باستمرار المذابح والتخريب على مختلف الصعد بحق مواطنينا من قبل رؤساء العصابات التي أصلها من المنطقة الخاضعة لحكم دمشق وتجد عنده المساعدة والدعم مفلتة هكذا من السلطة الفرنسية (ومن) العقاب الذي تستحقه. الموقعون بدافع من التأثر المؤلم والقلق يحتجون على هذا الوضع ويطلبون بإلحاح أن تمدّ فرنسا سلطتها بالإحتلال السريع والحاسم للمنطقة التي أصبحت ملجأ الأشرار والتي تهدّد سياستها بالقضاء على أصدقاء فرنسا الأوفياء والدهريين» [3].

وعكست تلك العريضة وجهاً مأساوياً عن المعاناة السياسية في لبنان، فالوجود المسيحي في مناطق الأقلية المسيحية معرّض دائماً للخطر بسبب التحالف الفرنسي — المسيحي (وحتى بسبب أي تحالف آخر). وما كان يزيد من المأساة أن فرنسا غالباً ما

١ — Arch. fr. op. cit., Ann. N° 95 et 92.

٢ — زين زين، المرجع السابق، ص/ ١٤٦/.

٣ — الموقعون على هذا الاحتجاج هم: الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكيا والمشرق الماروني، الرحماني بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق الكاثوليكي، وكليمان معلوف اسقف بانياس الكاثوليكي.

كانت تضطر الى ممالأة المسلمين وحكّام الشام على حساب هؤلاء المسيحيين [1].

ولم تتوقّف محاولات الإعراب عن المشاعر المتناقضة عند جميع الفئات، لدى جميع المراجع الدولية والمحلية، إلّا أن تلاقي المصالح في إقامة دولة ما، كان الجامع الأكثر فعالية، على الأقل في المناطق الشمالية (طرابلس) والجنوبية (صيدا وراشيا) والشرقية (زحلة وتوابعها)، والتي توحّدت مع مطالب أهل الجبل بشكل عام، وتحلّقت حول قرارات مجلس الإدارة ومساعي الوفدين اللبنانيين الثاني والثالث.

ونخلص الى القول بأن الوضع اللبناني الداخلي، كان في حالة من الغليان المستمر. ولئن أردنا إيجاز العناصر المساهمة في هذا الغليان لوجدنا أن أغلبية السكّان كانت تتوق الى الانعتاق من النير التركي لكن انقساماً خطيراً يرتكز في ظاهره الخارجي الى الصراع البريطاني — الفرنسي [2]، كان يعبّر في العمق عن صراع قوميتين تنقض أحداهما الأخرى: القومية العربية السورية المتمحورة حول انشاء المملكة العربية السورية برئاسة الملك فيصل وضمنها لبنان وان متميّزاً بعض الشيء عن باقي مناطقها، ومن ناحية ثانية القومية اللبنانية المعبّرة عن الإرادة اللبنانية الدهرية في الاستقلال والحرية والمتمحورة حول مجلس الإدارة حيناً وحول الإتحاد اللبناني وغيره من مظاهر التعبير عن الشخصية اللبنانية الفريدة والتي برزت في الدور البطريركي الماروني.

ومع تفاعل الصراع الدولي الخارجي والصراع القومي المحلّي، نتج تحالفات وخلافات. فتحالفت فرنسا مع الموارنة وارتكز التحالف على المصلحة الفرنسية من جهة والشعور القومي اللبناني المميّز من جهة ثانية [3]. وكان من جرّاء التقلّبات الفرنسية وتغيّر المخطّطات، تتبلبل المواقف المسيحية ويسيطر عليها الاستياء وخيبة الأمل اللّاشعوريين حيناً والولاء اللّاواعي والالتزام الكلّي حيناً آخر.

١ — راجع رسالة المطران بطرس الفغالي الى المطران خوري بشأن استياء المسيحيين من تقاعس الإحتلال الفرنسي عن حمايتهم: أوراق المطران خوري، وثيقة رقم ٦، محفوظات البطريركية المارونية.

٢ — A. Hokaem, op. cit., p. 142 - 143.

٣ — Georges Karam, op. cit., p. 270.

ونشير أيضاً إلى أن الشعور القومي اللبناني، هو شعور بالاستقلال والحرية بمعزل عن أي ارتباط عضوي أو سياسي، يكون وسيلة للهيمنة والتذويب وبالتالي، للقضاء على مميزات فكرية وعقائدية اتسم بها معظم الشعب اللبناني بخلاف غيره من الشعوب المجاورة.

ولئن كان المسيحيّون يعوّلون كثيراً على العلاقة التاريخيّة بين لبنان وفرنسا انطلاقاً من دعم فرنسا الديني لمسيحيي الشرق ولبنان و بشكل خاص ابتداء من الحروب الصليبيّة والإمتيازات الأجنبية ، ولئن كان هؤلاء المسيحيّون لا يزالون يراهنون على مساعدة فرنسا ، فإن هذه الأخيرة ما كانت لتعوّل كثيراً على هذه العلاقة إلّا بمقدار ما تتناسب مع مصلحتها الاستعمارية ومع مخطّطاتها للاستيلاء على لبنان وسوريا إبّان الحقبة التي نحن بصددها . وبقيت هذه المصلحة واضحة حتى بعد إعلان لبنان الكبير يبدو ذلك في المحاضرة التي ألقاها الجنرال غورو في إتحاد الشركات الكبرى للإنطلاق الوطني في ١٨ شباط ١٩٢١ : «هكذا ، إن سوريا وقيليقيا ، تقدران أن تعطيا فرنسا القمح والقطن اللذين تحتاجها ، وبالمقابل فإن هذين البلدين لا صناعة لها ، يطلبان من صادراتنا ما هو مصنّع ، والأقمشة والآليّات والسيّارات ومواد البناء»[1] .

وهنا قبل أن نستطرد في هذا الموضوع ، نعود الى ابراز مشكلة الحدود اللبنانية التي كانت تتصارع حولها النظريات الداخلية والمحلية ، والمصالح الأجنبية الدولية ، ولاسيّما مع ظهور العنصر الصهيوني الجديد المتستّر ، الذي كان يخطّط لتوسيع حدود الدولة التي وعد بها بلفور ، عبر الليطاني[2] وأبعد من ذلك لتشمل صيدا[3] .

وكانت قضية الحدود مع لبنان موضوع اهتمام المسؤولين عن الحركة الصهيونية اليهودية ، وقد رفعت منظمتهم مذكّرة الى مؤتمر الصلح[4] مؤرّخة في ٣ شباط ١٩١٩ ، ضمّنتها الحدود المقترحة للدولة اليهودية المزمع اقامتها في فلسطين ، بما في ذلك المنطقة

١ — Arch. fr. op. cit., Ann. N° 123.

٢ — Butler R. (édit), Documents on British Foreign Policy. First series - Vol. IV, London, 1952, p. 313. N° 220.

٣ — نعرض في هذا المجال البرقية التي وجّهها الكولونيل مينرتزاغن Meinertzhagen الى كورزون بتاريخ ١٧ ت١ ١٩١٩ وجاء فيها : «الحالة الاقتصادية في فلسطين تضمن فقط الري على نطاق واسع وادخال الماء غير المطر. وهذا الماء سهل المنال في فلسطين الشمالية من ينابيع نهر الأردن ونهر الليطاني ... وضياع هذه المياه هو صغير بالمقارنة بالنسبة للسلطة المحتلة سوريا . إذا كانت هذه الشروط الاقتصادية ستصان يجب أن تسير الحدود الشمالية من البحر تماما شمالي نهر الليطاني ومتابعة الخط المستقيم وتجتازه من الغرب الى الشرق قرب سدود الليطاني . ومن ثم يجب أن توجّه الحدود لتشمل مياه حرمون التي تصبّ في الليطاني أو في أحواض الأردن»
صورة عن التلغراف : N° 366. p. 534

٤ — Kokayem, op. cit., p. 112.

الجنوبية من لبنان ، وجاء في المذكّرة ما يلي : «إن حدود فلسطين يجب أن تسير وفق الخطوط المذكورة أدناه : تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل جسر القرعون ، فتتجه الى البيره متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ثم تسير في خط جنوبي ... كما يجب التوصّل الى اتفاق دولي تحمي بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني (أي اليهود) حماية تامة إذ أن منابع المياه هذه تستطيع أن تخدم تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين» وتتابع المذكّرة : «وجبل الشيخ هو «أبو المياه» الحقيقي بالنسبة الى فلسطين فيجب اذن أن يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أرغب وأقدر على إعادته الى نفعه الأقصى»[1] .

وفي الواقع عندما أثيرت مسألة الحدود الشمالية لفلسطين في مؤتمر الصلح طالبت بريطانيا بتوسيع تلك الحدود نحو الشمال لتضمّ مصادر المياه في المنطقة . وقد أعلن لويد جورج أمام المؤتمر موقف بلاده قائلاً : «إن بريطانيا ستوافق فقط على قبول انتداب على فلسطين حقيقية ، فلسطين التاريخ القديم ، التي يجب أن لا تقتصر على صخور يهودا الجرداء ، التي يمكن أن تحوّل الى صحراء في أيّة لحظة تقطع المياه عنها»[2] . وأثناء المؤتمر الذي ظهر فيه التنسيق التام بين موقفي بريطانيا والمنظمة الصهيونية ، ظهر أيضاً توافق عضوي الوفد الصهيوني ــ الأميركي الى المؤتمر (لويس براندس وفيليكس فرانكفورتر) مع اللورد بلفور[3] ، على وجوب ضم مناطق مصادر المياه اللبنانية الى فلسطين كشرط أساسي لإقامة وإنجاح الوطن اليهودي»[4] .

١ — J.C. Hurewitz, Diplomacy in the near middle East 1914 - 1965, vol. 2. London, 1956, p. 50 - 54.

٢ — David Loyd Georges, the truth about the peace treaties. London, 1939. vol. II. p. 1155.

٣ — يراجع بهذا الشأن تقرير المستر بلفور الى اللورد كورزن بتاريخ ٢٦ أيلول ١٩١٩ ، في :
Documents on British foreign policy, op. cit., N° 220, p. 313.

Brandeis. A free Man's life. New York, 1950, p. 455.

٤ — وراجع بشأن الاتصالات حول الحدود مع ممثلي اليهود :
— بدر الحاج ، المرجع السابق ، ص/ ٢٨ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٥٨/ و :
— مجلّة «شؤون فلسطينية» العدد ١٤ ، تشرين الأول ١٩٧٢ ، ص/ ٨٦/.

وتشير المصادر الى لقاء تمّ بين دافيد بن غوريون وحاييم وايزمن مع رئيس وفد لبنان الثاني الى مؤتمر الصلح البطريرك الحويك، وحاولا اقناعه بالتخلّي عن جنوب لبنان والجليل الأعلى لقاء وعد بتقديم مساعدات مالية لتطوير لبنان بحيث يصبح ذا أكثرية مسيحية، فأجابه رئيس الوفد، بأن الموضوع خارج عن إرادته وأن القرار بيد فرنسا.

من هنا كان المفهوم اللبناني للكيان اللبناني يعتمد على الوعود التاريخية والأماني المتراكمة عبر السنين، التي تعهّدت بتحقيقها فرنسا. وإذا استطاع البطريرك الحويك سنة ١٩١٩ أن يتصرّف بدبلوماسية في حواره مع اليهود، فإن الموقف الفرنسي سنة ١٩٢٠ قد تجاوز المطالب الصهيونية المدعومة من بريطانيا، واستعدّ لمواجهة القضية الفيصلية بعد أن تخلّت عنها بريطانيا عسكرياً، واكتفت بتنظيم نفوذها في فلسطين على حساب طموحات المنظمة الصهيونية. وكان الموقف الفرنسي يتلخّص باعتبار أن «فلسطين ستضمّ قضاء صفد حتى دان شمالاً والحدود ستعين شرقاً بخط عمودي يرسم من جنوب جبل الشيخ الى حيث تقطع الحدود التي تصفها محادثات سايكس — بيكو لعام ١٩١٦»[١] وكان ذلك بعد اقرار انتداب فرنسا على سوريا وبريطانيا على العراق وفلسطين.

وفي تموز ١٩٢٠، بدأت في الأفق ملامح التوجّهات الفرنسية الحاسمة، فرفض الجنرال غورو الاعتراف بملكية فيصل وطلب إليه سحب موظّفيه من البقاع، لأن «عموم اللبنانيين الذين يدعمون موقف الوفد اللبناني الثالث في باريس، يطالبون بضم البقاع لدولة لبنان «كما جاء في تقرير غورو إلى رئيس حكومته»[٢].

ففرنسا كما أشار المطران خوري في رسالته الى البطريرك الحويك بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٢٠ «عزمت على ضرب الضربة القاضية بشأن فيصل الذي أبلغته انكلترا بأن الأمر في سوريا يخصّ فرنسا وحدها... وستجعل من قمم جبل Anti-Liban الحدود الفاصلة ما بين لبنان والشام وتعطي لبنان ما يطلبه من حدود طبيعية»[٣].

١ — مجلة «شؤون فلسطينية» العدد ٥٢، ص/ ٩١/.

٢ — بدون تاريخ
Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 87.
و:
- Arch. fr. op.c it., Ann. N° 77.

٣ — وثائق المطران خوري، المرجع السابق، الوثيقة رقم ١٩،

وفي هذا الظرف، كان المطران خوري قد خبر تأرجح السياسة الفرنسية وتضارب مصالحها ومصالح بريطانيا، فكثّف مع رفاقه سعيهم وتوجّهوا نحو رجال الكنيسة الفرنسية[١]، ولا سيّما لحلّ مسألة ضمّ بيروت وطرابلس الى دولة لبنان. ومن بين الشخصيّات الدينيّة الفرنسية الأب جلابار اليسوعي «صاحب المداخلات مع كثيرين من أعضاء الندوة ووعدنا بأن يساعدنا عندهم حتى تكون بيروت لبنانية»، والمونسنيور لاجيه Lagier مدير المدارس الشرقية الذي خطب «عن موقف فرنسا في الشرق وندّد على سياسة الحكومة التي تنازلت عن كثير من هذه الحقوق الى الإنكليز»... وطلب الينا المونسنيور Dollni نائب كردينال باريس أن نتكلّم فتكلّمنا... وطلبنا أن يساعدونا وأن تساعدنا جمعية (Fédération Jeanne D'arc) بضمّ بيروت وطرابلس الى لبنان كما هو... ومن الجملة صاحبة جريدة Rombair ثم المسيو St. Yves الصحافي المعروف».. وقابلنا المونسنيور Baudrillard رئيس الكلية الكاثوليكية... وأفهمناه مخاوفنا بخصوص نزع بيروت عن لبنان ووعدنا بأن يساعدنا...[٢]، وقد طالتْ هذه المحادثات بشأن المدينتين في دوائر الخارجية الفرنسية على اعتبار أنهما جزء من لبنان[٣]. هذا الاعتقاد يكاد يشغل بال جميع اللبنانيين وهم يحارون في الأهداف التي تسعى اليها بعض الدوائر الفرنسية، نفهم هذا الاعتقاد ممّا كتبه أحد الكهنة من آل الخوري الى المطران عبدالله وهو يؤكّد بأن «مسألة بيروت هي لبنانية بكل الوجوه، فإن تبّعوها رأساً الى لبنان أو لم يتّبعوها فهي لبنانية هذا إذا كانوا لا يوضعون حواجز بين لبنان وبيروت مثل كمرك أو أخذ رسومات... والذي يخوّفني أن يتبعوا صيدا وصور الى بيروت وكذلك طرابلس ولا يتبعوهم الى لبنان ويحصرون لبنان في مركز حرج يختنق بين سوريا

١ — للمزيد عن اتصالات الوفد في هذا الشأن راجع:
يوميات المطران خوري، ماجريات حزيران — تموز ١٩٢٠، و:
- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83. (p. 74).

٢ — يوميات المطران خوري، المرجع نفسه.

٣ — راجع المسائل حول المدينتين في:
— رسائل المطران خوري الى البطريرك الحويك، المرجع السابق، الوثائق /١٧ و١٩/.
— رسالة البطريرك الحويك الى المطران خوري، المرجع السابق، الوثيقة/ ٩/.

وبين المواني ، لأن كلام الجنرال غورو في زحلة لا يستفاد منه إلّا تتبيع حاصبيا ، راشيا ، بعلبك والبقاع فهل أن المدن هذه مع مرجعيون داخلة ضمناً يا ترى مع لبنان أم لا ؟ »[١] . تلك التساؤلات والحيرة سببها هو أن بعض الساسة الفرنسيين أمثال روبير دي كاه De Caix ، ينوون سلخ بيروت عن لبنان « وبأن تكون بيروت مدينة حرّة لكل سوريا ولبنان »[٢] . على خلاف ما كان يريده البعض الآخر أمثال المسيو Paléologue الذي طمأن الوفد اللبناني « بأن الحكومة لم تقرّ شيئاً بهذا الصدد » . أمام هذه البلبلة في الموقف الفرنسي ، كتب المطران « لغبطته الى بكركي حتى يخابر دي كاه De Caix، فخابره ، وأنكر ذلك ، قبّح الله السياسة وكذبتها »[٣] .

وفي اللقاء الحاسم بين أعضاء الوفد اللبناني والمسيو De Caix بيّن المطران خوري يرافقه « المسيو اميل ايجابيّات ضمّ بيروت وجعل حلب مقرّ المندوبين الفرنساويين إذا لم يتيسّر له السكن في بيروت بسبب لبنانيتها »[٤] . وسجّل المطران خوري الحديث بين الفريقين قائلاً : « نفضّل بعده (المندوب الفرنسي) على حرماننا من بيروت لأن بذلك يكون الضرر أقلّ ، فاقتنع دي كاه ، أما بخصوص طرابلس فقال ان اسلام طرابلس وسواحل عكار نحو ٤٠ ألفاً ولا يرغبون بالانضمام الى سوريا ... وأخيراً لما وجدناه مصرّاً على عناده طلبنا اليه أن يتقرّر تكوين لبنان الكبير بموجب الخارطة المعروفة (١٨٦١) وذلك مبدئياً « فإن لم يرضَ به اسلام لبنان فإذ ذاك تمنحهم حكومة لبنان استقلالاً ادارياً تكون القوميسارية الرابطة بينهم وبين لبنان وبهذه الطريقة لا يكون لبنان خسر حقّ السيادة على طرابلس ... فاستصوب De Caix الرأي ... وقد كتب شكري غانم كتابة مطوّلة بهذا الصدد الى بونكاره[٥] علّق عليها روبير دي كاه في رسالته الى شكري غانم الذي أبلغها الى المطران خوري ناقلاً اليه وجهة نظر De Caix حرفياً : « لقد أطلعت

١ ــ أوراق من ملف المطران عبدالله خوري ، المرجع السابق ، الوثيقة رقم / ١٠ /.

٢ ــ كانت وزارة الخارجية الفرنسية ضالعة في تغليب فكرة انشاء سوريا الكبرى وضم لبنان تحت السلطة السورية بموجب وصاية فرنسية . راجع :

- Georges Karam, op. cit., p. 186.

٣ ــ يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات ٢٤ و٢٥ حزيران ١٩٢٠ .

٤ ــ يوميات المطران خوري ، المرجع نفسه ، أول تموز ١٩٢٠ .

٥ ــ يوميات المطران خوري ، المرجع نفسه

على رسالتك التي وجّهتها الى المسيو ميلران لتطلب فيها الحاق طرابلس وبيروت بلبنان ، نحن جميعاً (الفرنسيون) نهيّء لهذا الالحاق ، لكنّنا نشكّ قليلاً بالإنعكاسات الإيجابية على الجبل ، والتي تفرضها الحياة السياسية المشتركة مع مركزين هامّين مدنياً ، يسبّب واحدهما المعارضة الإسلامية والثاني يؤثر بشكل أكثر بحكم وضعه المتردّي ، ممّا يسيء الى الحكم اللبناني وإلى بنية لبنان المتميّزة الجبلية السليمة . والحلّ المطروح هو إذن ، اشراك المدينتين سياسياً بلبنان مع اعطائهما في مرحلة اختبارية استقلالها البلدي والإداري الذاتي ، بهدف الحؤول دون امتداد نفوذهما على الجبل أكثر من وضعها بمنأى عن اخضاعها له . فلا تنسى (والكلام لروبير دوكاه) بان بيروت مؤهّلة لأن تنمو كثيراً ... فيما يبقى الجبل عكس ذلك ، في الظروف الاقتصادية للعالم الجديد نظراً لازدياد عدد سكانه ، وما ينبغي التخوف منه هو أنه ، في وقت من الأوقات ، ينتقل النفوذ السياسي الى مراكز الثقل في المدينة ــ على الأقل في الشتاء ــ ممّا يستدعي البحث عن وسيلة اتخاذ الحيطة ضدّ هذا الخطر »[١] . واستطاع الوفد أن يتأكّد من أنه « قد تقرّر أن تكون قمم جبل انطيليبان الحدود الفاصلة بين لبنان والشام وأن يعطى ما يطلبه من حدوده الطبيعيّة إنما بيروت وطرابلس لم يتقرّر أمرهما بعد ولكن الأمل كبير بهما . ويظهر أن الأمر يتعلّق بروبار دي كاه وغورو والأول منهما ينقصه الـ Franchise (الصراحة) ولا يقول فكره تماماً لا معنا ولا ضدّنا »[٢] .

لقد كان De Caix بحسب تقويمات المطران خوري لماجريات تلك الفترة ، العقدة السياسية بالنسبة الى الشخصيات التي تباحث معها الوفد والتي أظهرت تفهّماً أكثر تعمّقاً لمسألة لبنان . فتعجّلت من جرّاء ذلك خطوات الحسم ، وأعطي الضوء الأخضر من باريس للجنرال غورو ، الذي أسرع بإنذار حكومة دمشق وأعقبه باحتلال الجيش الفرنسي للشّام بعد موقعة ميسلون كما رأينا . وأوضح هذه الأوضاع كلام المطران خوري في رسالته الى البطريرك الحويك حيث قال : « الحكومة الفرنسوية قصدت وهي لا تعود عن قصدها : Juravit et non poenitebit بأنها تضرب الآن عندكم الضربة

١ ــ Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 60.

٢ ــ رسالة المطران عبدالله خوري الى البطريرك الحويك ، وثائق المطران خوري ، الوثيقة رقم / ٢٠ /.

القاضية. فيصل خابر المرشال اللنبي وطلب منه باخرة للسفر إلى لوندره فالمرشال بلّغ حكومته طلب الأمير فخابرت حكومة لوندره المسيو ميلران فأجابها بلهجة شديدة أنّه لا يطيق أن تتداخل الحكومة الإنكليزيّة بأمر فيصل لأن لفرنسا وحدها الوصاية على سوريا. كما لإنكلترا وحدها الوصاية على العراق فكما أن فرنسا لا تطالب انكلترا بما تجريه عندها فهي تطلب منها إلّا تتداخل بأمورها في سوريا لأن الكيل قد طفح ولذلك كلّفت الحكومة الإنكليزية المرشال اللنبي أن يبلغ فيصل أن لا شغل له معها بل مع فرنسا. لأنّها وحدها الوصيّة على سوريا...»[١].

هذه الخطوات سهّلت معالجة وضع مدينتي بيروت وطرابلس[٢]. وكشف المطران في جملة العقد والعراقيل عن أن «أحد اعضاء الوفد اللبناني (ي— ج) وهو من الشديدي التمسّك بفرنسا لا رغبة له بضم بيروت» وأنه على اتفاق مع الرجل العقدة في الكي دورسيه[٣]: Robert De Caix. لكن تدخّل شكري غانم والأب شانتار والمسيو Lenail والمسيو بورجوا Bourgeois رئيس مجلس الشيوخ لدى رئيس الحكومة الفرنسية، أثّر في «دي كاه»، وغيّر مجرى الأمور، واقتنع هذا الأخير، بضرورة ضم بيروت «لخير فرنسا ولبنان معاً، لأن De Caix كان يفكّر بجعل بيروت وطرابلس حرّتين»[٤].

ولمّا كانت المباحثات في باريس تنتظر الموقف العسكري في سوريا ولبنان، كان رئيس الوزارة الفرنسية في ٢٠ تموز ١٩٢٠، قد أخذ في تدابيره، تطبيق سلطة فرنسا

١ — المرجع نفسه.

٢ — Arch. du Patr. Maronite, op. cit., Annexe N° 83. (pp. 72 - 76).

٣ — يوميات المطران خوري، ماجريات تموز ١٩٢٠ وتجد فيها محاولات De Caix المغايرة لأهداف الوفد اللبناني وقضية لبنان، وتأثيره على آراء عضو الوفد الشيخ يوسف الجميل الذي جاراه في رفض ضم المدن الكبرى الى لبنان الكبر. «وكان الشيخ يوسف الجميل والأمير توفيق أرسلان من مبدأ واحد بخصوص ترك بيروت».

٤ — بعد تراجع دي كاه عن رأيه، طلب حضور بطريرك الروم الكاثوليك الى باريس. والغاية التي قصدها من ذلك هي: «بما أنه مقيم في الشام ومطلع على أحوال فيصل وحكومته يمكنه أن يقنع الوزارة بوجوب خلعه لأنه غير مخلص لفرنسا»، وبالفعل، ساهم سفير فرنسا في روما المسيو بارير Barrère في اقناع البطريرك بالحضور لهذه الغاية. (يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ١٢ تموز ١٩٢٠).

— وأشار المصدر نفسه بأن البطريرك أتمّ مهمّته يوم الاثنين ٢٦ تموز ١٩٢٠.

الانتدابية، فكتب الى قنصليّته في لندن وبيروت يوضح أن الانتداب تمّ بموجب قرار في مؤتمر الصلح وسان ريمو، وهو يشمل سوريا بكاملها وسننفّذ سياستنا. وكان اللبنانيون يراقبون الوضع في باريس، فكتب المونسنيور فغالي الى المطران خوري مسبقاً يقول: «يتوضّح بأن الجنرال غورو يستعد في هذه الفترة لهجوم قريب على العساكر العربية التي تحتقر كثيراً مسيحيي سوريا: «أعداد وافرة من الجنود الفرنسيين تصل تباعاً الى بيروت»[١].

وبدأ التنفيذ بإبعاد فيصل، والفضل يعود الى الجنرال غورو، إلّا أنّ اللبنانيين «لم يروا في ذلك حصولاً على الضمانات... فما هي الضمانة التي تحول دون خرق حدودنا؟... وما هي طبيعة استقلالنا؟ هذا ما تساءل عنهُ أحدهم في رسالته إلى المطران خوري يقول: «ما هو العمل الذي يجعل تعيين حدودنا مضموناً؟... ويرشح من اتفاقية السلام مع تركيا بأن سوريا وحدها حرّة... وتتمتّع باستقلالها وسيادتها... أما لبنان فبالعكس، يعتبر من وجهة النظر الدولية، جزءاً — وهذه هي النقطة الجوهرية — من سوريا... لبنان يجد نفسه، دولياً، ضمن الدائرة السورية، وليس، للأسف، مثل سوريا، عضواً له حقوقه الدولية[٢]».

ثانياً: خاتمة المساعي في باريس

ومنذ شباط ١٩٢٠، والوفد يتابع في باريس يغوص في غمرة الإتصالات والمساعي الحثيثة، ويوطّن النفس بقرار نهائي يرسم حدود لبنان وكيانه، ويريد به وثيقة رسمية تتعهّد بموجبها فرنسا بتحقيق التزاماتها تجاه الصديق التقليدي في الشرق. وهذا ما حدا بالمونسنيور فغالي أن يحثّ اليه الوفد اللبناني برئاسة نظيره المونسنيور خوري وقال: «يتبيّن لي بأنّك لن تعود الى لبنان قبل أن تحصل على الانتصار الكامل في باريس وتحقّق على الأقل أغلبية أماني اللبنانيّين»[٣].

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 31.

٢ — مقتطف من رسالة قريب المطران خوري، مؤرّخة في ٢ آب ١٩٢٠، وتتضمّن تساؤلات عن الضمانات الدولية لمستقبل لبنان المستقل، راجع: - Arch. du Patr. Mar op. cit., Ann. 57.

٣ — Arch. Ibid. Ann. N° 51.

وفي السّابع عشر من تمّوز ، أبلغ De Caix الشيخ يوسف الجميل بأن « تحديد لبنان الكبير منوط بأمر الجنرال غورو ، وأن المخابرات بهذا الصدد تكون معه هناك » ، ووعد De Caix الوفد اللبناني بأن الأمور تنتهي بعد ١٥ يوماً ... فالجنرال غورو « يعمل شغله هناك ... وهو يريد أن يضع الحكومة هنا (في باريس) أمام عمل قد تمّ » ... وأن الحالة أصبحت تدفع الفرنسويين رغماً عنهم الى احتلال سوريا [١] . لكن هذا الأسلوب في السياسة ، لم يأت بالنتائج المرجّوة سريعاً ، والتي كان يتشوّق اليها الوفد اللبناني ، ممّا اضطرّه الى تقديم تقرير جديد بالتعاون مع الأب شانتار الذي كان ينسّق عنده ، مع اميل ادّه ، الذي قدّمه الى المسيو De Peretti وقد اتّسم اللقاء به في وزارة الخارجية بالصراحة حيث خاطبه المطران خوري قائلاً : « لا برهان بيد الذين يطلبون فصل بيروت عن لبنان ، وأمّا أنا فيسوءني بنوع خاص ، أن أرى بدلاً من أن تكون نتيجة تخليص لبنان وتكبيره بواسطة فرنسا صوت شكر ودعا ، تكون بخلاف ذلك عندما يعرفون أن بيروت ليست لبنانية ، فلا أريد أن أفتكر بإمكان ذلك ، ولاسيّما لا أريد أن أسمع هذا الصوت أو أعاين المظاهرات التي تبدو استياء من هذا العمل ... أنا أصبحت بسن الخمسين وربيت على حب فرنسا ولا أتغيّر . أنا وطني قبل كل شيء ، فلدى عجزي عن تحصيل بيروت أرى نفسي مضطرّاً للبقاء في أوروبا والى هجر بلادي ، إذ يعزّ عليّ أن أعود وهي بهذه الصفة وأن أسمع من مواطنيّ أنّ فرنسا ضحّت مصالح من كانوا سبباً لإدخالها عندنا » . وكان جواب المسيو De Peretti مقنعاً عندما قال : « متى حان الوقت سأدافع عنكم ... أنا معجب بك ومقدّر صفاتك وأنت معتبر عندي بما أنّك صاحب فكرة جيّدة وأنت تعرف أن تدافع عنها [٢] .

وبالفعل ، بينما كانت التطوّرات السياسية والعسكرية ناشطة في لبنان وسوريا ، توصّل الوفد في دفاعه ومقاومته في التاسع عشر من آب ١٩٢٠ ، إلى بداية خاتمة مرضية لنجاح عمله ، اذ تبلّغ من المسيو De peretti ، « أن الحكومة قرّرت تكوين جبل لبنان بموجب طلب اللبنانيين أي خارطة سنة ١٨٦١ ، ويتبعه بيروت وطرابلس » [٣] .

١ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ١٨ و٢٠ تموز ١٩٢٠.

٢ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق.

٣ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات شهر آب ١٩٢٠.

ووصف سيادته ذلك اليوم بـ « يوم سعيد » . إلّا أن الوفد ظلّ منتظراً ما كان قد وعد به روبير دي كاه في ٣١ تموز ١٩٢٠ بأن الحكومة تنوي اعطاءه ، « وثيقة توضع فيها ما ستقرّره لأجل لبنان ، وأنّها معتمدة على أن تجعل لعودتنا الى الوطن صفة رسمية » [١] .

وهكذا في ٢٤ آب ١٩٢٠ أصدر رئيس الوزارة الفرنسية المسيو ميلران وثيقة وجّهها الى المطران عبد الله خوري رئيس الوفد اللبناني الثالث الى مؤتمر الصلح ، أكّد فيها قرار الجنرال غورو بتاريخ ٣ آب ١٩٢٠ ، والقاضي بإعادة الأقضية الأربعة الى لبنان وهي أقضية حاصبيا ، راشيا ، بعلبك والمعلّقة (البقاع) [٢] ، و« أن يحتوي لبنان على سهول عكار في الشمال وأن يمتدّ الى حدود فلسطين (اسرائيل) في الجنوب ، وأن ترتبط به مدينتا طرابلس وبيروت ارتباطاً تاماً ... لبنان الكبير يستطيع الآن ودائماً أن يعتمد على فرنسا » [٣] وساهم المسيو Paléologue في توضيح رأي الحكومة الفرنسية فأرسل الى شكري غانم يخبره بأنه « ... عملاً بتعليمات حكومة الجمهورية ، إن الحاق البقاع والبلاد الممتدة من قمم الأنتي— ليبان وحرمون بلبنان يتحقّق قيامه ، وفي نيّة الحكومة الفرنسية تضمين لبنان الموسّع ، شمالي جبل عكّار ، ومن الجنوب ، الأراضي المتاخمة لفلسطين ، واتحاد مدينتي طرابلس وبيروت به ، على أن تحتفظا باستقلال بلدي ، يأخذ بعين الإعتبار الفارق الاقتصادي الظاهر بين المدينتين والجبل [٤] .

إذاً ، لم يكن تحديد الكيان اللبناني مجرّد قرار فرنسي ارتجالي ، إنّما وليد معاناة وصراع شعب ، قاد ممثّلوه مسيرة الجهاد من أجل الاستقلال والحرية في جميع المحافل ذات الثقل وفي مؤتمر تقرير مصائر الشعوب ... والشعب اللبناني استطاع بحكمة من

١ — المرجع نفسه ، رغم تعلّق اللبنانيين المسيحيين بفرنسا ، فإنّهم ظلّوا في حالة قلق بالرغم من تصريحات غورو ووعود المسؤولين في الكي دورسيه ، لذلك شدّد الوفد الثالث على الحصول على وثيقة خطية بالحدود الكاملة للبنان المطلوب في مذكّرة رئيس الوفد اللبناني الثاني والثالث البطريرك الياس الحويّك.

٢ — في هذه المناسبة كتب الجنرال غورو الى المطران خوري ، بأنّه قام في زحلة بإعلان ضم البقاع الى لبنان الكبير، راجع :

- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 58.

٣ — Ibid. Ann. N° 61.

٤ — Ibid. Ann. N° 62.

اختارهم لهذه الغاية في السنتين ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، أن يحمل الدول النافذة وعلى رأسها الجمهورية الفرنسية على تبنّي قضيّته ومساعدته لينال ما يريد.

وإزاء تحقيق الكيان الذي عمل من أجله الوفد اللبناني ، وجّه المطران خوري الى المسيو ميلّران ، باسمه «واسم جميع الأجيال اللبنانية ... وباسم الشهداء ، وباسم الوفد اللبناني ، رسالة شكر وعرفان بالجميل» ، بمناسبة اعلان الحكومة الفرنسيّة استقلال لبنان وحدوده ومنحها المطران وساماً تقديرياً لجهوده[1] ... ولأجل «تأييد فرنسا واعترافها بحقوق اللبنانيين وبالاستقلال والحدود الطبيعيّة التي ما فتئوا منذ القديم يطالبون بها .

وكما بدأ البطريرك الحويك مهمّة العمل على استقلال الكيان اللبناني من روما في صيف ١٩١٩ ، كذلك ، قرّر المطران خوري ختام تلك المساعي وتتويجها بزيارة قداسة البابا بونوا الخامس عشر ، لشكره على مساعدته وتأييد الكنيسة لقضية لبنان . فقدّم له تقريراً عن أعمال الوفد اللبناني والنتيجة التي توصّل اليها لدى الحكومة الفرنسية المنتدبة على لبنان . وممّا جاء في هذا التقرير « ... بعد سقوط الأتراك ، أسرع اللبنانيّون الذين أثقل النير الإسلامي العثماني كاهلهم أكثر من ثلاثة (أربعة) قرون ، للمطالبة بانعتاقهم ... ولم يكن من البطريرك الحويك إلّا أن يتجاوب مع الثقة التي منحها إيّاه جميع اللبنانيين ، فيعضد قضية تمسّ عن قرب قضية الكثلكة في الشرق ، ويرفع عن وطنه ذلك النير فيكون دولة صغيرة ، هي الوحيدة الموجودة بأغلبيتها المسيحية ، في خضمّ القارة الآسيوية ... وصادفت من قبل النواب الكاثوليك أمثال : دو كاستلنو De Castelneau ودو غلهار بارسل De Gailhard Barcel ولونيل Lenail ، كل اهتمام بقضيّتنا ولاسيّما المسيو Lenail نائب ليون ، وكذلك فعل الزعماء الاشتراكيّون أيضاً ومنهم فيكتور بيرار Berard ، ومارسيل كاشين Cachin كما تدخّل المسيو بوانكاريه Poincaré والمسيو بورجوا Bourgeois لصالحنا مع المسيو ميلران .

١ — وهو وسام جوقة الشرف ذكره أنيس معوض في رسالته الى المطران خوري بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٢٠ قائلاً : «لقد استحققت من فرنسا العذبة وسام الشرف ومن جبالنا الشامخة عرفاناً جميلاً دائماً من أجل الصمود والحكمة والاندفاع التي تمتعت بها على رأس وفدنا بغية الحفاظ على حقوقها». راجع :
- Arch. du Patr. Mar op. cit., Annexe N° 72.

كما وأنّ نيافة الكردينال ديبوا Dubois الذي أثناء زيارته الأخيرة إلى لبنان ، تمكّن من الاطلاع عن كثب على الوضع ، قد ساعدني كثيراً بنفسه وبواسطة أصدقائه من الفعاليات ، وأخيراً ، فقد تنازل نيافة الكردينال كاسباري Casparri أمين سر الدولة لدى قداستكم ، أثناء احتفالات اعلان قداسة جان دارك لإعلام الدبلوماسيين الفرنسيين ، مدى اهتمام مقام البابوية الخاص بقضية اللبنانيين... فاعترفت فرنسا باستقلال لبنان ، ومنحته حدوده القديمة تحت سلطة انتدابها... وإنّي بصفتي اسقفاً مارونياً ونائباً للبطريرك الحويك بطريركنا الجليل ، اسمح لنفسي بأن أطرح على أقدام قداستكم الولاء البنوي وعرفان جميل الشعب الماروني وأكليروسه الذي تميّز بأمانته للكرسي الرسولي ، كشكر لعنايتكم الأبوية التي تفضّلت قداستكم وغمرتهم بها خلال هذه الحرب الرهيبة وبعدها ، بإرسالكم اليهم المساعدات الفائضة بالرغم من ضيق الموارد في هذه الظروف العصيبة ... »[1] . فسرّ البابا وكتب على خريطة لبنان المرفقة بالتقرير الوثيقة ، ما ترجمته : «في عشية تحقيق أماني ابنائنا الأعزّاء اللبنانيين ، نحبّ أن نهنّئهم ونمنحهم بقلب كبير البركة الرسولية»[2] .

وإذا بالبرقيات ورسائل التهنئة تتوالى على رئاسة الوفد اللبناني الذي ما لبث أن عاد الى بيروت ، وأعرب رئيسه المطران خوري في الأول من تشرين الأول ١٩٢٠ ، لدى عودته الى مقرّ البطريركية المارونية الصيفي في الديمان ، عن ارتياحه وثقته بمستقبل وطنه وقدرته على تقرير مصيره[3] .

١ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ماجريات آب ١٩٢٠.
٢ — تاريخ هذه الكتابة في ٢٧ آب ١٩٢٠. راجع :
- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83. (p. 79).
للمزيد عن رحلة المطران الى روما ، راجع يومياته ، المرجع السابق ، آب — أيلول. ونشير الى أن ماجريات هذه المخطوطة تتوافق مع الكثير من الماجريات الواردة في كتاب الأب ابراهيم حرفوش وهو المرجع المعتمد مراراً في هذه المؤلّف.
٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 83. (p. 83).

ثالثاً : نجاح الوفد الثالث بإعلان دولة لبنان الكبير.

أ ــ الحدود :

أصدر الجنرال غورو يوم ٣١ آب ١٩٢٠ قراراً يحمل الرقم ٣١٨ ، يقضي بضم الأراضي والمدن الآتية الى جبل لبنان :

ــ ولاية بيروت وكانت تتألّف من أقضية صيدا وصور ومرجعيون.

ــ ولاية طرابلس مع قضاء عكّار.

ــ الأقضية الأربعة : البقاع ، بعلبك ، حاصبيا وراشيا . وكانت هذه الأقضية قد ألحقت بولاية دمشق أثناء العهد العثماني ، وأصبحت حدود الدولة الحاضرة على الشكل الآتي :

ــ من الغرب ، البحر الأبيض المتوسط بخطّ يمتدّ من رأس الناقورة جنوباً حتّى قرية العريضة في شمالي خليج عكار .

ــ من الجنوب ، حدود فلسطين كما يتمّ تعيينها بالاتفاقات الدولية .

ــ من الشمال والشرق ، الحدود مع سوريا : خط يمتدّ من شمالي مصبّ نهر الكبير الجنوبي ويتبع مجراه الى نقطة اجتماعه برافد وادي خالد قرب جسر القمر.

ــ من الشرق ، خط يفرق بين وادي خالد ووادي نهر العاصي المار بالقرى التالية : المزرعة ، جربعانه ، هيث ، أبش ، فيعان ، وقرب بريفه ومطربة ، ثم يتبع الحدّ الشمالي من قضاء بعلبك ، فيميل الى الشمال الغربي فالجنوب الشرقي ثم الحدود الشرقية لأقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا .

كما أصدر بالتاريخ نفسه قراراً رقمه ٣٢١ ألغى بموجبه نظام المتصرفية المعمول به منذ سنة ١٨٦١ . وكان قد عرض على رئيس الحكومة الفرنسيّة وجهة نظره ، كقائد لجيوش فرنسا في الشرق ، بأنه « ينوي تقسيم أراضي النفوذ الفرنسي الى ثلاث دول رئيسيّة بينها « لبنان الكبير بحدوده الموسّعة التي تشمل سنجق صيدا ما عدا المنطقة المتبوعة بفلسطين، وأقضية حاصبيا وراشيا والبقاع (المعلّقة) ، وبعلبك وبلديات بيروت وطرابلس .

ب ــ الإحتفال الرسمي بالإعلان :

وفي اليوم التالي ، الأول من أيلول ١٩٢٠ ، دعا الجنرال غورو رجال الدين من كافّة الطوائف اللبنانية ، والأعيان ، وكبار الموظّفين الى احتفال يقام في قصر الصنوبر (السفارة الفرنسية اليوم) لإعلان استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي بحدوده الموسّعة الجديدة (الحالية) ، وقد حضر الاحتفال وجهاء البلاد من مدنيين وروحيين ، أبرزهم البطريرك الماروني الياس الحويك ، وجلس عن يمين غورو ، والمفتي مصطفى نجا ، عن يساره ، وألقى غورو خطابه المشهور ونقتطف منه ما يلي :

« أيها اللبنانيّون »

أمام هؤلاء الشهود جميعاً ، شهود آمالكم ومجهوداتنا وانتصاراتنا ، وبقلب يشاطركم فرحكم وفخركم أعلن : « لبنان الكبير » ، وأحييه باسم حكومة الجمهورية الفرنسية ، متجلبباً بالقوة والعظمة ... « وإني قبل تعيين حدوده استشرت الشعب ، واستناداً الى تعهّدات فرنسا والى المبادىء التي أوحتها جمعية الأمم ، أستطيع أن أقول أني لم أكن يخطر لي غير أمر واحد وهو تحقيق أماني الشعب الذي كان يجاهر بها ، بملء الحرية ، وخدمة مصالحه المشروعة »[1] . وأوصى غورو اللبنانيين بالاتحاد الذي هو مصدر قوّتهم ، محذّراً إيّاهم من الخصومات العرقية والمذهبية ، التي تضعفهم وقال : « ان لبنان الكبير تألّف لفائدة الجميع ولم يؤلّف ليكون ضد أحد ، فما هو الا اتحاد سياسي اداري »[2] . وانتقل الى التذكير ، « بأن معركة ميسلون قبل خمسة أسابيع ، لم تكن إلّا للقضاء على السلطة التي حاولت استعبادهم ، فالجنود الفرنسيون هم عرّابو

---

١ ــ Hokayem, op. cit., p. 254.

٢ ــ ان هذا التعبير ظلّ مبهماً وقد أعرب يوسف السودا للبطريرك في ٢٣/ ٩/ ١٩٢١ عن أنّها فكرة Fédération مع سوريا ممّا حرّك وطنية البطريرك الماروني في حفلة استقبال غورو بالذات في ذلك التاريخ وحصل نقاش حاد حول هذه القضية المستجدّة وهدّد البطريرك في خطابه في الديمان قائلاً : « إذا مسّت حفنة من تراب لبنان ، فأنا ــ خلال أربع وعشرون ساعة ــ أشعلها ثورة في البلاد » . فتراجع غورو عن موقفه وطمأن البطريرك بأنّه لا يصير شيء إلّا بموافقتكم للمزيد عن هذه الحادثة راجع ، يوسف السودا ، في سبيل الاستقلال ، المرجع السابق ، ص/ ٣٥٢ و٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦/.

استقلال لبنان، وبأن الدم الفرنسي إنّما سال من أجل استقلال اللبنانيين كما سال من أجل استقلال شعوب عديدة.

ج — صدى نجاح الوفد الثالث في لبنان والعالم:

على أثر استعادة المقاطعات المسلوخة عن لبنان، وإعلان قيام لبنان الكبير بين ٣ آب وأول أيلول ١٩٢٠، توجّهت الأنظار الى البطريركية المارونية والى مجلس إدارة لبنان، ووفدهما الى باريس. فتلقّى رئيس الوفد اللبناني الثالث، المطران عبدالله خوري، سيلاً من الرسائل والبرقيات، وهي تثني على جهوده ونشاطه ووطنيّته ونجاحه في استعادة الحقوق وتحقيق الأماني التاريخيّة للبنان وشعبه.

فمن الإسكندرية وردت الى المطران برقية شكر على الجهود المثمرة والموفّقة للوفد[١]. ومن معهد القديس يوسف في مدينة بوردو استلم المونسنيور خوري رسالة جاء فيها: «كم تراني مسروراً للفرحة الكبرى التي تغمركم من جرّاء تلك النتيجة والسعادة التي تزفّها الى بطريركم القدّيس، والى أساقفتكم الأجلّاء والى أمّتكم اللبنانية، تلك البشرى السعيدة! فكل أمانيكم استجيبت، كلّ تصوّراتكم تحقّقت بلبنان الكبير المستعيد حدوده والمتنعّم باستقلاله»[٢]. وأضاف المونسنيور Fabier صاحب الرسالة «لقد استعاد لبنان الكبير حدوده متمتعاً باستقلاله تحت حماية فرنسا! ليتمجّد الرب، بمباركته سعيكم واحسانه اليكم بمثل هذه المكافأة على شجاعتكم ورعايتكم الأسقفية... وأكثر من أي يوم مضى، نحن هنا، نجدّد اعرابنا عن تعاطفنا مع أمة الموارنة النبيلة، ومع ابنائها الذين يعيشون في ظهرانينا... وأن أحلى وأمجد عزاء لي هو أن أتمكّن من تمضية بعض ساعات من الوداد مع صاحب الغبطة البطريرك وقليلاً من أيّام المحبّة مع أساقفته ذوي الاعتبار... ونضاعف صلواتنا لأجل تنفيذ مشاريعكم الوطنية المقدّسة».

وقال Fabier في رسالة تهنئة أخرى: «وأتمنّى بأن دولة لبنان، وقد حصلت على حدودها الطبيعيّة، واسترجعت المناطق الضرورية لوجودها وتطورها، ستكون بازدهار

١ — بدون تاريخ Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 88

٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 64.

مضطرد، ولفرنسا الصديقة الكبرى... وأرجو يا صاحب السيادة أن تنقل الى غبطته تحياتي الخالصة لنجاح المهمة التي لأجلها كان البطل المثابر والعامل لها بتضحية فائقة.

وكتب في هذا المجال السفير الفرنسي في لندن، كامبون، وأساقفة فرنسا، والجنرال غورو، وممّا قاله كامبون: «لقد جاء حل مطالب لبنان موافقاً لرغبات اللبنانيين التي أعلنها صاحب الغبطة البطريرك الحويك، وتابع تحقيقها برسوخ عجيب أتاح له أن يتغلّب على كل العوائق وأن يحلحل كثيراً من المشاكل... فأرجوك أن تبلغه أصدق تهانيّ، لأجل ثباته وسمو مقامه وهمّته التي لا تعرف الوهن... وإني أتمنّى للبنان كل ازدهار...»[١].

وهناك رسالة نوّهت بذكاء اللبناني في معرفة الاستفادة من الظروف الدولية جاء فيها «... لقد كنت سعيداً، والبطريركية بنوع خاص، بالحصول على هذه النتيجة العظيمة بتحقيق، وفي قليل من الزمن، ماكان يطالب به أجدادنا ويسعون لأجله دون تراجع خلال قرون طويلة، وقد ساعدت عوامل كثيرة في هذا الصدد انقلاب عالمي بسبب تلك الحرب الرهيبة، شجاعة اللبنانيين الراسخة، ولاسيما وجود بطل وطني، الوقور الجليل الذي نفخر به جميعاً أن ندعوه بطريرك لبنان الكبير»[٢].

أمّا في لبنان، فقد خاطب الأب العام اللبناني، اغناطيوس التنّوري، المطران خوري قائلاً: «لسيادتكم الفخر بأنكم أنجزتم البناية التاريخيّة التي وضع أساسها غبطته

١ — Archive du patriarcat Maronite. Annexe N° 64.

— نذكر أيضاً رسالة المحبة والثناء لعمل المطران عبدالله خوري وجهتها اليه نسيبته كارمن خوري وقالت بالحرف:

"J'aurai tant voulu être à Beyrouth, aujourd'hui, jour de votre arrivée triomphale; je me représente le drapeau hissé, le canon retentissant pour le saluer officiellement et des milliers des voix s'élévant pour crier "leur amour et leur fidélité à la patrie Heureux et inoubliables moments! Je désirerai aussi être la-bàs pour acclamer celui qui a tout fait pour notre indépendance. Monseigneur, ne protestez pas. Sans vous nous n'aurions pas obtenu ce que nous avons obtenu, c'est pourquoi tout libanais vous doit reconnaissance bien profonce".

- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Annexe N° 71.

٢ — Archive du patriarcat Maronite. Annexe N° 70.

(الحويك)... فحقّ لكم أن تشاركوه بالفضل والذكر المخلّد الذي يحفظه التاريخ ويفتخر به الوطن على مرّ الأجيال[1]. وبرزت وحدة الرهبانيات المارونية في تقاسم السرور بهذا الحدث المشترك وعبّر عنه ببلاغة الأب العام الحلبي بقوله «إن عودكم الحميد من البلاد الغربية مع ما تعلّق عليه من الفوز والنجاح بكل المعاني تجاه المراجع العليا الدينية والمدنية، قد أحدث بالقلوب كافة هزّات طرب جميلة تفوق الوصف والبيان، إذ أن العواطف اللبنانية جمعاء على تباينها واختلاف مذاهبها قد خلعت اليوم شارات الأوهام والحداد وتحلّت بأبهى مظاهر الفرح والسرور احتفاء بقدومكم الميمون وتكريماً لشخصكم الأثيل الذي جاهد في سبيل الوطن المحبوب فنجحت مساعيه والحمد لله، وتمكّن بفضل مهارته واقتداره من استثمار غرسات يمين الشيخ الجليل صاحب الغبطة النبيل مار الياس بطرس الحويك بطريركنا المطوّب وأب كل لبناني. أجل أيها السيد المفدّى وزعيم الوفد المبجّل إن ما تجشمتموه من المشاق في سبيل الدفاع عن الوطن وتحقيق الأماني اللبنانية مع ما نلتموه من الكرامة والإجلال في البلاد الأوروبية والفوز والظفر بتأييد رغائبكم المقدّسة لممّا يسجل لسيادتكم في التواريخ الصادقة وعلى صفحات القلوب اللحمية أجمل ذكر وآيات حمد وفخر تنطق بفضلكم وشكركم على غابر الدهر... نهنئكم... بظفركم ونجاح مساعيكم الخطيرة وبما حزتموه من التعظيم والتكريم الذي من أخصّ الدلائل عليها الوسام الكريم المتلألىء على صدركم الرحب»[2].

وعمّت البشرى سائر اللبنانيين بارتياح الشعب الى النتائج المؤمّلة التي توصّل اليها ممثلوهم لدى المراجع الدولية، ولم يخف الأساقفة اللبنانيون تلك المشاعر، لأنّ استقلال الوطن اللبناني وحريّته، هما «داعي سرور كل مسيحي يرغب في استقلال هذا الحصن الأشم والملجأ الوحيد لنصارى سوريا على اختلاف طوائفهم. وعبّر عن المشاعر نفسها في ٢٢ أيلول ١٩٢٠ المحامي حبيب الزين، بقصيدة عفوية أنشدها احتفاء وتقديراً للوفد اللبناني على مأدبة الكونت صعب، فقال:

١ — أوراق من ملف المطران خوري، محفوظات البطريركية المارونية، الوثيقة رقم ١٤،
٢ — المرجع نفسه، الوثيقة رقم/ ١٥/.

«لبنان يشكركم على حرية   كانت فرنسا ذخرها «المذخورا»
«ان صار لبنان كبيراً انه   ما كان يوماً في الجبال صغيرا
لكنه حق أعادته له   أخت، فضمّت عضوه المبتورا (فرنسا)
وأب له في البطركية رابض   كالليث يحمي شبله ليسيرا (الحويك)
فلتحي للدنيا فرنسا حرة   وليحي لبنان الكبير كبيرا[1]»

ولا بدّ من ذكر الرسالة الفريدة التي وجّهها عبد القادر الدنا الى أبناء بيروت وجاء فيها: «وأنتم أيها البيروتيون، افرحوا، لأن مدينتكم أضحت عاصمة لبنان الكبير، وبذلك، بعد قليل من الزمن ستكون الباريس الصغرى في سوريا... ولنشكر تلك الأمة المحبوبة التي حرمت نفسها من أفضل رجالاتها ليتمّم في وطننا الإصلاحات الضرورية بعد تلك الحرب... واني أرفع صوتي ويملأ ترجيع صداه الأجواء:

لتحي فرنسا المجيدة،
لتحي الجمهورية الفرنسية،
لتحي سوريا الجميلة،
لتحي فرنسا المسلمة،
ليحي لبنان الكبير،
لتحي بيروت عاصمة له»[2]

وكعادته، لم يترك رئيس الوفد اللبناني سانحة إلا ليغتنمها بدبلوماسيّته، فكتب الى الجنرال غورو شاكراً وموضحاً الموقف اللبناني الثابت والعاطفي تجاه فرنسا واستند الى التاريخ ليقول للجنرال: «قال بطرس كرم لابنه يوسف: متى جاء جنود فرنسا الى وطننا، اذهب الى قبري ودحرج عنه الحجر واهمس لي الحدث السعيد. إن الـ ١٥٠ ألف لبناني الذين راحوا أيام الحرب ضحايا البربرية التركية — الألمانية، جميعهم،

١ — المرجع نفسه، الوثيقة رقم/ ١٣/
— راجع أيضاً: يوميات المطران خوري، المرجع السابق، ٢٢ أيلول ١٩٢٠.
٢ — Dossier de Gl. Gouraud, Ann. N° 122.

أؤكّد لك ، كانوا يرددون كلمات بطرس كرم ... لقد مات هؤلاء الوطنيّون ... وها نحن نقطف ثمرة تضحيتهم . سيهتز ارزهم بالنشوة في اللحظة التي يخفق فيها العلم الفرنسي على جبالنا وقد دقّ نفير الانقاذ ، وقلوب الاحياء نسيت تأرجح القرون الطويلة ولا تريد إلّا أن تستمتع بالسعادة الحاضرة ... وأمام أمانينا التي تحقّقت ... عزمنا على أن نقتني في حياتنا الجديدة أثار مدرستكم ، طائعين واثقين ، ودون تفرقة بين المذاهب ، سنتعلّم أن نكون مواطنين لبنانيين ، وأن نتصدّى لكل ما استطاع أن قسّمنا في الماضي لنبقى ابناء لوطن محبوب واحد . وكما أسلافنا سنأخذ على عاتقنا أن نركّز أبصارنا نحو فرنسا ، فهي بأمثالها ونصائحها ستنهي مهمتها الانقاذية ، وستكون فخورة بنا ... »[1] . وبهذا المعنى خاطب المطران الجنرال غورو أيضاً فيما بعد ، إنّنا نعرب لكم عن رضانا واننا نسهّل بكل امكاناتنا المسعى الحميد الذي تفرضونه لصالح لبنان الضيّق في حدوده ولكن الكبير بآماله التي عرفت الأفكار الفرنسية ايحاءها لأبنائه .

لقد أثار نجاح الوفد اللبناني ارتياحاً شبه شامل . وكان ممثّلو الشعب في مجلس الإدارة ، مع اغتباطهم بالنتائج التي حصلت على يد الوفد ، ومع تقديرهم لمواقف الجنرال غورو ، يشعرون بنقص معيّن حول نقطة معيّنة وهامّة كانت مصدر تخوّفهم وقلقهم ، وتكمن في هوية الحاكم وجنسيّته . فالبعض يفضّله مسيحياً وطنياً ، والبعض الآخر يرى في كونه فرنسياً يخفّف كثيراً من المشاكل والحزازات ، وعرض مجلس الإدارة وجهة نظر أكثرية اعضائه في هذا الموضوع في مضبطة وجّهها الى الجنرال غورو وجاء فيها : « باسمنا وباسم من نمثّل ، نقدّم شكرنا عرفاناً بالجميل ، من أجل تصريحاتكم الواضحة والصادقة التي اعلنتموها مؤخّراً في بكركي ، ممّا أثار الإرتياح والإطمئنان في الوطن . وحيث أن بعض العناصر الفوضاويين يطرحون مسألة جنسية الحاكم ، فإننا نودّ أن نوجّه عنايتكم الى الخطر الكبير الذي يشكله حالياً تعيين لبناني لهذا المنصب . لأن وطننا ، وقد أضعفته فترة الإحتلال المحمومة ، ومزّقته الأحزاب السياسية التي كل بدورها سعت للإستئثار بالسلطة ، سيصل حتماً الى التفكّك اذا ما افتقر الى كفالة حاكم فرنسي مستقل ... وإنّنا على يقين من أن صوت المفوّضية العلية للجمهورية

١ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 80.

وحده ، سيخنق تلك الشائعات التي تدور دون انقطاع حول تبديل الإدارة ، والتي تنقص من مقامه بين الشعب وتسمح للمجرمين وقطّاع الطرق الإفلات من العقاب بحجّة تغيير « النظام »[1] .

وفي هذا الإطار ، أوضح المسيو شكري غانم مشدّداً ، في رسالته الى المطران خوري ، « أن خلاص اللبنانيين أصبح في أيديهم » . وقال أيضاً : « لا يهمّ فيما تكونه شخصية البطريرك ، فالرجال يذهبون . إن ما يجب علينا تقديره هو النظام ، إن لم يكن ذلك بروح دينية ، فعلى الأقل ، بروح من المحافظة ... ان انضباط جميع اللبنانيين واتحادهم واندماجهم لن يحدثا بين ليلة وضحاها ، كضربة عصا سحرية ... إنّه ينبغي المزيد من الوقت ، والمزيد من الصبر ... أتعتقدون بأنه من السهل توحيدهم ، وضبط نفوسهم ، والعمل منهم مواطنين مترفعين ، متفانين ، متفاهمين على المصلحة العليا ؟ »[2] . كما كتب غانم الى المطران خوري معرباً عن أمانيه وتوصياته وقال : « عد الى لبنان الكبير سعيداً فخوراً . إن الأول من أيلول سيكون بعد الآن الرابع عشر من تموز في لبنان ، العيد الوطني والإحتفاء بولادته . فقد حملته فرنسا على أسس المعمودية ، إنّها أكثر من عرّابة ، إنّها أمّه الحقيقيّة ... وعندما يحين لنا أن نتباحث معها في مصلحة ما ، ليكن ذلك كأبناء مع أمهم ، لاقناعها وليس فقط لتشدّ ساعدهم . وكأبناء للوطن ، تعرفون حاجاته ، رغباته المنطقية ، والضرورات الملحّة أفضل منها . وهكذا ، تستطيع هي أن تفهمكم وتسمعكم بقلبها الكبير وحكمتها الوقّادة ولفيف رجالاتها المختارين . اعذرني سيدي المطران ، أوشكت أن أحتلّ مكانك في الوعظ ... ليست هذه هي نيتي ، لكن : « أحكيك يا كنّه لتسمع الجارة »[3] .

فإذا كان الفرنسيّون قد لبّوا المطالب اللبنانية ، وزادوا عليها بتوسيعهم الحدود

١ — Arch. du Patr. Mar op. cit., Ann. N° 85.

٢ — Archive du patriarcat Maronite. Annexe N° 66.

٣ — Ibid, Ann. N° 65.

— يريد غانم بذلك أن يوجه الكلام الى بعض اللبنانيين الذين يرفضون دور فرنسا في لبنان ويطالبون بالاستقلال المطلق (الاتحاد اللبناني بمصر).

الجنوبية حتى الناقورة ، فإنّ بغيتهم الثانية ، بعد انصافهم للوجود الماروني ، قد أكّدها المطران خوري بقوله «إن فرنسا تعرف ، أنّ مصلحتها الخاصة هي في تكوين لبنان حيوي وأكثر توسّعاً ، يمكن أن يشكّل معقلاً شرعياً لكل سوريا»[١] .

ولا بدّ من الإشارة هنا الى أن هوية الحاكم هي من صلب المسائل الأساسية على الأقلّ من بعد سقوط الأمير بشير الثاني الكبير ، حيث كان قناصل فرنسا في بيروت منذ ذلك التاريخ يشدّدون على ايلاء هذه القضية الأهمية البالغة ، لأن المسيحيين في لبنان كانوا يخشون فقدان الأكثرية المسيحية[٢] . لكن بعض دوائر الخارجية الفرنسية وموجهي سياستها في الشرق ،ومنهم R. De Caix كانت ،لهم نظرتهم الخاصة ،حتى أن هذا الأخير حاول اقناع أحد اعضاء الوفد اللبناني الشيخ يوسف الجميل ، بأفكاره التي كانت تقضي « بإلحاق جبل النصيرية وحوران وعامل الى جانب « طرابلس وبيروت بجبل لبنان في نظام فيدرالي »[٣] . والهدف من ذلك هو تمكين فرنسا بهذا المشروع ، من الاستغناء عن وجودها في داخلية سورية .

ومع انتصار المشروع اللبناني بقسطه الأكبر ، تأمّن للبنان الاستقلال الجغرافي والسياسي عن المشروع السوري ، إلّا أن الاستقلال النفسي بقي مضطرباً ببقاء السنّة من بين جميع الطوائف اللبنانية يعارضون ، ليس فقط انضمامهم الى لبنان الكبير ، بل وجود هذا الكيان بالذات مستقلاً متميزاً عن سوريا . ولا شكّ فإن الارتباط السني اللبناني بقضية فيصل السنّي ، كان وثيقاً بحيث أنه لم يكن يستهدف استعداء طائفة معينة من اللبنانيين ، إنّما كان ينصب في القضية التاريخية للحكم السني منذ الأمويين ، وسنأتي على هذه الناحية في فصل لاحق .

---

١ — Ibid. Ann. N° 81 (p. 2).

٢ — ظلّت آثار التعديات الاسلامية ، والأحداث الدموية والمذابح ، ماثلة أمام المسيحيين في قراهم المجاورة لمناطق الأكثرية غير المسيحية .

— أوراق من ملف المطران خوري ، مرجع مذكور ، وثيقة ١٦ .

٣ — يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، ٢٥ تموز ١٩٢٠ .

الفصل الثامن

العرائض والمواقف اللبنانية

بين الدور الفرنسي والمسألة السورية

أولاً : الرأي العام المسيحي والشيعي :

رأينا في الفصل السابق تواصل الدور البطريركي الماروني ذي التوجه اللبناني الصرف في مسائل الحدود والحكم والمتصل بخلفيات تاريخية وحضارية خاصة بلبنان منذ أجيال ، وذلك في مسعى الوفدين الرئيسيين من مراحل التوجه اللبناني لدى مؤتمر الصلح في باريس بين ١٩١٨ — ١٩٢٠ ، أحدهما برئاسة البطريرك الياس الحويك شخصياً ، وثانيهما برئاسة نائبه المطران عبدالله خوري . وحيث أن هذا التوجه قد اصطدم بتيارات معاكسة موالية على الأقل للصبغة السورية العربية ، فإن لهذا الوضع أسباب وظروف منها ما هو سابق للحرب العالمية الأولى ومنها ما هو لاحق . فعقب الحرب ، شهدت المناطق التي شكّلت فيا بعد حدود دولة لبنان الكبير خليطاً من النفوذ شأنها في ذلك شأنها بقية مناطق الولايات السورية ، نفوذ اجنبي تمثّل بصورة رئيسة ببريطانيا وفرنسا ، ونفوذ محلّي تمثّل بالحضور السياسي العربي وبالفكرة الاستقلالية اللبنانية . وكان النفوذ الأجنبي يشكّل سلطة الوصاية على النفوذين المحليين . على أن الخلاف بين طرفي النفوذ الأجنبي تترجم الى صراع سياسي وعسكري في بعض الأحيان ، بين طرفي النفوذ المحلي . ولما كان الحضور العربي هو الأكثر شيوعاً في المناطق التي طالب بها دعاة الاستقلال اللبناني ، تحت مقولة «الحدود الطبيعية التاريخية» فكان على الاستقلاليين اللبنانيين أن ينزعوا الوجه العربي السوري عن المناطق المسلوخة ، سنة

١٨٦٠ ويظهرونها بحلة عريقة الصلة بلبنان تبرّر مطالبهم بضمّها إليه ، لدى مؤتمر الصلح وأصحاب العقد والحل . ومن المفيد جداً أن نعود بهذه الصفحات الى سنة ١٩١٠ أيّام المتصرفية والإمتيازات لنتثبّت من أن فكرة الاستقلال قديمة لدى اللبنانيين . فما كان المتصرّف يوسف فرنكو باشا يعمد على مماشاة مخططات النظام التركي الاتحادي في خرق امتيازات لبنان أوفد غبطة البطريرك الماروني الشيخ فريد الخازن سنة ١٩١١ الى باريس . وفي الفترة الممتدّة بين رحيل يوسف فرنكو باشا وتعيين متصرّف خلفاً له ، استساغ اللبنانيون طعم الاستقلال والحكم في غياب المتصرّف ، فنشطت مساعيهم الاستقلالية ورأى الكثيرون منهم أن الفرصة مؤاتية ليقوموا بحركة تقطع الرابط الوحيد الذي يجمعهم مع الأمبراطوريّة العثمانية[١] . وكان طبيعياً أن ترسم هذه الحركة بين المسيحيين ، إذ جسّوا نبض القنصلية الفرنسية فأثنتهم عن مسعاهم لأن التوقيت غير مناسب . من هنا كان عدم رضى الموارنة على الإصلاحات التي وافقت عليها الحكومة العثمانية ، سنة ١٩١٢ ، خاصة من الناحية المادية في الوقت الذي كان فيه الخروج من المأزق الاقتصادي أهمّ مطلب من المطالب التي وضعت أمام سفراء الدول الضامنة لنظام المتصرفية . الأمر الذي دفع الطائفة المارونية الى إرسال كتاب في ٦ كانون الثاني ١٩١٣ ، الى رئيس الوزراء الفرنسي ، تشكو له خيبة أملها في الإصلاحات التي لا يمكن أن تحسّن الوضع المالي والاقتصادي في المتصرفية .

وترى الطائفة في عودة البقاع وما ألحق بولاية دمشق اعتباطاً وتعديل حدود لبنان الطبيعيّة ، من شأنها وحدها أن تسهّل حياة اللبنانيين وتحدّ من تيّار الهجرة التي تفرغ البلاد[٢] ، وإذا كانت فرنسا تريد فعلاً حلاً جذرياً للمسألة فلتقرن القول بالفعل .

هذه المذكّرات والمساعي اللبنانية ، على الأصعدة القومية والاقتصادية توافقت مع

١ — Arch. du Patr. Mar. Annexe N° 2 (Document de 5/3/1912).

٢ — يفيد أحد التقارير من محفوظات البطريركية المارونية بالفرنسية ، تفصيلاً عن احصاءات سكّانية في لبنان تسمح بإجراء مقارنة سريعة حول تأثير الهجرة على الخريطة الديمغرافية فيه : في سنة ١٨٦٣ بلغ مجموع عدد المسيحيين الذكور ٩٦٥ ، ٣٣٩ والمسلمين (دروز ومتاولة وسنّة) ١٩٥,٨٤٥ ، واليهود ١٠,٧٠٠ ، ويتضمّن التقرير شرحاً باللغة العربية عن احصاءات السكان وطوائفهم وهجراتهم وأسبابها وعلّق عليها بملاحظات مختصرة راجع :

- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 74.

تصريحات رسمية فرنسية ، بشأن مصالح فرنسا في سوريا ولبنان في ٢٣ كانون الأول ١٩١٣ ، نشرت جريدة[١] Le Temps الفرنسية تصريح Poincaré الشهير ، أمام مجلس الشيوخ الفرنسي ، حول مصالح فرنسا التقليديّة في لبنان وسوريا . وفي الوقت نفسه رست الدارعة الفرنسية Jules Ferry في ميناء جونيه ، كتدشين لتحقيق المطلب اللبناني — الماروني . وقام قائدها بزيارة البطريرك في بكركي . هذه الزيارة تكرّرت في مطلع ١٩١٣ ، ولكن ، هذه المرّة كانت مبادلة فرنسية بشخص قنصلها العام بالميناء الجديد . يقول المطران عبد الله خوري في تقريره بعنوان : موقف البطريرك الماروني : « استعداد الفرنسيّون مع البطريرك السياسة التقليدية التي ترمي الى توجيه الرأي العام نحو المصالح المشتركة لفرنسا ولبنان بواسطة السلطة البطريركية المباشرة »[٢] .

ويمكننا في هذا المجال أن نشير الى مذكرة بلدية زحلة[٣] ، التي قدّمتها باسم جميع مجالس بلديات جبل لبنان الى ممثّلي حكومات الدول الكبرى ، الضامنة بروتوكول المتصرفية ، بعنوان « البقاع للبنانيين » ولعلّ هذه المذكّرة أفضل دفاع تاريخي واقتصادي في تبرير المطالبة بضم البقاع الى متصرفية جبل لبنان . وتعكس قمّة المعاناة من الضيق الاقتصادي الذي هو في الحقيقة المغزى الحقيقي والجوهري للمطالبة بالحدود الطبيعيّة والتاريخية . وتوسّلت هذه المذكّرة الأسلوب الذي يثير الشفقة الإنسانية ، « إن لبنان الأرز القديم يحتضر أعيدوا له قوة الأيام القديمة . لبنان مسجون في حدود ضيقة ، أعيدوا له الحرية بهذه العبارات العاطفية الصادرة عن الضعف والبؤس ، عرضت المذكّرة حججها التاريخية والاقتصادية أمام استقامة الدول الكبرى وعدالتها فشرحت كيف فصل البقاع عن لبنان سنة ١٨٦١ . وفي تبريرها « لبنانية » البقاع قالت بأن تربته ما هي إلّا تربة الجبل المجروفة مع السيول . فالبقاع لم يكن إلّا جزءاً من الإمارتين المعنية والشهابية . كما كان جزءاً من القائمقامية المسيحية ثم من المتصرّفية . إن قوى مسيحية

١ — Le Temps, N° 18800 du 23 Décembre 1912, p. 2.

“Je n'ai pas besoin de dire au sénat qu'au Liban et Syrie notamment, nous avons les intérêts traditionnels et que nous entendons les faires respecter”.

٢ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 40. p. 2, 3.

٣ — Georges Karam, op. cit., p. 85.

عديدة ترغب في الإنضمام الى المتصرفية لكنّها تخشى سياط « الدرك وانتقام الحكومة »(١) .

نعود إذن الى فترة انعقاد مؤتمر الصلح فنتبين أن الوسيلة التي اعتمدت لبلوغ هذا الهدف كانت العرائض التي شجّعت عليها مبادىء الرئيس الأميركي ولسن في حقّ تقرير المصير. وعلى هذا الأساس ، ومنذ انتهاء الحرب الأولى حتى انتهاء الحكم العربي الفيصلي في سوريا ، قدمت جماعات من السكّان في السّاحل والأقضية الأربعة عرائض لا تحصى تتناول كلّها موضوع الرأي اللبناني : منها عرائض من البقاع وبعلبك : في ٦ كانون الأول ١٩١٨ ، قدم المسيحيّون القاطنون في غربي قضاء بعلبك عريضة الى جورج بيكو ممثّل الدولة الفرنسية الفخيمة في سوريا بمناسبة التئام جمعيات في قضاء بعلبك وأحزاب كثرت الأقاويل فيها وتعدّدت بتلوّن نزعة ذويها ». وتتعرّض العريضة للظروف التاريخية التي قضت بفصلها عن لبنان مع بقاء الحكومة التركية على اعترافها بلبنانيّتهم . ثم « كما كان موقعنا الجغرافي يعتبر جزءاً متمماً للبنان وكانت عاداتنا وتقاليدنا ولبنان واحدة وكنّا مرتبطين معه ارتباطاً اقتصادياً وكان انفصالنا الجاير عنه مدعاة لمشاكل اقتصادية وسياسية كادت تودي بنا ... إنّنا نطالب اعادتها وإلحاق أملاكنا إلى لبنان ملتمسين أن ترفعوا أمنيتنا هذه لمقام دول الائتلاف »(٢) .

وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩١٩ . قدم البقاع عريضة ضخمة تحمل مئات التواقيع من قرى متعدّدة منها ، المعلقة ، ونيحا ، وكفرزبد ، ومشغرة ، وصغبين ، وعيتنيت ، وحيدوت ، وسحمر ، وعين التينة ، والخربة ، وجب جنين ، وقانا ، وعميق ، والفرزل ، وكفريا ، والقرعون ، وحوش حالا ، ورياق ، وقب الياس ، وتعنايل ، وتعلبايا ... جاء في العريضة : « إن حالة قضاء البقاع الجغرافية والتاريخية حتى والإدارية أيضاً في غالب الأزمنة التي مرّت عليه تثبت كون هذا القضاء جزء متمم لجبل لبنان لأن قسماً منه واقع في سفحه الغربي والقسم الثاني في سفحه الشرقي ... وحيث أن جبل

١ — Arch. des aff. étr. Annexes N° 19.

٢ — راجع بهذا المعنى عن عرائض مناطق البقاع الوثائق التالية :

Arch. fr. op. cit., 7, 16,

لبنان كان ولم يزل متمتعاً بامتيازات اقتصادية وعسكرية معلومة وكانت حالة البقاع لا تختلف بشيء عن حالة الجبل ... رأينا ... أن نسترحم من المعتمد الثاني في المنطقة الشمالية من الاحتلال أن يرفع تقريرنا هذا الى مؤتمر الصلح المعقود في باريس عساه أن ينظر الى مطالبنا الحقّة وبقرارها بضمّ إدارتنا إلى إدارة لبنان عملاً بسنة المساواة لا سيا وأن موقعنا الجغرافي يساعدنا على هذا الطلب(١) . وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ قدم المسيحيّون وقسم من المسلمين في قضاء بعلبك ، الى المفوّض السامي ، عريضة يؤكّدون فيها على مطالبتهم بضمّ قضائهم بعلبك الى لبنان كما وردت في عريضتهم السابقة والمؤرّخة في ١٠ كانون الأول ١٩١٨ . وقد فاتهم في العريضة السابقة أن يذكروا بأن ٧٥٪ من الأراضي والمساكن في قضاء بعلبك تعود للمسيحيين ولبعض المسلمين اللبنانيين وأن ٢٥٪ الباقية تشكّل ملكاً لمسلمي بعلبك الذين يعارضون في طلب انضمامنا(٢) . وبما أن الحزب المعارض للإنضمام يشكّل ٢٥٪ من مالكي العقارات والمساكن في قضاء بعلبك . يطلب اصحاب العريضة الحاقهم بلبنان. فهل يؤخذ برأي الأغلبية المالكة أم الأغلبية الساكنة ؟

ومع اجتياح البلاد اخبار تشكيل وسفر لجنة الاستفتاء الأميركية ، نشطت موجة العرائض. وفي ٢١ حزيران ١٩١٩ ، قدّم سكان « قرية تعلبايا في البقاع من الطائفة المارونية » عريضة الى القوميسيرية الفرنسية في سوريا تشرح فيها انتماءها التاريخي للبنان وكيف قيدت الحكومة التركية أثناء الحرب اسماءهم جبراً وقسراً في دفاترها وسجلّاتها لذلك « جئنا الآن بعريضتنا هذه نلتمس اعدادنا لبنانيين تابعين لحكومته ... حتى لا تسري علينا أحكام الولاية في نفوسنا كما هي في أملاكنا »(٣) .

وفي ربيع ١٩١٩ ، حصل تقارب بين فيصل وفرنسا ، أدّى ال اضطراب خواطر اللبنانيين. وفي هذه الأجواء ، عرف شهر أيار ١٩١٩ ، موجة مركّزة من طرق التعبير عن الأماني اللبنانية بإرسال البرقيات والإحتجاجات ، من مختلف المدن والقرى المسيحية تطالب باستقلال لبنان في حدوده الطبيعية والتاريخية بمساعدة فرنسا . ورافق هذه

١ — Arch. fr. Ibid. Ann. N° 14, voir aussi N° 77.

٢ — Ibid, Ann. N° 70 et 16.

٣ — - Arch. fr. Ibid. Annexe N° 37.

العرائض، حركة مظاهرات وتجمّعات شعبية في مناطق الجبل قاطبة تنادي بالاستقلال، وترفض دمج لبنان بسواه، نذكر بعضها بالتدرّج الزمني:

— نداء من أهالي مديرية جبيل بتاريخ ٢٣ آذار ١٩١٩.
— نداء من أعيان وأهالي قضاء جزين بتاريخ ٢٥ آذار ١٩١٩.
— مظاهرة أهالي قضاء البترون بتاريخ ٢٥ آذار ١٩١٩.
— برقية من بلدية اهدن وجمهور الشمال بالتاريخ نفسه.
— عريضة من جماهير أهالي الكورة بتاريخ ٢٩ آذار ١٩١٩.
— عريضة من أهالي دير القمر ومجلس بلديّتها بتاريخ ١٧ أيّار ١٩١٩.
— عريضة من أهالي زحلة وقضائها بتاريخ ٢٠ أيّار ١٩١٩.
— عريضة من سكّان بعبدا بتاريخ ٢٠ أيّار ١٩١٩.
— عريضة من الشعب المتني بتاريخ ٢١ أيّار ١٩١٩.
— نداء من جرد جبيل وكسروان بتاريخ ٢ حزيران ١٩١٩[1].

ونشير إلى أن هذه العرائض والبرقيات التي رفعت الى المسيو بيكو حاكم لبنان والى مجلس ادارة لبنان، كانت تعبّر عن آراء فئات الشعب اللبناني الثلاث، الموارنة، الروم والشيعة. وكان من بين هذه البرقيات برقية زحلة وفيها أن أهالي القضاء على اختلاف المذاهب والطوائف يطلبون فيها أن نبلغكم تمنياتهم بشأن بلادهم وهي تنحصر في طلب استقلال لبنان الكبير استقلالاً تاماً واعادته الى حدوده الأصلية الطبيعية المغصوبة منه[2].

ومن راشيا جاءت عرائض: في ٢ تموز ١٩١٩، قدم رئيس وهيئة إدارة جمعية «القديس نقولاوس الأرثوذكسية» في راشيا حارة الفوقا التي تضمّ اليها أكثر شبّان الطائفة من حاضرين ومهاجرين قد قررنا طلب انضمامنا الى لبنان الكبير الذي كنّا قبل

١ — أرشيف تاريخ لبنان، المرجع السابق، القسم الأخير، ص/ ٧٢— ٧٥/. أنظر:
- Arch. fr. op. cit., Annexes N° 36, 37, 39.
٢ — Arch. fr. des aff. étr. "Télégramme de Zahlé le 20 Mai 1919, à l'administration du Liban. Annexe N° 50.

١٨٦٠ نعد منه... وان تكون الدولة الوصية على لبنان وسوريا، الدولة الفرنسية العظمى.

وفي الشهر ذاته قدمت طائفة الروم الكاثوليك في قضاء راشيا عريضة الى القوميسير الأعلى في ولاية بيروت السيد جورج بيكو الأفخم جاء فيها: «إنّه كما كان قضاءنا راشيا من ضمن لبنان الكبير بمقتضى الخريطة التي وضعتها دول أوروبا سنة ١٨٦٠... نرفع صوتنا مستغيثين باسم العدل اعادتنا الى النقطة التي حذفتنا منها تركيا من الخريطة القديمة واعتبار قضاءنا من ضمن لبنان الكبير تحت حماية فرنسا...».

ويبدو أنه في الوقت الذي كانت تقدم فيه عرائض لصالح لبنان الكبير كانت تقدّم عرائض معاكسة تطالب بالإنضمام الى الحكومة العربية في دمشق. وكانت تزوّر التواقيع وتوضع الأسماء بدون علم أصحابها. هذا ما حصل للخوري «اسبر أبو معروف» رئيس روحي للروم الأرثوذكس بحارة الفوقا من راشيا. الذي علم أن البعض «وقّعوا باسمي على لائحة مقدّمة الى سمو الأمير فيصل لأجل طلب عدم الحاق قضاء راشيا بلبنان الكبير... وحيث أنني صاحب ختم وامضاء معروفين جئت أظهر أن اسمي وضع بدون علم منّي وأن ما طلب في اللّائحة المذكورة هو منافي لرغائب الأهالي الذين يرومون الالتحاق بوطنهم الأصلي لبنان...»

كذلك تقدّم «رئيس وأعضاء مجلس الملّة الأرثوذكسيّة في قضاء راشيا بعريضة يشيرون فيها الى قضية الخوري المذكورة أعلاه، ومما جاء في العريضة «ان عموم الطائفة التي تعد نصف القضاء تقريباً... تريد الإنضمام الى لبنان الكبير».

وحذا السريان الكاثوليك من سكّان قصبة راشيا الواقعة في سفح جبل حرمون الغربي حذو طائفتي الروم الكاثوليك والأرثوذكس. وقدموا عريضة ترجع انتساب راشيا الى لبنان الى الأسباب التاريخية والجيولوجية وقد فصلتنا من نصف قرن السياسة التركية عنه فنريد ارجاعنا الى لبنان الكبير المنوي تأسيسه...»[1].

١ — Arch. fr. des aff. étr. Ibid. (série fr.) Ann. N° 62.

كما قدم معلمو المدارس في قضاء راشيا، في ٢٥ تموز ١٩١٩، عريضة جاء فيها «إنّه ليس لقضائنا بد ولا حياة الا بانضمامه الى لبنان الكبير بمساعدة الدولة الفرنسية العظمى.

وقدم قضاء راشيا مضبطة وقد حرصوا على أن تحمل مئات التواقيع. وبعد عرض الإرتباط الجغرافي والظروف السياسية جاء في العريضة: «نريد أن نضمّ الى لبنان الكبير المنوي تأسيسه على أن يكون حائزاً على امتيازاته واستقلاله ويكون مربوطاً في سوريا ربطاً اقتصادياً تكفله الدولة الوصية على لبنان وسوريا... وإنّنا نتمنّى أن تكون الجمهورية الفرنسية الفخيمة الدولة الوحيدة المساعدة لنا...».

كما قدّمت عرائض مماثلة من قضاء راشيا تحمل نفس المطالب وكذلك قدّمت عرائض من البقاع الشرقي. ويعود تاريخ هذه العرائض الى منتصف سنة ١٩١٩، مرحلة الاستفتاء. وكانت هذه المناطق قد قدمت عرائض مماثلة في شهر شباط ١٩١٩، أي الوقت الذي استمع فيه مؤتمر الصلح الى مطالب الوفد اللبناني الأول، وفي ٢٥ تموز ١٩١٩، قدم نادي حرمون المسيحي عريضة تمنّى فيها «... إن كل تمنياتنا ترجع أن يرجع لبنان الى حدوده الطبيعية ويستقل ادارة، وسياسة وينال امتيازاته السابقة... وتكون الدولة التي تساعده الجمهورية الفرنسية العظمى دون سواها...»

وسبق في ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٨، أن قدّم وجهاء الموارنة في روما عريضة الى سفير فرنسا في روما جاء فيها أن ساعة العدالة قد دقّت ووقت خلاص الشعوب والأمم الصغيرة قد حان. وتحتجّ العريضة ضد أيّة محاولة تركية تهدف الى ابقاء اللبنانيين تحت سيادتها وتبعيّتها أياً كان شكل الاستقلال والحرية، لأن دم اللبنانيين الذي سفكته تركيا قد قطع كل صلة يمكن أن تربطهم بها. ووضع بينها وبينهم حاجزاً لا يقطع. وعليه يطلب الوجهاء الموارنة في روما، أن يشكّلوا أمة مستقلة، استقلالاً ذاتياً بالمعنى الواسع للكلمة تحت حماية فرنسا.

وقدم قضاء مرجعيون عريضة طولها أكثر من متر ونصف تطالب «بإعادتنا الى النقطة التي حذفتنا منها تركيا من الخريطة القديمة واعتبار قضائنا من ضمن لبنان الكبير

تحت حماية فرنسا...»[1]. وتوجد عرائض جديدة تحمل النص نفسه المشار إليه، قدمت من قرى متعدّدة من قضاء مرجعيون.

كما قدم مسيحيّو قضاء حاصبيا ولبنان الشرقي عريضة تطالب بالانضمام الى لبنان الكبير وحماية فرنسا.

ومن الجنوب: قدم شيعة جبل عامل، في تموز ١٩١٩، عريضة طولها حوالي متر وربع، وتحمل مئات التواقيع، وقد جاء فيها: «... أما الآن وقد رجعنا ودرسنا المصلحة العمومية درساً مدقّقاً وتأمّلناها عميقاً ظهر لنا أن لا راحة لنا في الحال والاستقبال إلّا بإرجاعنا للوطن العزيز لبنان الكبير تحت مساعدة دولة فرنسا الفخيمة التي تحافظ على حقوق عموم الطوائف بدون تحيّز لأي كان[2]. كما وجّه الشيعة في قرية السكسكية (صيدا) في ١١ تموز ١٩١٩، برقية الى جورج بيكو يطلبون الحاقهم «بلبنان الكبير انسجاماً مع قرار المجلس الإداري ومع مساعدة فرنسا». وتقدّمت قرى البيسارية (صيدا) ودير القمر وبلدية جزّين بالمطالبة ذاتها. وكانت جزين قد تقدّمت في ٣ كانون الأول ١٩١٨، بعريضة باسم «مقدمو أهالي قصبة جزين...» لجانب هيئة مؤتمر الصلح العمومي المعظّمة وبملء الرضى طالبت هذه العريضة توسيع نطاقَ الجبل الى حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة وإعادة ما أخذ عنه عنوة من السهول والموانىء... وأن تكون تحت إدارة الحكومة الفرنسية مباشرة»[3].

وفي ١ كانون الثاني ١٩١٩، قدم مقدمو أهالي قضاء جزين من جبل لبنان «عريضة كبيرة» لجانب هيئة مؤتمر الصلح العمومية المعظّمة، تحمل النص الذي تقدّم به مقدمو أهالي قصبة جزين. وطالما أنّنا نتحدّث على موقف جزين من لبنان الكبير، من المفيد أن نشير الى أن بعض سكان البلدة بعث برسالة الى المفوّض السامي

١ ــ هناك عريضة بدون تاريخ من مرجعيون تطالب بالاستقلال السوري تحت حماية فرنسا، راجع:
- Arch. fr. Ibid. N° 126.
٢ ــ Ibid. Ann. N° 109.
٣ ــ Arch. fr. Ibid, Annexe N° 141.

جورج بيكو، في ٦ كانون الثاني ١٩١٩، يحتجون فيها على قيام بعض الأشخاص، مدّعين تمثيل الشعب، بالمطالبة باستقلال لبنان وقاموا بتوقيع عرائض. بهذا المعنى، لذلك جئنا بعرائضنا «نطالب بأن نكون محكومين مباشرة من قبل فرنسا اذ ليس من كلمة تخيفنا مثل كلمة استقلال». وبعد انعقاد مؤتمر الصلح كان «سكّان قضاء صور من شيعيين ونصارى» قد تقدّموا بعريضة مشتركة الى مجلس الأربعة ومؤتمر السلام، طولها أكثر من أربعة أمتار وتحمل تواقيع عديدة، وتضمّنت خمسة بنود أو أسانيد لمطالبتهم «بالانضمام الى لبنان فراراً من خطر الصهيونية، فلا نريد أبداً أن نلحق بفلسطين»، وتقول العريضة: «ان الشيعيين منّا هم من قوم تفرّقوا في صور وصيدا ومرجعيون وفي انحاء لبنان... فبحقّ يريدون الانضمام الى قومهم... وإن النصارى منّا هم من أصل لبناني أتى اجدادهم قديماً من شماله الى جنوبيه... فيريدون الانضمام اليهم... إن لبنان وبيروت مدينته هي سوقنا التجاري منذ القدم... فنريد صوناً لاقتصادياتنا أن نضم لاخواننا في الشمال... إنّنا ولبنان واحد في القومية والمذهب والعوائد والأخلاق فبحق يطلب كل فريق منّا الانضمام الى قومه...»(١).

كما قدّم الموارنة والكاثوليك والأرثوذكس والشيعة في قضاء صور عريضة اخرى تطالب بلبنان الكبير. وطول هذه العريضة أكثر من خمسة أمتار(٢).

هذا بالنسبة للعرائض التي قدّمتها بعض المناطق المطالبة بضمّها الى لبنان الكبير. أما مناطق جبل لبنان فمعروف موقفها من استقلال لبنان في حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة مع المساعدة الفرنسية. فهي تؤيّد مضمون القرار الذي صدر من مجلس الإدارة في ١٩ أيّار ١٩١٩ كذلك فعلت قرى وقصبات زغرتا، اهدن، كفرصفاب، كفرحوره، داريا، احنون، كفرشخنا، كفرذبيان، كفرياشيت، عرجس، ارده، رشعين، عشاش، كل هذه القرى، وهي مسيحية عامة ومارونية خاصّة، رفعت «لمعالي دول الاتفاق العظام»

١ — راجع توكيل الشيعة باسم كامل بك الأسعد للمطران عبد الله الخوري للمفاوضة باسمهم في مؤتمر الصلح وضمّهم الى لبنان الكبير في:

- Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 1.
- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 25, 25 bis.

٢ —

نصاً واحداً يطالب بتوسيع نطاق جبل لبنان وفق الحدود الطبيعيّة والحماية الفرنسية(١).

وكان المفوّض السامي، جورج بيكو، قد أرسل من بيروت، في ١٠ شباط ١٩١٩، رسالة الى وزير الخارجية، ضمّنها ٧٩ عريضة تؤكّد على قرار مجلس الإدارة الصادر في ٩ كانون الأول ١٩١٨، والقاضي بإرسال وفد ثان الى مؤتمر الصلح للمطالبة باستقلال لبنان وتوسيعه الى حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة مع ضمانة ومساعدة فرنسا(٢).

وكان من بين هذه العرائض ٣٦ عريضة من قضاء الشوف، ٢٧ عريضة من الكورة، ١٥ عريضة من قضاء المتن، وعريضة واحدة من اقليم الخروب (الشوف) وكان لهذه الأخيرة ولعرائض الكورة وقع خاص دفع بيكو الى لفت النظر من جهة الى أهمية العريضة الأخيرة التي تحوي أكثر من ألفي توقيع لسكّان قرى الإقليم. بمجملهم مسلمون، ومن جهة أخرى الى عرائض قضاء الكورة بأغلبيّتهم روم أرثوذكس. إن عداء موقف الأرثوذكس لفرنسا معروف شأنه في ذلك شأن الموقف السنّي. وقد تختلف حدّة العداء بين لبنان وسوريا. ومن هنا كان موقف الأرثوذكس القلائل المؤيّدين لسياستها. في الكورة. هذه القلّة عادت وحرّكتها فرنسا في ١٥ تموز ١٩١٩، بعد أن استمعت لجنة الاستفتاء الأميركية الى مطران الروم الأرثوذكس في طرابلس وبعض وجهاء الطائفة كممثّلين لرأي الطائفة كلّها في لبنان الشمالي. وعلى أثر ذلك قدم هؤلاء برقية احتجاج الى مجلس إدارة جبل لبنان على عدم سماع اللجنة الأميركية لآرائهم في الوقت الذي سمعت فيه اللجنة أصوات اخواننا باقي الطوائف اللبنانية». وكان موقعو العريضة ينوون المطالبة باستقلال «لبنان الكبير بحدوده التاريخية والجغرافية جمهورية منفصلة عن سوريا بمساعدة دولة فرنسا العظمى «كما قال موقعو البرقية: «إنّنا نكذّب تكذيباً قطعياً كل من وقف أمام اللجنة وتكلّم باسمنا خلاف مطالبنا هذه سواء كان سيادة مطراننا بطرابلس أو خلافه»(٣). هذه البرقية التي تحمل حوالي ثلاثين اسماً لا تبدو معبّرة عن رأي ثلاثين ألفاً كما ادّعت. فالأغلبية الأرثوذكسية مثّلها موقف مطرانها في

١ — ارشيف تايخ لبنان، المرجع السابق، ص/ ٧٣—٧٤/.

٢ — Arch. fr. op. cit., N° 19.

٣ — راجع موقف الأرثوذكس في:

Arch. fr. Ibid., voir aussi Ann. N° 17.

طرابلس والمنسجم مع موقف البطريرك غريغوريوس حدّاد في دمشق، الموالي للحكم العربي والنفوذ البريطاني.

والحدث المهمّ الذي يستوقفنا في تحليل مضامين هذه العرائض، هي اقتصارها، بالدرجة الأولى على المسيحيين عامة والكاثوليك والموارنة خاصة. وبالدرجة الثانية على الشيعة وخلو هذه العرائض من التوقيع السنّي، فقلّما وقعنا على عريضة لسنّة صيدا أو صور أو بيروت أو طرابلس أو الأقضية الأربعة[1]. حتى العلويون (الاسماعيليّون) طالبوا لجنة الاستفتاء الأميركية، في ١٦/ ٨/ ١٩١٩، باسم «... طائفة العلوية (الاسماعيلية) القاطنين ناحيتّي الحوابي والقدموس من قضاء المرقب في الغربية البالغة من النفوس ستة آلاف والذين هم مضطهدون منذ قرون طويلة من قبل المسلمين... جئنا بعريضتنا هذه نطالب بها ما يأتي:

١ ـــ ضم بلادنا الى لبنان الكبير بحدوده الطبيعيّة والتاريخية.

٢ ـــ وضعه تحت حماية فرنسا الدولة المحسنة ولا سيا للطوائف الضعيفة.

وكان سبق لأهالي قضاء صافيتا أن قدّموا عريضة الى جورج بيكو. في ١٧ تموز ١٩١٩، طالبوا فيها «بإلحاقهم بلبنان الكبير مع حدوده الطبيعيّة والتاريخيّة. كما قدّمت أقضية المرقب وجبلة وصهيون ونواحي اللاّذقية عرائض طالبوا فيها بإلحاقهم بلبنان الكبير بحدوده التاريخية والطبيعيّة... والوصاية الفرنسية[2].

ثانياً: الرأي العام السنّي والمسألة السورية:

إن كان الموارنة يشكّلون القوة الرئيسيّة في البنيان اللبناني فإن السنّة قد شكّلوا، أقلّه في حقبة اعلان لبنان الكبير، نواة الموقف الإسلامي الرافض لهذا الكيان. وأهميّتهم تنبع ليس فقط من الأكثرية العددية بين الطوائف الإسلامية التي تأمّنت لهم في ذلك الحين بعد ضمّ مناطق جديدة على جبل لبنان بل من التماسك المعنوي في موقفهم

١ ـــ راجع الفرق في المواقف بين خطب عمر الداعوق وانطوان عرب وبيار طراد وعبد القادر الدنا في استقبال الجنرال غورو في ٢١ و٢٢/ ١١/ ١٩١٩، في:

- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 65, 66, 67, 68 et 69.

٢ ـــ Georges Karam, op. cit., p. 79 et suite.

ومن المحاولات التاريخية لمعارضة الكيان اللبناني المستقل. خلافاً لباقي الطوائف الإسلامية التي تراوحت مواقفها عبر التاريخ بين الميل الى الاستقلال... والإنفصال عن الدّاخل الذي كان يضطهدها وبين الشعور على الرغم من ذلك بوحدة دينية تشدّها الى الأكثرية الإسلامية. نرى أن السنّة حافظوا مدّة وجودهم في لبنان على رفض استقلاليته عن الكيانات الإسلامية التي تعاقبت حوله. فالإرتباط السنّي بعيد الجذور في كل من مراكز النفوذ الأموي، والعبّاسي، الى المملوكي والتركي بين مصر وسوريا واسطنبول. فبينما انسلخ الموارنة عن الأكثرية المحيطة بهم والطامحة الى القضاء على تمايزهم بدافع ايديولوجية اجتماعية قومية دينية مادية استقلالية محدّدة المعالم، نرى السنّة يؤمّنون لبنان في البدء كقبائل عربية وظيفتها عرقلة الاتصال الماروني ـــ الغربي البيزنطي من الثغور اللبنانية، والتواجد السكّاني في أراض جديدة[1]، يسهل ضمّها على التوالي الى الإسلام في المجالين الديني والسياسي. ومع استمرار المدّ الإسلامي منذ الأمويّين حتّى الأتراك الى المنطقة التي تسمّت بالعربية مؤخّراً. تطوّرت تلك الأيديولوجية وتركّزت في طابعها العملي على مناطق تواجدها ممّا جعلها تتناقض مع مقوّمات الوجود الماروني الأساسية في جبل لبنان ومحيطه. ولئن حضر مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا الاحتفال بإعلان دولة لبنان الكبير مع بعض الشخصيّات السنيّة مقابلاً بذلك الوجود الماروني ممثّلاً بالبطريرك الحويك، ولئن تعاونت بعض العائلات السنيّة القليلة مثل عائلة الجسر مع سلطات الانتداب فإن ذلك لا يعني أبداً بأن السنّة قد اقتنعوا بالهوية اللبنانية كما رآها الاستقلاليّون الموارنة[2]. فنحن، كما يقول المطران خوري «أهل الوطن ونعلم جيداً أكثر ممّن هم فيه منذ الأمس... انه الوقت الأنسب لتمكين لبنان من مستقبل مضمون واتمام العمل الإنساني الذي لم تتوقّف فرنسا عن تتبّعه في سبيل لبنان»[3].

١ ـــ كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، بيروت ١٩٧١، ص/ ٤٧/.

٢ ـــ راجع بعض المواقف السنيّة في الوثائق:

- Arch. fr. op. cit., Annexe N° 124, 135, 144.

ـــ وراجع برقية رياض بك الصلح في صيدا الى فيصل يقول فيها: «ان آمال الأمة معلّقة على سموكم وهي تفديكم بأرواحها ودمائها واني اتطوّع منذ الآن بصفة جندي بسيط»، جريدة الكنانة (من محفوظات البطريركية المارونية) عدد ٨ أيار ١٩١٩.

٣ ـــ Arch. du Patr. Mar. Annexe N° 40 (p. 10 - 11).

لا بدّ من الرجوع هنا الى تاريخ الوجود السنّي في لبنان لندرك أبعاد الهوية التي كانوا يطمحون اليها ولم يستطيعوا تحقيقها في لبنان الكبير ممّا جعلهم يرفضون وجوده والاشتراك بتحمّل مسؤوليّاته ومقاطعته على مختلف الصعد.

لقد انوجد السنيّون أصلاً في لبنان لتحقيق أهداف معيّنة. ما أن انتهى معاوية من صراعه مع علي حتّى تفرّغ لمواجهة البيزنطيين في البحر فارسل بني وائل الى جبل عامل ليوجد توازناً اسلامياً — مسيحياً. ولم يعاد الأمويون المسيحيين بل حاولوا الاستعانة بهم للقضاء على السيطرة البيزنطية البحرية ولكن دون جدوى. كما وأنهم لم يسيطروا على الجبل «فالعرب الذين كانوا يعيشون في السهول والصحاري الحارّة كانوا يجهلون الجبل... أحاطوا به... ونادراً ما أخضعوه لنفوذهم... وكانت جبال الساحل المتوسطي، لبنان، وجبال العلويين وجبال البربر في الجزائر طوال العهد العربي، تشكّل حاجزاً منيعاً في وجه البداوة، وأحياناً في وجه العروبة... أو الإسلام أيضاً... وكان ابن خلدون لاحظ أن الأعراب (البدو) لا يستطيعون فرض نفوذهم إلّا في بلاد السهول»[1]، لكن ما عجز عنه الأمويون أو لم يحاولوا تحقيقه من السيطرة على مسيحيي لبنان فإن العبّاسيّين قد عمدوا الى إنجازه في تحقير المسيحيين. ولمواجهة غارات سكّان جبل لبنان والبيزنطيين نقل الخليفة المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥) الى الشاطئ اللبناني قبائل عربية من منطقة حلب. وكانت أبرز هذه القبائل قبيلة التنّوخيين، التي نزلت في منطقة الغرب على المرتفعات المجاورة لبيروت.

ونلاحظ أن الاختلاط الذي تمّ في الجبل بين الموارنة والشيعة والدروز لم يتمّ مثله مع السنّة إذ انحصر الوجود السنّي على السّاحل اللبناني.

وممّا لا ريب فيه أن القبائل العربية التي جيء بها لمهمّة المراقبة والتصدّي، استسْهلت احتلال السّاحل واستثماره زراعياً وتجارياً بدل احتلال جبل لبنان ذي الطبيعة العاصية بشرياً وزراعياً. كلّ هذه العوامل مجتمعة أدّت الى التواجد السنّي في المنبسطات، فتغيّرت نسبة التوازن السكّاني بين الطوائف حين ضمّت الى لبنان المناطق التي اغتصبتها السلطنة العثمانية عام ١٨٦٠ كولايات تتبع الحكم العثماني.

١ — ترجمة جواد بولس في لبنان والبلدان المجاورة، ص/ ٢٨٨/.

هكذا فإن النظرة الى لبنان كانت تختلف بين الموارنة والسنّة أولئك يرون فيه وطناً قومياً يجمعهم وعدّة أقليات هاربة من الطغيان في الشرق وراجية مناخاً من الحرية والاطمئنان وهؤلاء يعملون منذ أن حلّوا فيه على اتباعه لأي كيان اسلامي شامل حوله.

ولئن قام «العبّاسيون والفاطميّون والأيوبيّون والمماليك ببناء الحصون على طول السّاحل وأسكنوا المزيد من الأسر الإسلامية في المناطق المجاورة للحؤول دون تعاون الموارنة مع القوّات الأجنبية»[1]. فمن الطبيعي أن يرفض أحفاد هذه الأسر وورثتها اقامة كيان مستقل في لبنان بحماية فرنسية ولا يشكّلون هم الأكثرية فيه. هذا ما تمّ بالفعل وما نلمسه من عرائض الإحتجاج على إنشاء لبنان الكبير ومن المقاطعة السنية له ومن الحلّ الذي وجد أخيراً بحذف الهوية اللبنانية من تذاكر هؤلاء المعترضين[2]، على هذا التناقض قام الكيان اللبناني سنة ١٩٢٠ ممّا جعله عرضة لهزّات كيانية تعصف به كلّما تضاربت مصالح طائفتيه الرئيسيتين ولم تفلح حتّى الآن الحياة المشتركة ولا جهود المنظرين الموحدة ولا دروس الفتن الماضية أن تجمع الشمل وتبني قومية واحدة في لبنان واحد. ولسنا في لبنان أول دولة تبحث عن وحدة الشعب بعد وحدة الأرض. أيّام توحيد إيطاليا عام ١٨٧٩ قال كافور «لقد وحّدنا إيطاليا ويبقى علينا الآن أن نوحّد الإيطاليين». إن هذا ما نأمله الآن في لبنان ونرجو أن يكون ممكناً، ضمن التحوّلات النسبية والمعادلات الطائفية وانحسار الضغوطات المجاورة المعروفة.

إن تعاقب الفاتحين المسلمين من أصول آسيوية (أتراك سلاجقة، أكراد، ايوبيون، مماليك، أتراك شراكسة، أتراك عثمانيّون) ساعد المسلمين السنّة في لبنان وجواره على الحصول على مكاسب في النفوذ السياسي والاقتصادي، بفضل انتمائهم للعقيدة الدينية ذاتها التي ينتمي اليها هؤلاء «فكانوا يفاخرون المواطنين الآخرين من غير السنّة بالشرف والمرتبة»[3].

ومع انتهاء الحرب برزت أمام فرنسا حقيقة واضحة وهي، دخول بريطانيا طرفاً أساسياً في ازكاء روح التصارع الدولي على هذه المنطقة فقلبت المقاييس السابقة، مما

١ — Palmhol, les fondements géographiques de l'histoire de l'islam p. 41 - 43.

٢ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 135, 124.

٣ — جواد بولس، لبنان والبلدان المجاورة، ص/ ٢٧٩/.

أجبر فرنسا على تغيير تصوّراتها السابقة الملخّصة بثلاث : ابقاء سوريا تحت السلطة التركية أو استقلالها التام أو وضعها تحت السيادة الفرنسة . وتحريكاً منها لأحاسيس السوريين وتصوير المصير المشترك بين سوريا وفرنسا عمدت هذه الأخيرة بأن مصير سوريا ترسمه السياسة الفرنسية وأن سوريا الطبيعيّة لم تكن راسخة بعد في ذهن الفرنسيين الذين شكّكوا بولاء السوريين الأرثوذكس لفرنسا [١] .

واقتنعت أن المسلمين السوريين يتجهون صوب بريطانيا التي كالت لهم الوعود بإنشاء امبراطورية عربية تحت حمايتها وهذا الانقسام في تشيّع الطوائف السورية كل الى دولة [٢] جعل من الصعب قيام الدولة الواحدة وهذا أصل مشاكلنا وضعفها . وقد صرّح ندره مطران بقوله : « ستبقى السماوات والجحيم تتطاحن على أرض سوريا [٣] » .

ونحن نزيد على القائلين بأن فكرة القومية السورية خلقتها فرنسا [٤] . والحقّ يقال بأن

١ — راجع برقية الأميرال كسّار الى وزارة البحرية بباريس يقول فيها : « الأرثوذكس في سوريا ضدّ فرنسا وأرثوذكس بيروت مع فرنسا » .
- Arch. fr. des aff. op. cit., Ann. N° 17.

٢ — وجّه المغتربون اللبنانيون في المكسيك بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ ، إلى المسيو بيشون رسالة يخبرون عن لجوء بعض اللبنانيين إلى حماية المانيا ، لعدم استقبال سفير فرنسا السابق لهم وأن بعض اللبنانيين يطالبون بالحماية الفرنسية ، والسوريون بالحماية البريطانية أو الولايات المتحد راجع :
- Arch. fr. op. cit., Ann. N° 15.

٣ — Moutran, Nadra: La Syrie de demain. 3ème édition, 1916, p. 309.

٤ — في بيان لجمعية الاستقلال السوري المركزية جاء توضيح لهذه الفكرة التي حسب رأينا كانت وبقيت مجرّد نظريات غير قابلة للتطبيق وهي تعبّر عن مثالية لم يشهد الواقع السياسي في سوريا وجوارها تحقيقاً لها ولا سيّما في النقاط الأساسية التي تطرق اليها البيان الآنف الذكر الذي قال « أعتقد كل الاعتقاد أيّها السوري الوطني أن اللجنة (الأميركية) تنوب عن أعظم رجال العالم اليوم الممثّلين لأضخم الدول وأشرف الغايات فإيرلندو مشهور بحبّ حرية البشر ولويد جورج صديق العرب وكليمانسو رجل فرنسا الحرّ المحارب لمبدأ الاستعمار وويلسون رجل أميركا وصديق الشعوب الصغيرة ومحرّر الإنسانية من مبادىء انهكتها طويلاً ... أعلن لها أن (المسلم أخو المسيحي والاسرائيلي في الوطنية) وأن (الدين لله والوطن لأبنائه) ... وإذا كنت أيها السوري من جانب الأقليّة في البلاد وتوجس خيفة من أخيك الأكثر عدواً فهذا أمر أوضحه الأمير (فيصل) بقوله (يجب أن تعطى الأقلية أكثر من حقها) فكل شيء في هذه البلاد إنّما يكون بالأهلية والكفاءة لا بالنفوذ والجاه والثراء ولا بالدين والمذهب والطائفة ... وإذا كنت أيّها السوريّ من جانب الأكثرية فيجب عليك أن لا تنظر لنفسك بغير الصورة التي تنظر إلى كونك (سوريًّا) عربياً تطلب الاستقلال ... واعلم أنك ستنال ما تبتغي مع اخوانك بفضل التعاضد والتمسّك بالمبادئ الوطنية المحضة » .
- Arch. fr. op. cit., Ann. N° 149.

المسيحيين في الولايات السورية « سوريا ولبنان وفلسطين هم الذين أوجدوا القومية السورية وناضلوا لقيام الدولة الموحّدة منفصلة عن الأمبراطورية العثمانية . أما ارتباط هؤلاء المثقّفين بفرنسا فيرجع الى تأثّرهم بالثقافة الفرنسية لأن معظمهم تخرّج من المعاهد والجامعات الفرنسيّة وقد اعترفت فرنسا بمنزلتها الخاصّة المميّزة في سوريا عند الطوائف الكاثوليكيّة دون الأرثوذكس .

بينما قليل من السوريين المسلمين اقتنعوا ببريطانيا ، أما الغالبية الإسلامية فكانت لا تزال على ولائها للسلطنة العثمانية .

وهكذا شهد عام ١٩١٧ تغييراً في السياسة الفرنسية تجاه الوحدة السورية لتصهر شعبها في بوتقة القومية السورية اعتماداً على البعد القومي .

وقد ظلّ الهدف الاستعماري المحرّك الأساسي والوحيد لسياسة فرنسا في سوريا ، وهنا نذكر ما كتبته جريدة Le Temps في ٣١ أيّار ١٩١٢ : « أخطأنا في سوريا [١] » أشارت فيه الى ضرورة إعادة النظر في سياسة فرنسا الإسلامية وتحثّها لاستخدام طاقاتها من أجل تشديد الروابط التي تشدّها الى المضارب لتحسين وجه فرنسا لدى المسلمين السوريين كي تقيم التوازن البحري في المتوسط لتهدئة أوضاع مستعمراتها الأفريقية ولتركيز اقدامها في سوريا وشمالي افريقيا لتتمكن من رعاية مصالحها في كليهما [٢] . لأن ما يربط المنطقتين هو الرباط الديني الاسلامي . ألم تعتبر دمشق احدى المراكز الإسلامية الرئيسيّة كالكعبة ومكّة والمدينة ...؟ وإن سوريا المسيحية قبل الإسلام تغيّر طابعها عندما دخلت في عهدة الإسلام منذ القرن الأول الهجري وعاشت حياة العرب والإسلام لغة وتفكيراً وديناً وعادات ، وغدت دمشق إحدى مراكز الحضارة الإسلامية

١ — Le temps, N° 18505 du 31 Mai 1912. p. 1.

١ — جاء في مقال بعنوان فرنسا في الشرق وسوريا المسلمة كتبه G. Saint-Yves عرض للأوضاع الديمغرافية والجغرافية لسوريا ، واقتراحات بتقسيم المنطقة وفق المجموعات العرقية والطائفية : لبنان مسيحي ، دمشق مع الدروز ضمن دولة مسلمة ، وطرابلس مع النصيريين ضمن دولة مسلمة :
- Le temps, 13 Septembre 1919.

الهامة وغطّى اشعاعها الثقافي والديني جميع الأقطار الإسلامية ومن هذا فقد سلطت عليها أضواء الباحثين والمستعمرين الأوروبيين[١].

وفي القرن التاسع العشر برز التهافت الأوروبي لاستعمار الاقطار العثمانية وما يعرف «بتركة الرجل المريض». فكان التسابق البريطاني الفرنسي بشكل رئيسي لخلق التوازن الأوروبي في بلاد المشرق، وسعت كل من الدولتين الى تثبيت وجودها ورعاية مصالحها وإضافة مستعمرات ومناطق نفوذ لها في البلاد السورية للسيطرة على ثرواتها ومركزها الاستراتيجي. وفي هذا المجال نذكر ما كتبته جريدة المقطّم في عددها الصادر يوم ١٧ أيار ١٩١٥ بعنوان «لمن سوريا؟» وتساءلت الجريدة عمّا إذا كان سيأتي يوم تسمع فيه أن للبابا مطامع في سوريا[٢].

قصدنا في هذا الكلام أن نظهر ما تمثّله سوريا من أهمية استراتيجيّة واقتصاديّة وسياسية لدى الدول العظمى. وتفوّق الاهتمام البريطاني — الفرنسي الذي طغى على الجميع. فالإهتمام الفرنسي بسوريا أصبح محور السياسة الفرنسية واستراتيجيّتها في المتوسّط كطريق لنشر الثقافة والحضارة الفرنسيّة على شطآنه لأن امتداد السّاحل الشرقي للمتوسّط عرفه الغرب عن الرومان: «بالشّاطىء السوري». فسوريا بنظرهم بناء ذو واجهتين احداهما غربية والثانية شرقية فتلتقي تحت سقفه معالم الحضارة الغربية وروح الشرق ومن على شرفته يمكن مراقبة جميع السفن الحربية والتجارية التي تجوب المتوسط.

---

١ — نقل كمال جنبلاط عن محاضرة ألقاها الأب لامنس سنة ١٩١٩، رأياً مخالفاً للسّابق «حذار من تقسيم سوريا»، وكان يلمّح بذلك الى الفرنسيين رالإنكليز... أوتريدون سوريا؟ حسناً فليأخذها أحدكم» (كمال جنبلاط، هذه وصيتي، بيروت ١٩٧٨).

٢ — جريدة المقطم، العدد المذكور سابقاً.

وبذلك اشارة الى مدى الاهتمام التاريخي لمركز البابوية بلبنان والموارنة بنوع خاص،

— راجع دور المدرسة البابوية واهتمامها بشؤون لبنان وسورية في:

- Arch. du patr. mar. op. cit., Ann. N° 34.

ثالثاً: «الوفد الرابع»: معارضة أم تدخّل خارجي؟

في الوقت الذي كان فيه الوفد الثالث يتابع في باريس مساعيه المضنية، ويصادف العراقيل والطروحات المتباينة والمجحفة أحياناً، وتجاه السياسة المتردّدة التي كانت تنتهجها فرنسا في مؤتمر الصلح بما يتعلّق بلبنان وأمام التفرّغ الذي أفردته للحكم المباشر في لبنان وتدخل موظفيها وعسكرييها بكل الأمور الدّاخلية، تململ اللبنانيّون وتضايقوا من خرق روح استقلالهم، وتحرّكت حفيظة من كان منهم على علاقة بفيصل، فحاولوا استمالة بعض أعضاء مجلس الإدارة لوضع مذكّرة مشتركة مع سوريا يتوجّهون بها الى المؤتمر، ممّا سمح لنا بتسمية هؤلاء بالوفد الرابع. ويقول الدكتور زين زين في هذا الخصوص:

«يحسن بنا أن نشير الى حادث خطير ذي مغزى، وقع في لبنان بين العاشر والثاني عشر من تموز (١٩٢٠)، ولم يقتصر هذا الحادث على اغضاب الجنرال غورو واثارته، بل ربما كان له أثر في اتخاذ القرار لاحتلال سوريا وانهاء الحكم الفيصلي في أقصر مدّة ممكنة».

لقد شكا اللبنانيّون من حكم الفرنسيين المباشر لبلادهم، وراحوا يرفعون الاحتجاجات الى الجنرال غورو مطالبين باستخدام اللبنانيين في الإدارة المدنية في البلاد. غير أنّهم لم يتلقّوا أجوبة مرضية عن مطالبهم. وظلّت الروح العسكرية متغلّبة في دوائر الحكومة اللبنانية. جاء في القرار الذي بعث به الكولونيل مينرتساغن Meinertzhagen في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠، إلى اللورد Curson والموسوم بـ «الأحداث الأخيرة في سوريا»، أن الإدارة الفرنسية في لبنان تسبب قلقاً واستنكاراً شديدين وذلك لسيطرة الإدارة الفرنسية على الإدارة اللبنانية سيطرة مباشرة ممّا يمنعها من ممارسة استقلالها الذي كانت تنعم به أثناء العهد السّابق. «ولذا» اجتمع بعض أعضاء مجلس الإدارة اللبناني سراً في منزل نجيب الأصفر في بيروت في ١٠ تموز ١٩٢٠، ووضعوا مضبطة يطالبون فيها باستقلال لبنان التام الناجز وبالسيادة الكاملة، متجاهلين قرار المجلس السابق الذي اتخذ في شهر أيار ١٩١٩، الذي طالب فيه بوضع لبنان تحت الحماية الفرنسية. وكذلك القرار المتخذ في ٢٨ شباط ١٩٢٠، الذي بموجبه كلّف الوفد اللبناني الثالث رسمياً بتمثيله لدى مؤتمر السلام. وأهم بنود تلك المضبطة كان:

١ — استقلال لبنان التام المطلق.

٢ — حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب، ويكون بمعزل عن كل تدخّل حربي.

٣ — اعادة المسلوخ منه سابقاً بموجب اتفاق يتم بينه وبين حكومة سوريا.

٤ — المسائل الاقتصادية يجري درسها وتقرّر بواسطة لجنة مؤلّفة من الطرفين وتنفّذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا.

٥ — يتعاون الفريقان في السعي لدى الدول للتصديق على هذه البنود الأربعة وضمان أحكامها.

وفي الختام قرّر المجتمعون الانتقال والتوجّه بالذّات لملاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بيانها في المحال المقتضاة والمراجع الإيجابية وابلاغ هذا القرار برمّته الى المقامات الرسميّة ونشره بالطرق الممكنة على الأمّة اللبنانية.

وصوّت الى جانب هذه البنود ثمانية من أعضاء مجلس الإدارة وهم: سعد الله الحويك، خليل عقل شديد، سليمان كنعان، محمود جنبلاط، فؤاد عبد الملك، الياس الشويري، محمد الحاج محسن. وتوجّه الجميع بعد ظهر ذلك اليوم الى دمشق للإنضمام الى الوفد السوري الذي كانوا يعتقدون أنه يستعدّ للتوجّه الى أوروبا.

لكن الرحلة الى دمشق فشلت، لأن الفرنسيين اطّلعوا على خفاياهم، وسرعان ما ألقي القبض عليهم قبل أن يغادروا حدود لبنان الى دمشق. وكتب غورو بتاريخ ١٢ تموز ١٩٢٠ أنه في مساء العاشر من تموّز تمكّنا من توقيف ثمانية من اعضاء المجلس الإداري بواسطة مخفر عين صوفر[١].

فما هي الدوافع الحقيقية لحركة مجلس الإدارة؟ وما هي النتيجة التي يتوخّاها من خلال المضبطة التي وضعها بالإشتراك مع السوريين؟ أليس الموقعون هم مزيج من التوجّهين اللبناني — السوري المرحلي الأهداف المبطّنة بالنسبة للفريق السوري؟ وهل كان الفريق اللبناني يثق بحسن نوايا الفريق السوري لجهة تحقيق الاتفاق فيما يخصّ المناطق المسلوخة والمسائل الاقتصادية؟ وإلى أيّ حدّ يمثّل هؤلاء الموقّعون دون رفاقهم الرأي العام اللبناني؟ لاسيّما وأن الوفد اللبناني الثالث ما يزال يواصل مهمّته الرسمية التي لم

١ — Arch. fr. des aff. étr. op. cit. Ann. N° 113.

يعلن أي مرجع في لبنان وفي فرنسا عن انتهائها أو فشلها، بل كان في صميم إنجازها؟[١]. هل كان هؤلاء الأعضاء يضمنون الاستقلال المطلق عن مشروع فيصل؟ وما الذي يكفل عدم استفراد لبنان إذا ما تخلّى عن الحماية المحتاج إليها من فرنسا كما أثبتت التجارب السابقة؟

وفي ١٢ تموز بعث الجنرال غورو برسالة لم تخل من الأسف والتحفّظ الى البطريرك الماروني اتهم فيها ثمانية من اعضاء المجلس الإداري بأنّهم بيعوا بدراهم فيصل، إذ أنه علم منذ أيّام أن الأمير كان قد بعث الى بيروت مبلغاً من المال قدره أربعون ألف ليرة لشراء بعض اللبنانيين»... «ويزعم غورو في الرسالة بأن الموقوفين الثمانية قد اعترفوا بأنّهم قبضوا سلفة مسبقة قدرها ١٥٠٠ ليرة ذهبية... وهذا يعتبر خيانة»... وتابع الجنرال كلامه ليقول انه «آسف أنْ يكون بين الموقوفين أخو البطريرك: سعدالله... فهذا الحادث بما سيكون له من ذيول وخيمة في فرنسا وفي أوروبا، يقتضي فوراً الفصل بين المصالح الحقيقية للبنان ومصالح أولئك الذين يريدون بيعه للغير، لأنّه ليس من العدل بشيء أن يلوّث بعض أبناء لبنان شرف البلاد بأسرها»[٢]. واقترح الجنرال غورو على غبطة البطريرك أن يبعث شخصياً ببرقية الى المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسية، على غرار البرقية التي بعث بها اليه سيادة المطران مبارك رئيس أساقفة بيروت للطائفة المارونية، والتي تعبّر عن ولاء الموارنة وأساقفتهم لفرنسا ويستنكرون العمل الأرعن[٣].

وجاء ردّ البطريرك على غورو في ١٤ تموز ١٩٢٠، مستنكراً تصرّف بعض اعضاء مجلس الإدارة، «فاللبنانيون يثقون بفرنسا، ويتمسّكون باستقلالهم تحت الانتداب الفرنسي»، وداعياً، إيّاه لأن يتصرّف «بحكمة لوضع حدّ لهذه الفضيحة التي يحاول البعض استغلالها في الوقت الذي نحن بحاجة الى أن نجتمع حولكم للعمل لخير البلاد واعلاء مآثر فرنسا[٤]. كما أنه كتب الى المطران خوري عن استيائه من هذه الحادثة وما

١ — أظهر «الاتحاد اللبناني» في مصر تعاطفاً مع قضية مجلس الإدارة واحتجّ على تصرّف الفرنسيين المجحف بحقّ اعضائه. راجع يوسف السودا، في سبيل الاستقلال، المرجع السابق، ص/ ٢٦٣ و٢٦٥/.

٢ — حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٦٣٧ — ٦٣٨/.

٣ — زين زين، المرجع السابق، ص/ ١٦٧ و٢٠٩/ رقم ٣٠.

٤ — حرفوش، المرجع السابق، ص/ ٦٣٩/.

طرأ من أحداث وقال : «تفاوضنا مع المسيو ترابو ملياً بشأن بيروت وطرابلس وكلّفناه أن يراجع كلامنا لسعادة الجنرال غورو وقد ألححنا عليه كثيراً بهذا الشأن وقلنا له أنّنا لا نطيق مطلقاً التخلّي عن بيروت وأن عدم ضمّها إلى لبنان مع طرابلس يكون اجحافاً عظيماً ... فوجئنا بخبر توقيف بعض اعضاء مجلس الإدارة وتكونون قد وقفتم على واقع الحال من البرقيات والصحف ، وأمّا نحن فقد كان لعمل هؤلاء أسوأ وقع في نفسنا وقد تكدّرنا جداً و بادرنا فحرّرنا لسعادة الجنرال غورو مبدين له عن شدّة استيائنا من العمل وأرسلنا برقية إلى المسيو ميلران قبّحنا بها عمل الأعضاء واحتجّينا عليه وأوعزنا الى الشعب فأرسل برقيّات الإحتجاج وهي لا تزال ترد على سعادة الجنرال كما تفيد الصحف وكان أن الجنرال أنفذ إلينا المسيو ترابو مع تحرير منه يفيدنا تفاصيل الحادثة ... ولنا الإعتقاد أن الله الذي يحوّل كل شيء لخير محبّيه سيجعل بقدرته الضابطة الكلّ أن تؤول هذه الحادثة لخيرنا وخير بلادنا العزيزة»[1] ولا شكّ فإن لوجود سعدالله الحويك أخي البطريرك بين أسماء «الوفد» مبعثاً للحرج على صعيد الدور البطريركي الذي بدأه البطريرك الحويك نفسه أمام المحافل العالمية . وأعرب القسّ بولس عبّود في رسالته الى المطران بطرس الفغالي عن ردّة فعل البطريرك تجاه حركة مجلس الإدارة وقال : «أتت أخبار مكدّرة جداً عن الوطن العزيز ... أعني بيع لبنان بيع السلع ولكن الحمد لله لم يبلغ المراودون غايتهم والمهمّ في ذلك هو أنّه لمّا درجت جرائد أوروبا خبر احتجاج غبطته أيّده الله على عمل بعض أعضاء مجلس ادارة لبنان وأظهر تعلّقه في حكومة الجمهوريّة وإخلاصه وإخلاص شعبه لها أخذ القوم هنا يتساءلون ما معنى ذلك ولماذا يخرج البطريرك من دائرة الإعتزال والمحايدة و و ... ولكن لمّا وردت أخبار الخيانة ومن جملة المشتكى عليهم سعدالله بك وصهره وولده ، حينئذ لقوا عذراً لذلك الإحتجاج وخفّفوا من حدّة لومهم ، وعندي أنّهم لاموا نفوسهم على تسرّعهم بالحكم»[2] كما دعت الحادثة المطران نعمةالله أبي كرم الى استيضاح المطران خوري عن «المؤامرة» على الحكومة الإفرنسية المحلية من الذين «حاولوا إحباط مساعيها في بلادنا وأن الحكومة ألقت عليهم القبض وحاكمتهم فنفت أكثرهم وحرمتهم الوظائف وغرّمتهم بمبالغ ومن

١ — وثائق البطريرك الحويك ، المرجع السابق ، الوثيقة رقم/ ٩/.

٢ — أوراق من ملف المطران خوري ، المرجع السابق.

جملتهم سعدالله بك وخليل عقل ولسنا نعلم محلّ هذا الخبر من الصدق ولا كيف ثبت عليهم هذا الجرم فالمرجو الإفادة عن صحة ذلك إذا كان لديكم تفصيل الخبر»[1] .

أمّا رئيس مجلس الإدارة حبيب السعد ، والمطران اغناطيوس مبارك ، فقد أرسلا ، باسم البطريرك ، الى رئيس الحكومة الفرنسية ميلران ، يدينون العمل «الجنوني الذي ارتكبه بعض أعضاء المجلس» الذين «خانوا وطنهم بمحاولة بيعه ورميه بين يدي العدو الغريب عن الأمّة اللبنانية»[2] .

وأبلغ غورو ردّة الفعل اللبنانية ، وقراره بحلّ مجلس الإدارة ، ونفي اعضائه ، واستبداله بمجلس تمثيلي[3] الى السلطات في باريس ، وعلّل قرار النفي[4] بأن هؤلاء قرّروا بالإتفاق مع فيصل «الإبحار من حيفا الى أوروبا (لمتابعة العمل في مداولات مؤتمر الصلح) ، بعد أن أبرقوا الى المونسنيور عبدالله خوري بأن مهمّته قد انتهت وأنهم هم سيقدمون الى مؤتمر الصلح مضبطتهم بالإعتراف بلبنان الكبير المتّحد بسوريا تحت ملكية فيصل ... وقد وضع بتصرّفهم مبلغ ٤٠ ألف ليرة مصرية[5] . وفي هذا التصريح اتهام لأعضاء الوفد الرّابع بالرشوة والتواطؤ[6] . لذلك أصدر غورو منشوراً وجّهه الى

١ — وثائق المطران خوري ، الوثيقة رقم/ ٢٠/ وأوراق المطران الوثيقة رقم/ ٨/.

٢ — Arch. fr. op. cit., Ann. N° 111.

٣ — Arch. fr. op. cit., Ann. N° 112.

٤ — حاكم غورو اعضاء المجلس تعسّفياً أمام مجلس عسكري ونفاهم الى جزيرة أرواد ثم الى كورسيكا وبعدها الى باريس حيث أفرج عنهم وسمح لهم بالعودة الى لبنان سنة ١٩٢٣ ، راجع لهذه المسألة :

— يوميات المطران خوري ، المرجع السابق ، شهر أيلول .

— رسالة ابن أخت المطران يخبره فيها عن سرعة تحرّك غورو بعد الحادثة وانذاره فيصل للإقرار بالشروط الفرنسية (عن ملف المطران خوري ، محفوظات البطريركية المارونية ، الوثيقة رقم /٨/).

٥ — Arch. fr. Ibid, Annexe N° 114.

٦ — في تقرير كتبه عادل أرسلان في جريدة الحياة عدد ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ في ٢٠ و٢١ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، جاء أن غاية قرار المجلس (الوفد الرابع) «الاتحاد مع سوريا وتمت المشاورات مع نوري السعيد ورياض الصلح وقبل الاعضاء مساعدة عارف النعماني المالية وكان أحد التجّار اللبنانيين الذين يساندون الحركة الوطنية». وذكر اسكندر الرياشي في الحياة نفسها عدد ٢٠٠٣ في ١٧ آب ١٩٥٢ «أنه تم شراء ١٠ من أصل ١٢ عضواً وأن الأموال جاء بها عارف النعماني بواسطة رياض الصلح لإقناع المجلس بالرجوع عن الحماية الفرنسية». راجع : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص/ ١٩٤/.

اللبنانيين جاء فيه : «إن بعض اخوانكم الذين لا يستحقّون هذا الإسم أرادوا أن يصموا تاريخكم المجيد... بصفحة عار وخيانة إذ أنهم باعوا ضمائرهم بيع السلع للحكومة التي كانوا يعتبرونها بالأمس كعدوة لبلادهم» ... وبعد أن يتوغّل بالحديث عن العلاقات الفرنسية — اللبنانية التاريخية القوية، ويذكّر بما تعهّده كليمنصو وخلفه ميلران الى البطريرك الحويك من طريق المطران عبد الله خوري، يتابع منشور الجنرال : «ثقوا بأن فرنسا كانت وما زالت محافظة على عهودها... وهي تنظر بعين المحبّ المخلص الى استقلال لبنان الكبير التي هي وحدها قادرة على منحكم إيّاه [1]» . ونقل غورو في برقيته المؤرّخة في ١٣ تموز ١٩٢٠ الى المسيو ميلران بعد «بيان البطريرك الماروني ورئيس مجلس الإدارة، بيان ممثّل الدروز في لبنان باسم جميع دروز لبنان» (الذي قال) : «إنّني احتجّ ضد العمل المشين الذي قام به بعض اعضاء مجلس الإدارة الذي بمحاولتهم خيانة قضية وطنهم يريدون بيعه احتقاراً لأماني الشعب كلّه والذي يمثّلون. إنّني أرجو من حضرة رئيس الحكومة أن يتيقّن من تعلّق جميع الدروز بوطنهم لبنان وبفرنسا[2]».

الصوت الفريد الذي دافع عن مطالب «الوفد الرابع» كان خيرالله خيرالله باسم اللجنة اللبنانية في المهجر «لأنّ المهاجرين اللبنانيين يؤلّفون الأمل الوحيد لحياة الوطن، فبدل أن يعودوا الى مسقط رأسهم، إنّهم يدعون اليهم عائلاتهم وهم على وشك وداع أرضهم الأمّ وإلى الأبد»[3] وكان يريد من هذا القول أن يعبّر عن التململ الذي بدأ يقلق مشاعر اللبنانيين لجهة المماطلة في منحهم حريتهم وإدارتهم الوطنية، ولاسيّما بعد أن لمسوا التعسّف والتسرّع في معاملة ومحاكمة اعضاء مجلس الإدارة. لكن سرعان ما اعتدل ذلك الصوت، فغيّر خيرالله موقفه بعد ٣١ آب ١٩٢٠[4]، إثر إعلان لبنان الكبير الذي كان يطمح اليه جميع المغتربين اللبنانيين وبعد أن زال سوء التفاهم بينه وبين السلطات الفرنسيّة اذ استعاد خيرالله مركزه في جريدة Le temps.

١ — Georges Karam, op. cit., p. 254.

٢ — Arch. fr. op. cit., Annexe N° 118.

٣ — راجع رأي خيرالله خيرالله في : Arch. fr. op. cit., Annexe N° 140.

٤ — راجع موقف الإتحاد اللبناني عند يوسف السودا، المرجع السابق، ص/ ٢٩٢ — ٣٢٣/.

أمّا السيد شكري غانم فقد اغتنم حادثة الوفد الرابع للتعاون والتنسيق مع المطران خوري فأعلمه في ١٨ تموز ١٩٢٠ بقرب وصول فيصل الى باريس، وطلب منه أن يركّز على استقلال لبنان تحت الحماية والعناية الفرنسية لأن لبنان يهمّه أن يلعب دوراً مشرفاً في الترتيبات العامة المستقبليّة... وأن يعمل ضمن تنظيم وضعه لمصلحة فرنسا ونفوذها على البلدان المجاورة [1].

هل من الممكن الظنّ بأن حادثة ١١ تموز ١٩٢٠ كانت الشرارة لإتخاذ القرار الفرنسي العسكري والسياسي الحازم؟ فكان سقوط فيصل، وكان إعلان لبنان الكبير؟[2]. من البديهي الاستنتاج أن الأعضاء اللبنانيين الذين قاموا بتلك الخطوة قد فرحوا لقيام بلدهم الكبير في أول أيلول ١٩٢٠، فهم، وعن غير قصد مباشر، قد أسدوا اليه خدمة وفرصة، توافقت مع الظروف العامة للسياسة الفرنسية، وجاءت في نضوج المساعي المباشرة للوفد اللبناني الثالث.

رابعاً : لبنان الكبير كيان فاصل بين المسألتين السورية واللبنانية :

بعد أشهر قليلة على وصول الجنرال غورو الى سوريا، ومهمته تتأرجح بين الحسم العسكري وبين الاتفاق مع فيصل، إلى أن كان يوم ٧ آذار ١٩٢٠، حيث أعلن المؤتمر السوري العام المملكة السورية بزعامة فيصل. عندها ثبتت صحة تحفظ غورو بشأن فيصل وراح يطلب مزيداً من الامدادات العسكرية التي أقرّه عليها رئيس الوزراء ميلران الذي أرسل الى وزير الحربية يحثّه على إرسال القوات التي طلبها غورو، ويعود الفضل هنا الى التحرّك الأساسي الذي قام به الوفد الثالث على هذا الصعيد وقال المطران بهذا الشأن : «لقد تحوّل كل جهدنا لاكتساب الموافقة على إرسال الإمدادات العسكرية الى

١ — رسالة شكري غانم الى المطران عبد الله خوري، راجع :

- Arch. Patr. Ibid. N° 54.

٢ — قوبل هذان الحدثان من قبل اللبنانيين عامة بارتياح تام، عبّر عنه البطريرك الماروني برسالته الى الجنرال غورو في أول أيلول ١٩٢٠ (حرفوش — المرجع السابق، ص/ ٦٤١ — ٦٤٢/، بينا بقيت قلة «عاقدة آمالها في شخص فيصل، فلم تظهر خيبتها». راجع.

Georges Karam, op. cit., p. 252 - 253.

سوريا، وتوجّه الوفد بهذا المطلب الى جميع رجال الدولة وبالأخصّ الى الجنرال كاستلنو De Castelnau رئيس اللجنة العسكرية الذي اعطانا وعوداً مطمئنة[1]. ولكن وزير الحربية قال لرئيس الوزارة أن التأخير في وصول هذه القوات مردّه الى استنفاد الجبهة التركية للقوات الفرنسية بحيث لم يبق، في الوقت الحاضر على الأقل وحدات جاهزة يمكن ارسالها الى سوريا. وبعد مقرّرات سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠، القاضية بفرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وشرقي الأردن، والإنتداب الفرنسي على لبنان وسوريا، بقي على فرنسا اختيار طريقة لتنفيذ هذه المقرّرات. فأبرق ميلران في ٤ أيّار ١٩٢٠، الى غورو يستطلع رأيه عن الوضع في سوريا وعن الخطوات التي يفضّل اتخاذها من الوجهة العسكرية والسياسية، لتفرض فرنسا وجودها وسلطتها في سوريا، وفاقاً لتقاليدها وتضحياتها ولمقرّرات مؤتمر الصلح.

وكان طبيعياً، وهو الذي اقترح القوات في أواخر ١٩١٩، أن يجيب غورو في ١٣ أيّار ١٩٢٠ على برقية ميلران بأن القوّة هي أفضل وسيلة لإقرار الهدوء وتطبيق مقرّرات سان ـــ ريمو، ثم يستدرك غورو في ٢٢ أيّار ١٩٢٠، وينصح حكومته بالتفاهم مع بريطانيا قبل الإقدام على أي عمل ضد الحكومة العربية. وبقي الموقف الفرنسي، بشأن حسم قضية فيصل، متردّداً بسبب المناقشات البرلمانية الحامية، والتي كادت أن تؤدّي الى تخلّي فرنسا عن سوريا. لأنّها كانت تواجه في الشرق جبهتين، التركية والعربية وكان عليها أن تستفرد باحداهما.

ووضعت هيئة الأركان الفرنسيّة مخطّطاً، وفقاً لتوجيهات ميلران وغورو، اعطى الأولويّة للجبهة العربية. وعلى هذا الأساس عقدت فرنسا هدنة مع تركيا في أيّار ١٩٢٠[2]، هذه الهدنة أرهبت فيصلاً وجعلته على قاب قوسين أو أدنى من نهايته،

---

١ ـــ Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 83, p. (48).

٢ ـــ ظهرت دعوة الى جهاد مقدس في الصحف اليومية وتسرّبت بيانات مصطفى كمال الى حلب ودمشق، وبينها نداء موجّه الى ابناء سوريا باسم الحزب الوطني العربي وفي اعلاه صورة العلمين التركي والعربي متعانقين.

راجع:

ـــ خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص/ ١٥٣/ ١٨٧ و١٩٥/.

فسارع الى إعلان عودته الى اتفاق ٦ كانون الثاني ١٩٢٠، طالباً من ميلران أن يأذن للجنرال غورو باعطاء تصريح حول وحدة سوريا ومستقبلها، ليساعد الفرنسيين على مواجهة الأتراك، العدو المشترك.

إذاً، تفرّغ غورو لمواجهة الحكم العربي في سوريا بعد الهدنة الفرنسية مع تركيا، ولم يجد تودّد فيصل في رسالته الى ميلران نتيجة. وشرع غورو بالتمهيد لاحتلال سوريا. ولمّا كانت السيطرة على البقاع خطوة أساسية للسيطرة على سوريا، فقد استغلّ ارسال الحكومة العربية لقوّاتها النظامية الى مجدل عنجر، لكي يحتلّ المراكز الاستراتيجيّة في البقاع لأن اتفاق كليمنصو مع فيصل لم ينصّ على تواجد قوات مع الشرطة فقط في البقاع. وفي ١٤ تموز، بعد أربعة أيّام من حادثة مضبطة «الوفد الرابع» كان انذار غورو للحكومة العربية بشأن سكة رياق، حمص، حلب، حماه، وإلغاء التجنيد الإجباري وتسريح الجنود وقبول الانتداب الفرنسي، وقد تشجّع غورو بالضوء الأخضر من قبل الحكومة المركزية في باريس.

وقد تمّ وضع الإنذار بالتوافق مع الاستعداد العسكري لاحتلال سوريا، سواء قبل فيصل الإنذار أو لم يقبله. وبعد اتصالات بين فيصل وغورو عبر نوري السعيد والكولونيل Toutat، ألحّ فيصل على الجنرال أن يتمهّل قبل اتخاذ أيّة تدابير عسكرية وأبدى رغبته الشديدة بالذهاب الى باريس لتسوية الحال[1]. يقول المطران خوري: «لم تشأ الحكومة الفرنسية اللجوء الى السلاح قبل استنفاد المحادثات السلمية. لكن فيصلاً مدعوماً من الكولونيل لورانس لم يرد التخلّي عن اطماعه... التي أتعبت الحكومة الفرنسية وجعلتها تملّ من التعاطي مع بلاط مرتجل لا يملك أيّة أصول للعلاقات الدبلوماسية... لهذا قرّرت فرنسا أخيراً، التخلّص من الأمير الذي أطلق في دمشق تصريحات رسمية مناقضة لمثيلاتها في بيروت، مأخوذاً كما كان سابقاً بشلّة من

---

١ ـــ ولا ننسى أن نذكّر بدور لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي الفرنسي التي طلبت الدعم القوي لحقوق فرنسا والشعبين اللبناني والفرنسي بوجه أطماع الامير الحجازي. راجع:

- Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 83. (p. 52, 58).

الاستغلاليين الذين لا ينظرون إلّا لمنافعهم الخاصة»[١]. وقد لمس غورو الضعف في موقف فيصل. ولمّا لم تكن الاستعدادات العسكرية الفرنسيّة قد استكملت بعد، رغب غورو في كسب مزيد من الوقت عن طريق امهال فيصل، اذ ليس قبل ٢٠ تموز سيكون باستطاعة القائد الفرنسي «توجيه تسع فرق لاحتلال رياق وتهديد دمشق، بينما ستحتلّ حلب قوّة بنفس الأهمية. هذه المهلة سببها تأخّر وصول الخيول والفرقة السنغاليّة التي لم تستكمل بعد نزولها الى الشاطئ. «ومن الأسباب التي تقف في وجه الفرنسويين وتؤخّرهم عن البت في أمورنا معاكسة ويلسون لهم واعلانه أنّه يجب أن يخرجوا من الاستانة... ثم مذابح الأرمن، وفوق كل ذلك مقاومة بعض أعضاء مجلس النواب للحكومة والطلب اليها بألّا ترسل عسكراً الى سوريا وقيليقيا وتتحفّظ بالذين عندها لمقاومة ما لربما يحدث من جهة المانيا، كل ذلك يجعل تأخيراً في انهاء مسائلنا»[٢]. وفي رسالة أخرى الى البطريرك الحويك بتاريخ ١٢ آب ١٩٢٠، أضاف المطران: «لا جديد عندنا سوى انشغال بال القوم بحوادث روسيا وبولونيا المسكينة التي لم يعد يمكنها أن تتخلّص من مخالب الدب المسكوبي»[٣].

وبدا واضحاً أن الحكومة الفرنسية قد صمّمت على حسم الموقف مع سوريا[٤] فكانت موقعة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠[٥]. وفي اليوم التالي كانت العساكر الفرنسية تجوب الشوارع الدمشقية وسط لامبالاة الشعب بسقوط مليكه ومملكته. وانعكست

---

١ — Arch. du Patr. Mar. Annexe N° 83. (p. 59, 60 - 72) et N° 82. (p. 28).

٢ — Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 83. op..cit. (p. 24).

٣ — راجع حول أسباب تأخّر الإمدادات العسكرية الى الشرق حوادث المانيا وظهور مصطفى كمال:
وثائق المطران خوري، الوثائق رقم ٥ و٢٠
و: - Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 82. p. (24).

٤ — صرّح روبير دي كاه بأن الحكومة الفرنسية مستعدّة لإرسال ٦٠,٠٠٠ جندي لتحتل سوريا... (ولكنّه) يأمل أن لا تكون صحيحة ويرجو تكذيبها لما تتركه من تأثير سيّء. راجع:
— خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص/ ١٩٥/.

٥ — راجع تفاصيل المعركة في: خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص/ ٢٠٤ الى ٢١١/ وفي:

تلك النتائج بالإرتياح لدى القوميين السوريين والاستقلاليين اللبنانيين، لأن «عهداً من النظام والحرية ظهر أخيراً في الأفق لهذا الشعب السوري الذي تألّم كثيراً»[١].

وفي ٢ آب، أبرق ميلران، كوزير للخارجية، الى غورو يطلعه على المشروع الذي يدرسه بشأن سوريا ولبنان وقال: «إنّه لا يريد تطبيق الصيغة المغربية على سوريا ولا الإبقاء على التمييز بين المنطقة الشرقية وباقي سوريا، ولا إعادة خلق حاكم يطالب بسوريا واحدة أو حق يحكم على سورية داخليّة اسلامية... دمشق هي بعيدة على المركز ومرشّحة من جهة أخرى لتصبح عاصمة الكونفدرالية السورية المدعوّة لتجمع تحت الشكل الفدرالي كل اجزاء سوريا... ويبقى لبنان الكبير خارج الكونفدرالية السورية الحقيقية».

وجاء ميلران على ذكر لبنان الكبير، الذي كان يطالبه به وبإلحاح الوفد الثالث، لكنّه لم يعطه تحديداً جغرافياً، ولا مدلولاً واضحاً يبرّر استثناءه من الكونفدراليّة السوريّة[٢]. على أن بعض ما تغاضى عنه ميلران ذكره غورو وبقيت مسألة الإستقلال السياسي الحقيقي بدون جواب صريح.

وكان ميلران على خلاف غورو، يخشى ظهور معارضة سورية جديدة، فمال الى تجزئتها وتفتيتها في مشروعه.

ويقول جورج سمنه حول لبنان في هذا المشروع: «بالنسبة لنا المسألة محلولة منذ الأيام الأولى. لبنان كبير مستقل ذاتياً سيكون ضمانة لسوريا كلّها ولنموّها التام»[٣].

---

١ — Corresp. d'orient. N° 243 - 244. Georges Samné, op. cit., p. 49
- Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 83. (p. 73 - 74).

٢ — لا شكّ بأن موقف الوفد اللبناني الثالث الحازم في باريس كان وراء فكرة الاستثناء بطروحاته وتحفّظاته ومعارضته لأي شكل من الاتحاد مع الكيان السوري:
— راجع يوميات المطران خوري، بين ٢٠ تموز و٢٠ آب ١٩٢٠ و:
- Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 83. (p. 65 - 68).
— وقال المطران خوري: «هكذا، جاء تحرير سوريا جواباً لحلّ القضيّة اللبنانية».
- Arch. du Patr. Mar. Ann. N° 82. (p. 29).

٣ — G. Samné, la Syrie, op. cit., p. 254.

بقي أن نتساءل عمّا إذا كانت فرنسا تحبّذ ، أو تتصوّر وجهاً دينياً معيّناً للقومية السورية التي سعت اليها؟ لدينا موقفان قريبان من الموقف الرسمي الفرنسي ، إن لم نقل يدلّان عليه ، وموقف ثالث يعبّر حقيقة عن الموقف غير الرسمي والمتمثّل بأصحاب التأثير العام الشعبي والرسمي ، أي موقف أصحاب الفكر والتنظير.

الموقفان الأوّلان هما : موقف لجنة الشيوخ للشؤون الخارجية التي وضعت في أواخر ١٩١٨ تقريراً أنهته بأملها أن تعمد الحكومة الى تدعيم الحقوق الفرنسيّة في الشرق المسيحي. وموقف اللجنة المركزية السورية ، الموضوعة تحت توجيه وزارة الخارجية الفرنسية بالذّات(٢) ، هذه اللجنة أملت في تقريرها السنوي ، في ربيع ١٩٢٠ ، أن تصبح سوريا مركزاً مسيحياً بعد انهاء الحكم العربي وفرض الانتداب الفرنسي عليها.

أمّا الثالث فيرى أن الحقوق والالتزامات الفرنسيّة في الشرق هي مطلقة. هذه الإطلاقيّة تبرّرها وصاية فرنسا على الموارنة والطوائف المسيحيّة الشرقية المتّحدة مع الكنيسة الكاثوليكيّة. وأيّاً كان موقف فرنسا الصحيح من الهوية الدينية لسوريا ، فإنّ بوادر الفصل بين المسألة السورية والمسألة اللبنانية قد برزت الى واجهة الاهتمامات. فقد قال رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي المسيو Bourgeois للمطران خوري : «أنتم اسقف ، وماروني ، وبذلك تتمتّعون كفاية بما يجعلكم تتوجّهون إليّ مباشرة»(٣) .

فالجنرال غورو في ٣ آب ١٩٢٠ أبرق الى المطران عبدالله خوري رئيس الوفد الثالث يقول له : «غداً سأذهب الى زحلة لأعلن عودة البقاع الى لبنان. أظنّ أنكم لن تتأخّروا الآن في العودة ، فإلى لبنان الكبير ستعودون» . وبالفعل في اليوم التالي ، عينت مدينة زحلة من أقضية المتصرّفية السبعة سابقاً ، وعاصمة البقاع المسيحيّة ، والمتزعّمة للحركة البقاعية في رد البقاع الى لبنان ، مركزاً لحفلة المناداة بإرجاع الأقضية الأربعة إلى لبنان. وقد ترأّس الاحتفال الجنرال غورو وحضرته الشخصيّات الرسمية

١ — من هنا كان دور شكري غانم الفعّال في حسم إيجابية المطالب اللبنانية ودعم موقف الوفد اللبناني الثالث.

٢ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. 83. (p. 75).

٣ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 58.

والوجهاء وآلاف الناس. وفي «لوكندة» قادري خطب غورو بقوله : «من جهتنا ، نحن الفرنسيين نستطيع القول أنّنا سدّدنا الدين الذي رتّبه علينا تعلّقكم القديم» .

ثم أبرق غورو مجدّداً الى المطران خوري والمطران مغبغب والسيد شكري غانم يطلعهم على إلحاقه الأقضية الأربعة بلبنان(١) .

وقد استقبل اللبنانيون اعلان ٣ آب ١٩٢٠ بفرحة بالغة لأنّهم اعتبروا هذا الإجراء بأنّه الخطوة الأولى في تشكيل لبنان الكبير وفصله عن التبعيّة السورية التي ألصقها به ظروف القهر والاستبداد. وفي ١٣ آب تابع غورو خطواته في جلاء الوضع اللبناني الذي يطالب به أهله ، فأبرق الى الخارجية الفرنسيّة يحثّها على «الضرورة القصوى» في إعلان لبنان الكبير ، وفي أقصر مهلة ممكنة ، وتأسيس ادارته لأن هذا ما ينتظره مؤيّدونا كنتيجة طبيعيّة ومباشرة لانتصاراتنا»(٢) .

وفي ١٤ آب ١٩٢٠ ، كتب شكري غانم ، وقد أصبح العضو الفخري والمنسّق (غير الرسمي) في الوفد الثالث ، الى ميلران يطلب منه ضم مدينتي بيروت وطرابلس الى لبنان لأنّهما تشكّلان ، جغرافياً واثنياً ، اجزاء متمّمة له ، فتشكيل لبنان كبير قادر على الحياة... سيكون مثلاً للسلام والتنظيم الفرنسي ومرافىء طرابلس وبيروت الحرّة لن تشكّل أي ضرر لمصالح الدّاخل» . وفي مجال الدفاع عن دور شكري غانم لاسيما في المرحلة الأخيرة قال المطران خوري : «... لقد وجّهت الى شكري غانم انتقادات لعدم سعيه في وقت من الأوقات لحصول لبنان على استقلاله المطلق. هذه الفكرة لم تكن موجودة في ذلك الوقت. ولم تر النور ، كما هو معروف ، إلّا حين أطلقها الرئيس ولسون في مؤتمر فرسايل. كان شكري غانم وطنياً من كل قلبه ، لقد أنشد : هل ستدق الساعة ، التي طالما تمنّيتها ، عاجلاً ، أيمكنني قبل الرحيل ، أن أتنشّق هواء وطني ،

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Annexe N° 59.

٢ — نشير الى أن طروحات غورو كانت أقرب الى المطالب اللبنانية وهي التي تحقّقت بعكس ما كان يتصوّره ميلران وروبير دي كاه.

Arch. fr. des aff. étr. op. cit. .... "Lettre de Ghanem, le 14 Août 1920, à Millérand".

وأشرب من مائك يا لبناني الحبيب، واستريح على سطيحات بيوتك المتواضعة، وأطرب من حداء المكارين ورنين أجراس القطعان عند بزوغ الفجر أو مع حلول المساء»[1] .

وهكذا يجد دعاة سوريا الواحدة في المساعدة الفرنسية للمطالب اللبنانية مدخلاً لحلّ القضية السورية لتذهب (فرنسا) قدما وبسرعة الى الأمام باتجاه الأماني اللبنانية والمسألة السورية تصبح جاهزة للحل برمّتها»[2] . والمسألة السورية في آب ١٩٢٠، لم تعد مسألة انهاء الحكم العربي، بل مسألة تنظيم. على أن التنظيم لا يمكن تصوّره بمعزل عن نظرة فرنسا للإنتداب. في برقية من ميلران في ٦ آب ١٩٢٠ الى غورو جاء قوله: «وهي تطالب بالانتداب على سوريا، لا تبحث فرنسا عن خلق مستعمرات جديدة، ولكن لتثبيت منزلة قديمة ضرورية لوضعها في المتوسط» وانطلاقاً من هذا التصور فالنظام الأفضل الذي يوافق مصالح سوريا ومصالح فرنسا هو في سلسلة من الاستقلالات الذاتية بالشكل الجمهوري تجاوباً مع تنوّع العروق والديانات والحضارات مجموعة بفدرالية تحت السلطة المركزية العليا للمفوّض السامي مع وحدة اقتصادية جمركية ونقدية.

فأين لبنان من جملة هذه التنظيمات والمشاريع الإدارية؟ المسيو ميلران يعرف بأن لبنان قد أعرب بكل الطرق عن رغبته القوية بالاستقلال الكامل تحت انتداب فرنسا، ولا يرغب الدخول مباشرة في الفدراليّة السورية متذرّعاً بأنه أكثر ثقافة وخائفاً من أغلبيّة البلاد الإسلامية، «فقد يكون هناك مساوىء جديّة في الرغبة بالضغط على الشعور اللبناني منذ الآن ولا يكون بمقدورنا حمله على الإنضمام الى الفدرالية إلّا من خلال نجاح الرقابة الفرنسية على الفدرالية السورية». ولكن ما هي حقيقة مراعاة فرنسا للشعور الاستقلالي اللبناني؟ هل هي احترام لحق تقرير المصير أم هي احترام لمصالح فرنسية تخدم التنظيم الجديد المقترح؟

---

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 82, (p. 20, 25, 26).

انظر أيضاً رسالة شكري غانم الى المطران خوري في:

٢ — - Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 60.

فقبل عشرة أيام، نجد عمل الفرنسيين القاهر للشعور العربي في ميسلون. بقي إذاً الإفتراض بأن تأييد فرنسا للإستقلال اللبناني يحجب مصالح فرنسية جديدة، فما هي اذاً؟

يجيب ميلران متابعاً: «لا مصلحة لنا بضم لبنان الى الفدرالية السورية مباشرة، فلبنان يقدم أفخم جالية سورية وهكذا يصبح عنصراً ممتازاً لنفوذ بلادنا وامتدادها التجاري اذ لنا مصلحة في فرنسا أكثر ما يمكن من السكان المسيحيين بتوجيههم نحو الخارج»[1] .

إذا كانت هذه هي الفائدة من توجيه اللبنانيين نحو الخارج فما هي مخاطر توجّههم نحو الدّاخل؟

ونجد الجواب أيضاً في كلام ميلران متّجهين بالعكس نحو داخل سوريا، تتوق الطموحات اللبنانية لتقديم الموظّفين الى السكّان الأقل تطوراً منها وتهدّد بإثارة المعارضات وتجعل السياسة الفرنسية أكثر صعوبة وهكذا قد نفقد معاً العنصر الفرنسي... ونخاطر بعملنا في بقية الأنحاء السورية»[2] .

وهكذا تبدو صراحة رئيس الوزراء الفرنسي، بأنّه يريد من اللبنانيين المسيحيين أن يكونوا رسلاً يبشّرون بنفوذ فرنسا، كما يتّضح أنّه لا يرغب في تطوير سوريا — غاية الانتداب الأساسيّة — ليبقى على تخلّفها، فتبقى بحاجة الى العون الخارجي.

ومرّة أخرى تتلاقى الرياح الفرنسيّة مع شراع لبنان الكبير، لا محبّة به، بل تحقيقاً للمصالح الفرنسيّة تلك... أليست هذه هي الحقيقة اللبنانية الكيانية؟ هذه الحقيقة أشار اليها البطريرك الحويك في رسالته الى المطران خوري بتاريخ ٨ حزيران ١٩٢٠ إثر حوادث الاعتداءات على المسيحيين في الجنوب والبقاع كما ألمح الى الثمن الذي يدفعه اللبنانيّون لإخلاصهم لفرنسا وقال: «... على أثر هذه الحوادث قام بعض ذوي الأغراض من الأجانب يتّهموننا بالعمى والتعامي عن الحقيقة ومجازفتنا بحقوق شعبنا

---

١ — Georges Karam op. cit., pp. 252 - 253.

٢ — Idem. p. 253.

وطننا بتمسّكنا الأعمى بفرنسا التي لا تستطيع تحريك ساكن على قولهم ، غير أن الحكومة المحلية هبّت واقتصت من المجرمين أو بعضهم بتجريد حملة أرسلتها للجنوب وما زالت هناك ، كما أنّها أرسلت بعض الجنود الى جرود كسروان لما علمت بتحرّك المتاولة هناك وقرّرت بل باشرت بتنظيم جندرمة وطنية تحافظ على الجرود وقد وعدت بمواصلة الاهتمام بالأمن والراحة ... فهذه الحوادث وأمثالها واضطراب الأفكار العمومية وتراكض القوم الينا من كل جهة للشكوى من الحالة وحبنا الشديد لفرنسا التي ما كنّا لنريد أن تظهر بهذا المظهر ، كل ذلك يجعلنا بحال لا تقوى شيخوختنا على تحمّلها لولا عناية الله التي تقوينا ، فهلّا لأصحابنا عندكم أن يفقهوا الحالة ويعملوا على ما به مصلحتهم أكثر من مصلحتنا »[١] .

ويضيف ميلران في برقيّته الى غورو : « يجب أن يتوقّف عملنا على « فرنسة » لبنان ما يمكن ، ولأجل ذلك يجب أن تبقى في بيروت وجبل لبنان سلطة فرنسية مهمة متمتعة باستقلال واسع حتى وان كانت المفوضية العليا في مكان آخر . كما أن ثمة شرطاً أساسياً وهو تشكيل لبنان الكبير بضم البقاع اليه وجبل عكار حتى نهر الكبير ، عازلين طرابلس ، المركز السنّي ، التي ستستقل بشؤونها الخاصة . ويبدو كذلك من الصعب ألّا نضم الى لبنان ، رغم الاعتراضات المارونية ، سنجق صيدا ، أي المتاولة المسلمون القاطنون بين صور وصيدا ... »[٢] .

هذه كانت توجيهات رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الخارجية بشأن تنظيم سوريا ، بعيد ميسلون وقبل اعلان لبنان الكبير . غير أن هذه التوجيهات كانت تنطلق من واقع يحمل ثلاثة اتجاهات : « أمّا الابقاء على وحدة سوريا ، كما كانت أيّام العثمانيين ، أو تجزئتها الى دويلات وفقاً لدعاة الحكم الذّاتي ، أو اعتماد حل وسط بين الوحدة والتجزئة ، كتقسيم سوريا الى كيانات ادارية مميّزة ضمن الإطار التاريخي لوحدة سوريا .

وقد اعتمد غورو الاتجاه الثاني على أن تربط الدويلات المستقلّة سياسياً برابط

١ — وثائق البطريرك الحويك — محفوظات البطريركية المارونية — المجموعة الخامسة ، وثيقة رقم ٨ .

٢ — Georges Karam, op. cit., p. 254.

فيدرالي . هذا الحل « يمثّل ردّة فعل أوساط المفوّضية العليا ضد التصوّر الوحدوي الذي كان تصوّر فيصل والوطنيين.

على أن التنظيم الفرنسي الجديد في سوريا لم يخل من أثر شخصيّة غورو الخاصة والسياسية . ففيما يتعلّق بشخصيّته الخاصّة كان رجلاً مسيحياً مؤمناً . أمّا من الوجهة السياسيّة فقد كان يرى مصلحة فرنسا قبل أيّة مصلحة أخرى . لقد قال في ردّه على الخطباء الذين استقبلوه يوم وصل الى بيروت في ٢١ تشرين الثاني ١٩١٩ ، « أتيت لخدمة فرنسا في سوريا ، فخدمتي لمصالح سوريا هي خدمة دولتي لأن المصلحة واحدة لا تتجزّأ . فمصلحة سوريا نفسها وخدمة فرنسا وسوريا واحدة » .

ومع اعلان لبنان الكبير ، أخذ الموقف الفرنسي منحى جديداً بتنظيم الدولة الجديدة وهيكليّتها الإدارية مع بيروت العاصمة المركزيّة لهذه الدولة منذ ١ أيلول ١٩٢٠ .

من خلال هذا العرض للموقف الدولي والفرنسي ، أردنا أن نوضح الاختلاف بين مفهوم كل من اللبنانيين والفرنسيين لطبيعة استقلال لبنان ، الحقيقة التاريخيّة الطبيعيّة . « فلبنان كان يعني بنظر البطريرك الحويك والمؤيّدين له انفصالاً عن سوريا ... في حين كان الفرنسيون يحاولون دوماً ابقاء لبنان جزءاً لا يتجزأ من سوريا إلّا شكلياً »[١] . وهذا ما يفسّر تراكم العراقيل والصعوبات التي ذلّلها الوفد اللبناني الثالث ممثّل البطريرك الماروني في تحرّكاته في باريس[٢] ، بعد أن قضى فيها قرابة ثمانية أشهر من المفاوضات والإتصالات ، لتحقيق الصيغة التاريخيّة والكيان الطبيعي للبنان ١٩٢٠ .

١ — Georges Karam, op. cit., p. 256.

٢ — نذكر من جملة هذه العراقيل ما جاء في رسالة المطران خوري الى البطريرك الحويك بتاريخ ٩/ ٣/ ١٩٢٠ في لقائه مع الأمين العام للخارجية الفرنسية المسيو Paléologue وقال : « طلبنا اليه أي Paléologue أن تعيّن لنا الوزارة معتمداً من قبلها يكون مستعداً لسماعنا أي وقت بدى (بدا) لنا أن نبلغها بعض أمور تتعلّق بنا ثم أبدينا استغرابنا من البطء الحاصل بتنظيم بلادنا بعد مرور نحو سنة ونصف على احتلالها ومن الحرية المعطاة الى حكومة الشام من هذا القبيل لأنّها أخذت بالتنظيم (وإن يكن كلّه خبص) وبالتجنيد... فوعدنا بالسعي وبعد ذلك كتب إليّ أن المسيو برجاتون هو المستعد للمخابرة معنا وأن الاستعدادات طيّبة ثم ان Bargeton الذي لم يكن بعد ردّ لنا زيارتنا حضر عندنا وزارنا وأسهبنا معه بالكلام بمسائلنا فوجدناه مقتنعاً وقد طلب إليّ أن أذهب الى مقابلته في الوزارة لأفهمه على الخارطة عن الحدود التي نطلبها فذهبت وأبنت له الحدود هذه ، =

في ختام هذه المهمة قال المطران عبد الله خوري : «وهكذا انتهت مهمّتنا أمام البلد الصديق. وقد شاءت العناية الإلهية والصداقات التي لقيناها بأن يتوّج سعينا بالظفر. لدى خروجي من مبنى الوزارة، أسرعت لمشاركة رفاقي النتيجة المرجوّة، وأخذ كلّ يعجّل باستعدادات العودة ... أمّا أنا فتركت باريس باتجاه روما لتأدية ما توصّلنا اليه في مهمتنا الى صاحب القداسة بونوا الخامس عشر الذي، كما ذكرنا سابقاً، قد اهتمّ شخصياً بقضيّتنا، وقدمت اليه تقريراً حول هذا الموضوع ... استمع قداسته الى قراءة رسالة المسيو ميلران، وشكر الرب بأن حقّق أخيراً لمسيحيي لبنان مستقبل السلام ... وفي مرسيليا استقبلتنا الجالية اللبنانية ... استقبالاً حاراً ... وأبحرنا مع المسيو يوسف الجميل والمونسنيور سيريل مغبغب (فيما بعد أسقف زحلة) الذي كان قد انضمّ إلينا في باريس متمنياً أن يرى البقاع أخيراً ملحقاً بلبنان[1].

= ولمّا كنت أذكر طرابلس وعكّار كنت ألحظ منه بعض التردّد وكنت فهمت من المسيو جورج بيكو أن مسألة طرابلس صعبة علينا ولكن ليست غير ممكنة فاستغنمت الفرصة لأبيّن له ضرورة طرابلس وعكّار ... ونطلب كما طلبتم غبطتكم أن تكون الحدود من رأس الناقورة جنوباً ومن النهر الكبير شمالاً ... وقد شرعنا بإنشاء مقالة مستوفية بقدر الإمكان بهذا الصدد عملاً بنصيحة كل الذين يحبّون مصلحتنا هنا».

— راجع وثائق المطران عبد الله خوري، محفوظات البطريركية المارونية، المجموعة الرابعة، الوثيقة رقم ٤.

١ — Arch. du Patr. Mar. op. cit., Ann. N° 82. (p. 31, 32).

الخاتمة

البحث عن حقيقة الوضع اللبناني لا ينتهي لأن هذا الوضع لا يزال حتى اليوم يشكّل مسألة يصعب حلّها بقدر ما يصعب حلّ المسألة الشرقية بكاملها. أياً كانت الوجوه التي تأخذها المسألة الشرقية اليوم من صراع بين العرب واسرائيل أو صراع بين الغرب والشرق يبقى لبنان مفتاح الحل في الشرق. فأمّا أن يكون لبنان بلداً مستقلاً حراً ينعم بالاستقرار والراحة وهذا دليل على العافية في الشرق وأما أن يكون عرضة للإنقسام والاقتتال وهذا دليل على حدة تصادم التيارات العاصفة بالشرق. لبنان اليوم يعاني من أزمة كيانية لاحت في الأفق القريب بعض ملامح حلّها. ولن يكون حل بالنهاية ما لم يقتنع بلبنان أبناؤه بالذات، وطناً نهائياً مستقلاً عن كافة التيارات المتربّصة به شراً سواء كان هذا الشرّ ابتلاعاً وتذويباً أم تقسيماً وشرذمة. وما أجدر بنا اليوم أن نعود بالذاكرة الى لبنان الأمس لنرى كيف حلّت مشاكله ومدى قابليتها في الحياة مستخلصين من كل ذلك العبر لتدارك الأخطاء وإرساء قواعد الوطن السليم.

وعليه لنا الآن عود على بدء. هذه هي القضية اللبنانية نراها خلال حقبة ١٩١٨ — ١٩٢٠ بأبعادها الضاربة في أعماق التاريخ. نحن مقتنعون باستمرارية التاريخ اللبناني. لا نوافق من يقول بأن لبنان لم يعرف الا في القرن التاسع عشر. لكن جبل لبنان معروف بتميز أرضه وشعبه منذ أقدم العصور. إن الاعتراف الدولي بحدود معيّنة لا يكفي وحده لإنشاء الأوطان وهذا ما تمّ في بروتوكول ١٨٦٤ ومن ثم في اعلان دولة لبنان الكبير. تبنى الأوطان على دماء الشهداء وإرادات الشعب في العيش المشترك. وفي التوراة ذكر

لاسم لبنان القديم المقدّس. وفي جبال لبنان الشمّاء القاسية لأفصح البراهين على إرادة الاستقلال عند أهلها منذ أن وطأتها أقدامهم. لا يعيش في هذه الجبال الكأداء ولا ينحت الصخر ويزرع الشواهق إلّا من تعشّق حرية واستقلالاً متخلّياً عن سهولة السهول وخصبها مفضّلاً التمتع بقيم معنوية أخلاقية على التمتّع بخيرات مادية فياضة. من اعالي الجبل انطلقت فكرة استقلال لبنان ايديولوجية التف حولها جميع الثائرين لكرامة تنتهك في مختلف بقاع الشرق الا في تلك الأعالي التي يعجز الغزاة عن اقتحامها وان حدث فاقتحموها، لا يسعهم البقاء فيها لقساوة العيش في نواتئها وصعوبة موارد الرزق فيها سيما وأن نفسيّة الغازي لا تستطيب التلذّذ برزق كلف عرق الجبين ومنه استقى.

هي هذه الفكرة التي تجسّدت في نضال الموارنة ومن تكوكب حولهم من المضطهدين النازحين عن سوريا وسكان الجبل المتأصّلين في لبنان، هي هذه الفكرة بالذات التي لقّنوها لفخر الدين صغيراً فعمل على تحقيقها عندما كبر وقوي. قد يكون فخر الدين مثلما قال البعض عنه، مغامراً أحب الانتقام من العثمانيين قتلة والده وأنانياً حالفه الحظ في تحقيق أحلامه ومصالحه. لكن شعباً بأكمله لا يكون مغامراً ان لم يوجد عنده في الأصل حب الاستقلال والحرية. فهل كانت مغامرة الموارنة إثماً؟ أكان رهانهم على لبنان الوطن الكبير خطأً تاريخياً؟

يقول جواد بولس في الاستمرارية اللبنانية بعد الفتح العربي، وفي الفترة العباسية بنوع خاص، تابع البلد الفينيقي القديم بشكل تكتّلات طائفية منظّمة وطوال القرون التي تلت، تطوّره التاريخي الذي كان له قبل آلاف السنين. فقد استعرب اللبنانيون لغوياً، وتحوّل قسم كبير منهم الى الإسلام في هذه الفترة، فاندفعوا بحيوية إيمانية مميّزة وبمشاعر اقليمية حادّة فسحت المجال بينهم للعاطفة الوطنية. ونذكر هنا الى أن المجتمعات القومية في الشرق وفي هذه الفترة كانت تقوم بجوهرها على الأسس الدينية. كانت أحياناً تصارع الجماعة منها الأخريات من أجل السيطرة على مجموع البلد، وأحياناً أخرى كانت تتّحد وتعتصب للدفاع المشترك، ولكنّها كتكتّلات طائفية، أي كشعوب صغيرة يتعلّق كلٌّ منها بالوطن الإقليمي المتمثّل بالجبل، كانت ترمز للوحدة الوطنية [١]،

١ ـ جواد بولس ـ لبنان والبلدان المجاورة، ص/ ٢٨٣/.

ودليلنا على ذلك ما أوردناه في عرضنا للطائفتين المارونية والسنيّة اللتين شكّلتا دعامتين رئيسيّتين للبنان من تناقض في النظرة الى لبنان تاريخاً وكياناً ومصيراً. لكنّنا نقول بالوقت نفسه بأن ما لم تخربه المفاهيم المغلوطة للدين والطائفية قد تصلحه الرؤيا الحديثة، العلمانية، والإيمان بقومية واحدة لا تلغي التعدّدية بل تقوم على أساسها وتغتني بها. يوم التقى الماروني والشيعي والدرزي على محاربة المماليك كانوا كلّهم رافضين للغريب وتسلّطه، يوم التقى الماروني والدرزي على دعم جيش فخر الدين القوي بوجه الدولة العثمانية لم يكن ذلك تعلّقاً بشخص فرد إنّما بفكرة وطنية وقومية. ويوم التقى اللبنانيون في عامية انطلياس على رفض المصري وسلطته لم تحل بينهم الفروقات الطائفيّة وبين النضال معاً لطرد الغريب. صحيح أن النظرة السنّية كانت تختلف بعض الشيء عن نظرة باقي الطوائف وعلى ذلك الأساس كان رفض دولة لبنان الكبير وقد يكون في هذه النظرة بالذات النقيض النظري والديني والسياسي للوجود اللبناني المنفتح على حضارات متعدّدة والقائل بتعدّدية دينية وإنسانية وبحرية المعتقد من ضمن المعادلة اللبنانية حديث العهد لأنهم كانوا إلى زمن قريب تابعين للولايات العثمانية عكس غالبية الطوائف التي كان لكل منها تاريخ نضال في جبل لبنان. وهذه من أسباب الفروقات النفسية والفكرية لكل مجتمع وطائفة.

يبقى أن الوقت حان لكي يوالي اللبنانيّون على مختلف معتقداتهم وطنهم أولاً وآخراً قبل أي ولاء آخر، وأن تحل المفاضلة بين الانتماء الوطني والإنتماء الطائفي لمصلحة الوطن العلماني في مجالات السياسة والنظام والتعاطي العام.

هذا لا يعني أبداً إلغاء الطوائف لأن في بقائها وحريّتها وتعدّدها غنى لبنان وطابعه الحضاري المميز، لكن الدين لله والوطن للجميع. فلئن كان التزام الإنسان بدينه يتعارض مع إنسانيته وانسانية غيره من المواطنين وجب عليه أن يكون انساناً قبل أن يكون متديّناً. إن الإنسانية هي مقياس الحضارة لا التعصّب الديني، ومقياس الولاء الوطني هو اخلاص المرء لوطنه قبل كل شيء آخر طالما أن هذا الوطن يسمح له بأن يكون مكتمل الإنسانية هو ومن معه من باقي المواطنين. هذه الأيديولوجية وحدها تضمن نجاح الرهان على ديمومة لبنان بالحدود التي ارتسم بها سنة ١٩٢٠، وهي وحدها الجواب على من قال بأن هذا الوطن صنيع المستعمرين أو أنه مرحلة عابرة على طريق

وحدة عربية شاملة. وعليه نخلص الى الحقائق التالية في ما يتعلّق بالكيان اللبناني الذي اعلن في أول أيلول ١٩٢٠.

١ — إن فكرة الاستقلال اللبناني بعيدة المدى في التاريخ بعد وجود الإنسان المتعشّق الى الحرية في أعاليه والإنسان المنفتح على العالم في شواطئه.

٢ — إن مشكلة الإنتماء في لبنان ومشكلة الهوية اللبنانية قديمتا العهد قدم استيطان القبائل العربية الإسلامية في سهوله وحنينهم أبداً الى مواطنهم الأصلية.

٣ — إن مناطق لبنان الكبير التي ضمّت الى لبنان المتصرفية إن حلت له مشكلة اقتصادية وسمحت باكتفائه الاقتصادي وبالتالي باستقلاليّته العامة قد خلقت له مشكلة تحديد للهوية خطيرة ينتج عنها اما زواله وتلاشيه في كيانات تحتويه واما استمراريّته مستقلاً عن كل ما حوله برسالة حضارية مميّزة.

٤ — مهما كانت التأثيرات الخارجية في بناء دولة لبنان الكبير ومهما كانت مصالح الدولة المنتدبة فإن الكيان الجديد ما كان ليعمر لو لم يرتكز الى قاعدة وطنية ثابتة. ولا عجب فإن بقاء الوطن على الرغم من كل العواصف التي هبّت عليه خارجياً وداخلياً لخير دليل على أصالته التاريخيّة وحقيقة هويته القومية والسياسية. من هنا كان من الواجب القومي على جميع أبنائه تنقية كيانه من جميع الشوائب التي تشوّهه وإسكات محاولات التشكيك به النابعة من الداخل أم من الخارج[1]. إن وطناً يبقى على الرغم من هذه الهزّات الكيانية التي ما زالت تعصف به في شرق كلُّ دُوَلِهِ حديثة العهد إن قورنت بلبنان، إن هذا الوطن لا بدّ باقٍ ببقاء إرادة أهله بالحرية وبالاستقلال.

٥ — إن هذا الوطن لم يتح له الوقت الكافي (والوقت هنا بمعناه الزمني الطويل) ليترسّخ فيه:

أولاً: الإنتماء والولاء والعلمنة.

ثانياً: معالجة الثنائية الاجتماعية Bipartisme Social الناتجة عن الفوارق الكبيرة

١ — نضف الى المشاكل الداخلية البحتة، ما استجدّ على أرض لبنان من أقوام غريبة. طارئة، عبثت بأمنه وقوانينه وأخلّت بتوازنه السكاني والاقتصادي.

بين سائر الأقضية وجبل لبنان. ففي كل مرّة تهتز فيها هذه الثنائية الإجتماعية كانت تعطى لها تفسيرات طائفيّة، فنتهم بها ويقال المسيحي يرى في الأرزة صليباً والمسلم هلالاً. وليس أبلغ للتعبير عن هذه الفكرة سوى الخلقيّة التي يجب أن تربطنا في هذا الوطن، وكما يقول الدكتور زين زين[1]: «إن المصالح القومية إذا أقترنت بالمطامع التي لا تعرف حداً تقف عنده، وإذا رافقتها المطامع والغطرسة التي لا يكبح جماحها قانون أخلاقي وبلغت معاً حداً قصياً من التطرّف فإنّها قد تتحوّل الى صنم وثني وتؤدّي عبادته الى آخر الأمر إلى الحراب فالموت. ولنا أن نسأل: هل يحتاج الإنسان (واللبناني خصوصاً)[2] حقاً إلى ديبلوماسية؟ أو هل انه كان يلجأ الى الحرب أو أن دوافع كل الدول وأعمالها تصدر عن محبة وحق وإيمان بالعدل؟ إن المنازعات القومية والدولية في عالمنا المعاصر ليست سوى تعبير عن الفراغ الروحي الذي ينتج ضروباً من الريبة والخوف والبغضاء والصراع والظلم. إن السلام العالمي (واللبناني) لا يتوقّف في الدرجة الأولى على قوّة الأسلحة النووية بل على القوّة الخلقيّة والروحية لدى مختلف الشعوب (والفئات اللبنانية) التي تمزّقها المنازعات».

وأخيراً على الرغم من كل الظروف فقد عرف لبنان الكبير حقبة من البحبوحة والإزدهار والإنتاج والشمولية والتحدّي القوي لما يتعلّق بالمستقبل. وهو بحاجة اليوم للعودة الى ذاته المميّزة بعيداً عن تضارب المصالح الخارجية الدينية والسياسيّة والأتنية، لكي تتطوّر الصيغة الكيانية لبقائه دولة وحكماً ضمن اطار الثوابت الحضارية — التاريخية التي طبعته منذ أجيال وقرون.

١ — الصراع الدولي، ص/ ١٨٢/ وما يليها...

٢ — إن كلمات اللبناني والفئات اللبنانية وغيرها وضعتُها بين مزدوجين لأنّها إضافة خاصة على النص الأساسي وذلك للتأكيد على حاجتنا الخلقية والروحية في مجتمعنا اللبناني.

وثائق مختارة من أرشيف البطريركية* المارونية ووزارة الخارجية الفرنسية

* رأيت أنه من اللازم التنويه بعمل المطران عبدالله خوري من بلدة بكاسين أمين سر البطريرك الياس الحويك ورئيس الوفد الثالث الى مؤتمر الصلح في باريس ، لأن معظم الحقائق التي تتناول هذا الموضوع مأخوذة من مذكراته اليومية وأوراقه الخاصة المحفوظة في مكتبة البطريركية المارونية.

DÉLÉGATION LIBANAISE
AUPRÈS DE LA
CONFÉRENCE DE LA PAIX

COPIE

Beyrouth, le 4 Août 1920

Pour Monseigneur Abdallah Koury,

I Profondément touché, Monseigneur, de votre télégramme. Je vais demain à Zahlé proclamer le retour de la Bekaa au Liban. Je pense que vous ne tarderez pas maintenant à rentrer: c'est au Grand Liban que vous reviendrez.

2 Je suis heureux de vous annoncer que, hier, 3 Août, à Zahlé, au milieu d'un grand concours de toutes les populations de la Bekaa, depuis Baalbeck jusqu'à Hasbaya et Racheya, j'ai prononcé la réunion des quatre cantons de la Bekaa au Liban. L'enthousiasme a été général.

"Signé": Général Gouraud.

12 Avril 1920.

COLONEL COUSSE DAMAS
N° 197/6 - 198/6

CHIFFREMENT

FAIT

Je vous charge de transmettre à l'Emir télégramme suivant:

" Votre Officier de liaison vous a mal renseigné le drapeau libanais n'a pas été officiellement arboré. J'ai invité le Colonel DJEMDAT Bey à remplacer sur sa maison le drapeau syrien non reconnu par les Gouvernements alliés, j'ai fait faire la même démarche près de son successeur, qui ne s'est pas encore présenté à moi. Je n'ai menacé ni l'un ni l'autre de faire descendre de force le drapeau arboré sur la Délégation arabe car je ne veux m'adresser, qu'à votre volonté récemment affirmée de vivre en accord et amitié avec les Alliés, pour ne pas maintenir un emblème tant qu'il n'aura pas été reconnu. Dans cette circonstance comme dans d'autres je n'ai d'autre intention et devoir que de maintenir le statu quo jusqu'à nouvelles instructions de mon Gouvernement. Si vous voulez bien reporter votre pensée sur les mois qui viennent de s'écouler, vous constaterez que ce ne sont pas les autorités françaises qui peuvent être suspectées de mettre entre nous l'irréparable"./.

GOURAUD

الى سيادة المطران عبد الله خوري مطران صور نائب البطريرك الجزيل احترامه

ايها الاخ الجزيل الاحترام السلام بالرب والبركة الرسولية

وبعد فلا زال [illegible] لا زال الله يمنحكم كل خير وتوفيق وصل الينا تحريركم رقم ٤٦ المؤرخ [illegible] وسرنا علمنا بسلامتكم المرغوبة كما سرنا

ما افدتمونا عنه من اخبار عن النتائج التي حصلت حتى الآن من المساعي التي تبذلونها في سبيل المهمة التي عهدنا بها

الى درايتكم ولا تغفلوا لحظة واحدة عن [illegible] الاتكال على العناية الربانية وشفاعة امنا العذراء لانهما الموفقان

الى كل خير ونحن من هنا نسعدكم بصلواتنا الحقيرة من مدة جاءنا تحريركم [illegible] وارسلنا لكم طي جوابنا نسخة

عن تقرير الجمعية السورية في دمشق واخرى عن الاحتجاج الذي رفعناه الى المؤتمر والوزارة الخارجية [illegible]

من جوابنا قد وصل اليكم مع النسختين وقد [illegible] ولنا [illegible] ان [illegible]

الى المرجع. علمنا [illegible] المسيو [illegible] وسررنا [illegible] التي [illegible]

الحكومة الفرنسية التي [illegible] بعداله والعذراء [illegible] سررنا ايضاً ما ذكرتم [illegible] ولنا [illegible]

[illegible] عن لبنان [illegible] من افراد [illegible] لبنان [illegible] الصادقة

وصل الينا تحرير سيادة الاخ شقيقكم المطران [illegible] ولنا [illegible] هذا

ولحاجة الى تذكيركم بوجوب [illegible] الافادة عن كل ما يحدث لكم [illegible] بالنا. [illegible] بركتنا الى [illegible]

اولادنا رفقائكم كما انا [illegible] ٢٠ [illegible]

البطريرك
[illegible]

٢٤ حزيران ١٩٢٠

غبطة مولاي ادامكم الله [illegible]

[illegible] قاصداً

[illegible] بحدود [illegible]

بيروت حضرة [illegible] قبل [illegible]

غيرة الشبان اللبنانيين [illegible] لذلك [illegible]

سبيل استقلال لبنان [illegible] المجلس [illegible]

[illegible] المتحدة [illegible]

سبيل استقلال لبنان وقد [illegible]

الذين يطلبون استقلال لبنان [illegible] بيروت [illegible]

والتشديد [illegible] المسيحية [illegible]

وبلاحق [illegible] باسمهم [illegible] وكان [illegible]

[illegible] اجتهاد [illegible] عند [illegible]

البروتستانت [illegible] والرابطة [illegible] بيروت

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] مع [illegible]

[illegible] لبنان [illegible] عرض [illegible]

[illegible] المحروس [illegible]

[illegible]

[illegible]

Il s'appuie à cet effet sur les principes mêmes du Docteur Wilson:

II

L'INDEPENDANCE COMPLETE DU GRAND LIBAN DOIT ETRE RECONNUE.

Une entente politique du Grand Liban avec l'intérieur, difficile déjà à cause de l'antagonisme de deux civilisations opposées, a été rendue d'autant plus irrealisable qu'une monarchie hedjazienne, théacratique, a été importée en Syrie.

Le littoral tourné vers l'Occident depuis les Phéniciens ne peut consentir à se noyer délibérément dans un panarabisme envahissant et prémédité. Devant le péril, il entend défendre ses libertés.

III

Le Congrès de Paris a affirmé la nécessité d'une collaboration étrangère à l'effet de guider les peuples libérés de la domination ottomane et de leur servir d'appui. Le Peuple libanais a conscience de cette nécessité. Uni à la France par les liens d'une amitié séculaire, il demande que la France soit sa collaboratrice. Il ne saurait admettre d'autre collaboration que la sienne.

Des raisons puissantes militent en faveur de ce choix.

Ces raisons s'appuient sur l'histoire, sur les traditions, sur des affinités de race et de moeurs, sur une communauté de culture, sur la situation géographique des Echelles, sur une question de langue et de législation, sur une pensée et psychologie communes;

tellement que le Liban risquerait de perdre sa personnalité, s'il se confiait à d'autres mains.

IV

Dans un intérêt général (et c'est une question vitale

Programme présenté par le Groupement Chrétien.

Le Comité permanent exécutif du Groupement chrétien de Beyrouth;

Considérant que la collectivité dont il est l'organe autorisé compte les représentants les plus qualifiés,

non seulement des communautés chrétiennes mais encore de tous les éléments avancés du pays,

de toutes les classes et de toutes les professions, dans l'ordre moral, dans l'ordre intellectuel et dans l'ordre matériel;

cet ensemble constituant les milieux les plus éclairés et les plus agissants,

parce que pénétrés de la civilisation occidentale

donc les plus aptes à connaître des intérêts et des besoins de leur patrie,

déclare

dans la plénitude de son indépendance et selon sa conscience ce qui suit:

1°

LE LIBAN DOIT ETRE RETABLI DANS SES FRONTIERES HISTORIQUES, GEOGRAPHIQUES ET NATURELLES.

Spolié d'une partie de son territoire, la plus féconde, victime d'une politique d'usurpation et d'abus, le Liban étouffe dans les limites étroites que la violence lui a imposées. Il demande le redressement de ce tort. Pour vivre il a besoin de retrouver ses limites naturelles et historiques. Son droit à la restitution fondé sur la propriété séculaire du sol et sur la doctrine de l'irrédentisme (l'immense majorité des populations arrachées au Liban étant libanaise) va de pair avec son droit à la vie.

et délègue pour le représenter auprès de la Commission américaine ses membres:

M.M. Alfred Moussa Sursock

Michel Tuéni Bey

PierreTrad

Emile Achou

Chécri Arcache

Philippe de Tarrazi

Michel Naamé Trad

Michel Chiha

Beyrouth le 7 juillet 1919

Pour le Comité permanent Exécutif du Groupement chrétien de Beyrouth

LE PRESIDENT

LE SECRETAIRE

encore plus pour les régions de l'intérieur que pour celles du littoral) des accords économiques s'imposent entre le Grand Liban et les parties constitutives de la Syrie. Seule, une puissance collaboratrice commune;-la France,- peut assurer efficacement le jeu des relations économiques.

Des nécessités pratiques impérieuses commandent l'unité de cette collaboration.

Si des voix s'élevaient pour demander des collaborations différentes, ces voix prêcheraient d'avance des discordes futures et chercheraient à susciter, dans un but inavouable, de nouvelles misères à des peuples dont le passé n'est qu'une longue souffrance.

Ceci étant,

le Comité soussigné, formule à l'unanimité les demandes suivantes:

1°- Indépendance complète du Liban.

2°- Restitution de ses frontières naturelles, géographiques et historiques,dans les termes de la décision du Grand Conseil Administratif du Liban, avec pour capitale la ville de Beyrouth.

3°- Collaboration de la France à l'exclusion de toute autre.

4°- Extension de la collaboration française aux parties constitutives de la Syrie pour la sauvegarde des relations économiques.

5°- Accord du peuple libanais avec la puissance mandatée sur les termes de la Constitution à donner au pays et sur l'étendue dt la modalité du mandat.

Le Comité du Grand Liban : « Comité administratif »

Le 8/7/19.

Président : Président,

Boutross J. Diab Amin Hamadé Boutros J. Daher

Membre Ibr. Assouad César Malouf

N. Sanaya

F. Chaiban Selim Cardahy N. Dahoud

Chahin V. Karam M. Chesnairi,

George Bechdany

Ahmad Abdel-Hadi Aly Chahin Amin Tabet

Majid J. Daher Nassim J. Daher Jean J. Daher

Ajaïl Boutros B. Caram Ouadih Franjieh

H. Ajaïl M. Hamadé G. Macari Kh. Francis



Exposé

du Comité du Grand Liban, à la Commission Américaine

présenté à Beyrouth, le 8 Juillet 1919

....

le Comité du Grand Liban, formé de la majorité du peuple, résume ses désirs en ce qui suit :

1o. La restitution des terrains qui ont été ravis au Liban en l'étendant à ses anciennes limites.

2o. Le maintien de son indépendance isolé de la Syrie.

3o. L'organisation de son gouvernement national avec le mandat de la France.

Limites.

Le Liban est formé de deux chaînes de montagnes s'étendant du Sud au Nord séparées tout le long, par une plaine; l'une de ces chaines s'étend à l'Est aux deux cotés de Hermon et à l'Ouest, celle du Liban actuel, limitées au Sud par la Palestine à l'Est et au Nord par le désert dela Syrie et les courants de l'Oronte, et à l'Ouest par la Méditerranée.

Témoignages de l'Histoire.

Lestémoignages de l'Histoire prouvant l'identité des dîtes limites sont nombreux. La Sainte Bible, Polybe, l'historien Grec, Diodore de Sicile, Eusèbe, Evêque de Césarée, Ebn El-Abri, El-Makdesi, Aboul-Fida, Ebn Batouta Chamseddine El-Dimaschki et autres historiens en font foi.

Preuves naturelles.

La nature ayant limité le Liban par ces chaînes montagneuses précitées, elle l'a doté de ses plaines et ses fleuves qui seuls garantissent la vie au peuple qui y réside .

Toutes ces montagnes et ces plaines reconnues dès l'antiquité sous le nom du Liban démontrent l'unité de ce pays partagé par les exigences politiques. Les plaines ont toujours été des annexes aux montagnes limitrophes puisque c'est de leur hauteur que ces plateformes reçoivent l'eau et la terre et ce sont les montagnards qui ont toujours exploité les plaines

T E L E G R A M M E

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

RIPOLISYRIE 57-40-13-18Mte.

Congrès de la Paix

PARIS.

Nous jeunesse Syrienne de Sandjak de Tripoli réunis protestons énergiquement contre couronnement Emir Fayçal Roi de Syrie et lui denions toute autorité sur nous Demandons mandat éntégral de la France

Le Président Bechir Osman Alameddine

Beyrouth, le 7 JUILLET 1919.

A l'honnorable Commission Américaine.

Nous commençons par vous présenter nos respectueux hommages, faisant parti de la classe religieuse à Beyrouth, nous sommes d'accord pour réclamer avec nos frères les hommes de culte, qui ont eu l'honneur de vous voir ce matin concernant l'indépendance des pays et de son avenir ;tandis-que nous protestons de toutes nos forces contre ceux qui ont demandé un Gouvernement qui ne convient à nos intérêts:nous demandons l'aide du Gouvernement français à condition de ne pas compromettre notre indépendance nous avons préféré la France parce que ses habitudes son éducation ressemblent aux nôtres d'un côté et parce qu'elle est libre,tolère (non fanatique) pour toutes les religions, et ensuite nous avons beaucoup de relations commerciales et économiques qui nous lient ensemble -Pour finir nous réitérons nos respects

Dr. en théologie musulmane
et ancien juge
Abdul.Rahman
Krétime
(cachet)

Dr. en théologie musulmane
Prédicateur et professeur
à la Mosqué de Basta
Mouhammed Alaya
(cachet)

Dr.en théologie musulmane
Mouhamed Adib
(cachet)

Très Secret

حضرة المكرم المسيو جورج بيكو المعتمد الفرنساوي الأعلى حفظه الله —
سلام واحترام. أما بعد فانني كنت موجوداً في الشام وقبل سفري الى الجبل تشرفت بالحضور لدى الكولونل كوس المعتمد في الشام وسألته اذا كان يريد شيئاً من الجبل وهل من اللازم نزول فارس بك الاطرش لمقابلة اللجنة فكان جوابه لي لا وطلبت منه اجازة سفر فاعطاني البركة. ثم اني قابلت جنرال كيل والح علي بالسفر فامتنعت بناءً على جواب الكولونل كوس ولكني شعرت بان مجيئي يرتجى اذا اقمت بالواجب فقمت قبل نصف الليل من فراشي وذهبت الى محطة الحجاز حيث ركبت قطار نصف الليل ووصلت الى خربة الغزاله عند الصباح ومنها ركبت حماراً لاجل الوصول الى الجبل فبقيت طول ذلك النهار ووجهي امام شمس حارة وهواء سخن حتى احترق وجهي وكنت سائراً في تلك البرية بدون سلاح على الاطلاق ولا يخفاكم ما وراء ذلك من الخطر على حياتي وقد رأيت قتيلاً في منتصف الطريق.

وصلت ذيبين بلد فارس بك الاطرش عند الغروب واخبرته بوصول اللجنة وبضرورة نزوله الى الشام ففي الحال ارسلني الى قرية ام الرمان حيث سلمان بك الاطرش لكي استجلب له وكالة من جنابه فذهبت الى ام الرمان في الليل وبقيت طول تلك الليلة بدون نوم حتى اخذت الوكالة ورجعت في الصباح الى ذيبين وحال وصولي اليها ركب فارس بك الاطرش وركبت معه الى (عره) حيث جمع جنابه عدداً من ابناء عمه الرؤساء واخذ منهم وكالات وبتنا تلك الليلة في (عره) وكنت مريضاً لم انم طول الليل من شدة ما حل بي من التعب.

وعند الصباح ركبنا من (عره) الى خربة الغزاله حيث ركبنا القطار ووصلنا الى الشام ليلاً وصباح اليوم الثاني ذهبنا الى اوتيل داماسكوس لاجل مقابلة اللجنة ولم يكن غير فارس بك الاطرش وانا معه. وكان نهار الاحد فاعتذر احد الاعضاء بانه لا يوجد ترجمان عربي وطلب منا ان ننتظر ساعة حتى يحضر الترجمان فكلمته انا باللغة الفرنساوية وقلت له لا حاجة لنا بترجمان لانكم تعرفون اللغة الفرنساوية فقبل ذلك ودخلنا الى الصالون حيث الرئيس Cling والكابيتان Yall فقط فجلسنا وابتدأ الرئيس يسألنا واليكم خلاصة الحديث:

الرئيس — هل حضرة ~~الرئيس~~ البك ينوب عن احد؟

نحن — نعم انه من رؤساء جبل الدروز ومعه وكالات من غيره من الرؤساء (وسلمناهم الوكالات)

الرئيس — ماذا تطلبون؟

الجواب — نطلب الاستقلال الاداري الواسع لسوريا تحت حماية فرنسا

الرئيس — لماذا تفضلون فرنسا على غيرها؟

الجواب — ان الحلفاء جميعهم كفؤ للقيام بحماية سوريا ولكننا نفضل فرنسا على غيرها لانها كانت تحمي سوريا وتعطف على السوريين في حين لم يكن غيرها من الدول يفعل ذلك اي قبل الاحتلال وقبل الحرب [illegible] اي اذن

— صاحبة الفضل على السوريين ونحن نعرف ان نحفظ الجميل .

الرئيس — هل تريدون ان تبقى فرنسا في سوريا ولا تخرج منها ابداً ؟

الجواب — متى ارتقت البلاد وصارت قادرة على القيام بشؤونها وحكم نفسها بنفسها لا مانع من خروج فرنسا بشرط ان لا تخرج فرنسا دفعة واحدة بل تعمل على توسيع نطاق الحكم الذاتي رويداً رويداً حتى تخرج نهائياً من البلاد اذا طلب الشعب خروجها

الرئيس — هل تريدون ان تنفصل فلسطين عن سوريا ؟

الجواب — ان فصل فلسطين يضر بمصالحنا لذلك نرفض الفصل رفضاً باتاً

الرئيس — هل كان البك في الجيش قبل الاحتلال ؟

الجواب — نعم انه حارب عندما دخلت الجيوش الى حوران فانه اخذ اتباعه وسار بهم الى ساحة الحرب وقد فعل ذلك مجاناً بالاشتراك فقط ولم يكن له صفة رسمية في الجيش .

الرئيس — في اي جيش من جيوش الحلفاء كان ؟

الجواب — انه كان مع الجيش العربي وذلك لان الخط الشرقي كان معطى الى العرب وبلاد البك واقعة على الخط الشرقي من ساحة الحرب .

الرئيس — هل تريدون ان يكون الامير فيصل ملكاً على سوريا ؟

الجواب — كلا اننا نريد حكومة جمهورية ديمقراطية على اصول اللامركزية مثل الولايات المتحدة .

الرئيس — حضر امس وفد درزي وطلب غير طلبكم لماذا ؟

الجواب — ان الوفد المذكور مشترى بالدراهم ومعظمه من موظفي الحكومة العربية التي حبطت سياستها ضد الفرنسويين وخدمت الانكليز بل هي آلة بيد الانكليز .

الرئيس — فعلم ذلك وهل عندكم برهان على ان الوفد الذي مشترى بالدراهم ؟

الجواب — هذا لا يحتاج الى برهان لان اعضاء الوفد يقرون بذلك فان سلطان باشا الاطرش يأخذ معاشاً قدره ستين ليرة في الشهر وحسين بك الاطرش اربعين ليرة في الشهر ومثله نسيب بك الاطرش وكل هؤلاء تكلموا امامكم خوفاً لا طمعاً لان جميعهم قد استأجروا .

الرئيس — هل ان فرنسا لم تدفع دراهم لتشتري الناس ؟

الجواب — ان فرنسا لم تدفع شيئاً وعملها لا يخفى على حضراتكم .

هذه هي خلاصة الحديث الذي دار بيننا وبين اللجنة وكنا كلما قال الرئيس شيئاً مهماً نكتبه عنده . وفي اليوم التالي كتبنا بروغرام خطاً وقدمناه للجنة واخذت لكم صورة البروغرام طيه . وافياً تفضلوا بقبول فائق سلامي واحترامي ٢ تموز ٩١٩ تا

[illegible]

ان ما كتبه سكرتيري عارف افندي الزغبي في هذا التحرير كله صحيح لذلك فاني اصادق عليه ٢ تموز ٩١٩ تا

[illegible]

Très Secret

(صورة البلاغ ١)

حضرة اعضاء اللجنة الامريكية المكرمين.

سلامي واحترامي. وبعد فقد زرتكم نهار امس واخبرتكم اماني ورغائبي شفاهاً بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن عدد من الرؤساء اللذين وكلوني وسلمتكم الوكالات نهار امس. والان حفظاً لما قلته اكتبه لكم خطاً وهو:

انا الموقع امضاي اداه من رؤساء جبل الدروز بالاصالة عن نفسي وبالوكالة عن متعب بك الاطرش وعن سلمان بك الاطرش وعن علي بك الاطرش وعن اسعد بك الاطرش وعن سليمان بك الاطرش وعن الشيخ نعمان ابو غانم وعن الشيخ حسن حمزه (الوكالات عندكم) اطلب ما ياتي:

أ الاستقلال الاداري الواسع لسوريا تحت حماية فرنسا.

ب عدم تجزئة سوريا

ج ان الوفد الدرزي الذي حضر امامكم قبلنا وطلب غير مطالبنا هو مشترى بالدراهم والشعب لا يعلم عنه شيئاً لان مطاليب الشعب هي نفس مطاليبنا نحن. وبياناً لما نقدمه لحضراتكم عن الوفد المشترى بالدراهم نفيدكم ان سلطان باشا الاطرش يقبض معاش ستين ليره بالشهر ونسيب بك الاطرش اربعين ليره بالشهر وحسين باشا الاطرش اربعين ليره بالشهر وكلهم لا يعلمون بحكومة على الاطلاق سوى انهم يأخذون هذه الدراهم ليطلبوا حماية انكلترا رغماً عن ارادة الشعب الذي لا يعرف عن اعمالهم امراً. هذه هي الحالة الحقيقية عندنا في جبل الدروز يا حضرة الاعضاء الكرام واقبلوا فائق احترامي ١٠ حزيران ٩١٩

[illegible] سعيد الاطرش

بيان

بما ان الرؤساء اللذين وكلوني مبينة صفتهم ومكانتهم في الوكالات فقط والوكالات قد سلمت لاعضاء اللجنة لذلك فاني ابينهم لكم كي تعرفوهم وهم:

متعب بك الاطرش	شيخ رساس
سلمان بك الاطرش	شيخ ام الرمان
علي بك الاطرش	صاحب حزب في السويدا
اسعد بك الاطرش	صاحب حزب في السويدا
سليمان بك الاطرش	شيخ المجيمر
الشيخ نعمان ابو غانم	مندوب المقرن الشرقي
الشيخ حسن حمزه	وكيل سليم باشا الاطرش في عره

auprès de Votre Excellence et pour les encouragements précieux que vous avez voulu lui prodiguer

Nous avons quitté la France, le cœur soulagé de voir enfin notre pays libre recouvrer ses anciennes frontières, ayant en main les assurances écrites de Monsieur le Président du Conseil. Les populations libanaises en étaient encore toutes livrées aux transports de joie, lorsque l'Emir Fayçal rentrant de France, laisse entendre avec les hommes de sa suite que tout en ne s'opposant pas à l'indépendance du Liban il s'était entendu avec le Gouvernement Français que le Liban restera ce qu'il est en ce moment, que la carte du Liban dressée par les officiers de l'Etat Major de l'expédition de 1860 est loin de recevoir sa réalisation ; en un mot, la lettre adressée par Monsieur Clémenceau au Président de la Délégation Libanaise est, pour ce qui concerne l'agrandissement du Liban, de nul effet

En face de ces déclarations, j'ai cru, Monsieur le Président, devoir vous exposer la situation et déléguer, en vertu du mandat que je tiens des populations du Grand Liban Mgr Abdallah Khouri, Archevêque Maronite d'Arca, Vicaire Patriarcal, auprès du Gouvernement Français à la tête d'une délégation libanaise, pour qu'en mon nom et au nom du Liban il poursuive la réalisation des revendications du Liban d'après le mémoire déposé par moi

C OP IE

TRADUCTION D'UNE PETITION

Nous, les soussignés, vu les procurations que nous possédons de la part de tous les comités de travailleurs du Grand Liban pour représenter auprès du Comité central des travailleurs Libanais, nous décidons ce qui suit;

1o. Sauvegarde des intérêts de tous les travailleurs sans distinction de métier dans toute l'étendue du territoire du Grand Liban.

2o. Révendication des territoires arrachés du Grand Liban par la force.

3o Compter sur la France qui a libéré le monde d'être notre collaboratrice.

4o. Choisir le journal Nadi" pour défendre nos droits et donner à son Directeur tout le pouvoir pour nous représenter devant les administrations.

5. Créer des succursales pour ce comité dans toutes les régions du Mont Liban.

6. Les comités central sera composé de tous les représentants de travailleurs sans distinction de métier, ni d'art; chaque métier sera représenté par son président particulier où par son secrétaire

7o. Cette décision sera impriméeen quatre exemplaires dont une copie sera envoyé au gouvernement français par l'intermédiairede son HAUT COMMISSAIRE-M. GEORGES PICOT, une copie au gouvernement du Liban une copie au Grand Patriache lui donnant le pouvoir de parler au nom des travailleurs libanais à la Conférence de la Paix et une copie au conseil des quatre par l'intermédiaire de la Commission américaine.

En foi de quoi, nous sousignons;

Signé : 14 syndicats de travailleurs.

١٩ ايار ٩٢٠

نبدي لغبطتكم الشريفة

ثرونه بطيه كتابة مع نسخة مختومة لها تقدمونها
لصاحبها وحيث اننا [illegible] فلم نر ان نرسلها
باسم غبطتكم ايده الله [illegible] . ثم اطلعنا على
ذلك فنشكر الله على ذلك ثم وقف البيك
بقرب عودة المسيو روبار دي كاه الى باريس ونصحاتنا
الاخيرة مع الجاوش هنا [illegible] ان نشعر بان الله لا يترك
بلادنا ونرى ان الاستعدادات حسنة في جهة [illegible]
الحدود [illegible] بقدر الامكان ونظن انهم حاذرون
على ذلك [illegible] مكتوماً لغبطتكم [illegible]
[illegible] . [illegible] البيك بقرب وصول الاجر [illegible]
الى باريس . استغربنا [illegible] ارسال تلغراف يفيد
[illegible] على اثار [illegible]
[illegible] الى باريس ان الرياضة [illegible]
[illegible] .

هذا ما اقتضاه [illegible]

١٩ ايار ٩٢٠

au Secrétariat général de la Conférence.

Je me rends compte, Monsieur le Président, de l'importance de vos préoccupations en ce moment et n'était ce la conviction de l'intérêt réel que vous portez au Liban, et les paroles encourageantes que, Président de la Chambre des Députés, vous avez bien voulu me prodiguer, je ne me serais pas permis de vous distraire. Je viens à vous avec d'autant plus de confiance que je suis convaincu que le Président de la République ne se laissera pas surpasser en générosité par celui de la Chambre des Députés.

Je prie Votre Excellence de daigner agréer l'hommage de mes sentiments profondement respectueux

† Elias Pierre Hoyek
Patriarche Maronite

Une page de l'Histoire du Liban

A Mgr Hoyek "Patriarche du Liban"

(Rapport fait par Mgr. Abdallah Khoury et présenté au Patriarche Hoyek)

[illegible]

يوميات المطران عبدالله خوري
في باريس عندما ترأس
الوفد الثالث الى مؤتمر
الصلح في باريس
١٩٢٠

reçue par le General
Gouraud à Aley.
Le premier Octobre
je reprenais ma place
au Patriarcat - ~~[illegible]~~
à la résidence d'été
de Dimane, confiant
dans l'avenir de mon
pays et dans l'accom-
plissement de son
destin

le pays tomber un jour sous l'autorité de ce chef bédouin, comme ils disent, a poussé un certain nombre de notables libanais à envisager la création immédiate d'une République libanaise complètement indépendante de la Syrie et protégée par la France. Plusieurs d'entre eux, pour couper court à toute équivoque dans l'avenir et accentuer cette indépendance, voudraient que l'ancienne "Phénicie" reprît ce nom, qui serait substitué à celui de "Grand Liban".

Cette idée, lancée il y a quelque temps, se répand rapidement dans le pays et un mouvement sérieux pour le soutenir apparaît tous les jours plus net.

L'entente turco-arabe

Plusieurs Turcs de marque ont assisté au couronnement de Faiçal le 8 Mars, entre autres le prince SELIM (fils du Sultan ABDUL HAMID), le prince SABAHEDDINE, (dont la mère est la soeur du Sultan actuel), et BAKIR SAMI Bey, ancien gouverneur de Beyrouth.

Des entrevues qui ont eu lieu entre Faiçal et cette ambassade serait sortie une entente complète entre le Gouvernement de Constantinople et celui de Damas. Cette entente, paradoxale au premier abord, suppose que la Turquie n'émet plus aucune prétention sur les territoires qui composent le nouveau royaume arabe. Dans ces conditions, aucun motif d'inimitié ne subsiste entre Turcs et Arabes, et l'intérêt de l'Islam leur commande de s'unir contre l'Europe envahissante.

Les détails de l'accord auraient été déterminés avec beaucoup de précision. Faiçal se serait engagé à soutenir tacitement le mouvement kémaliste qui tend à l'affranchissement complet de l'Asie Mineure se réservant d'entrer officiellement dans la lutte contre nous à notre premier revers sérieux

le triomphe des extrémistes

La situation politique, qui était jusqu'ici assez confuse, prend un caractère plus net avec le triomphe complet du parti extrémiste dont l'Emir Faiçal a ouvertement pris la tête.

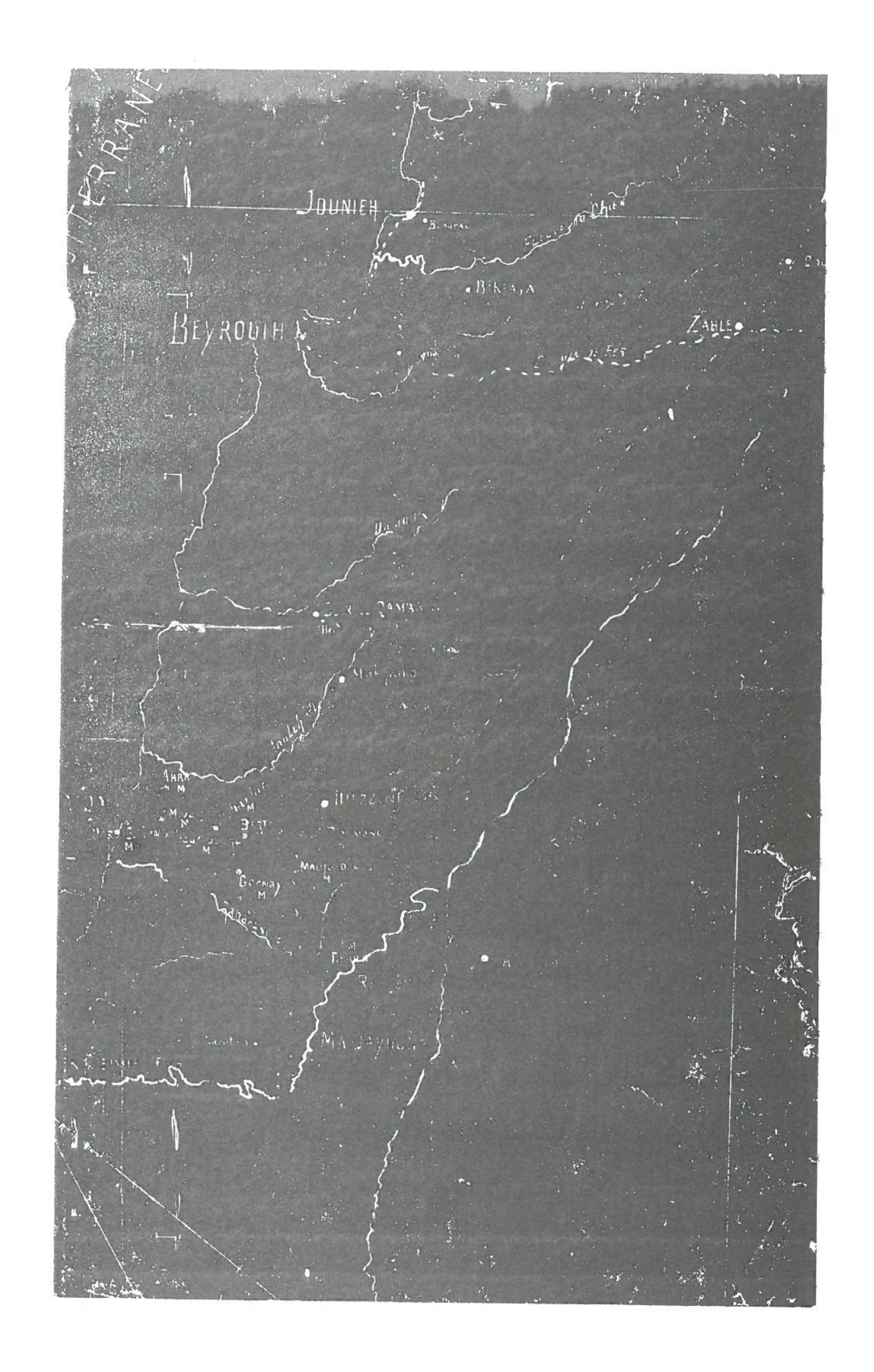
بطريركية الموارنة الأنطاكية
PATRIARCHATUS ANTIOCHENUS
MARONITARUM

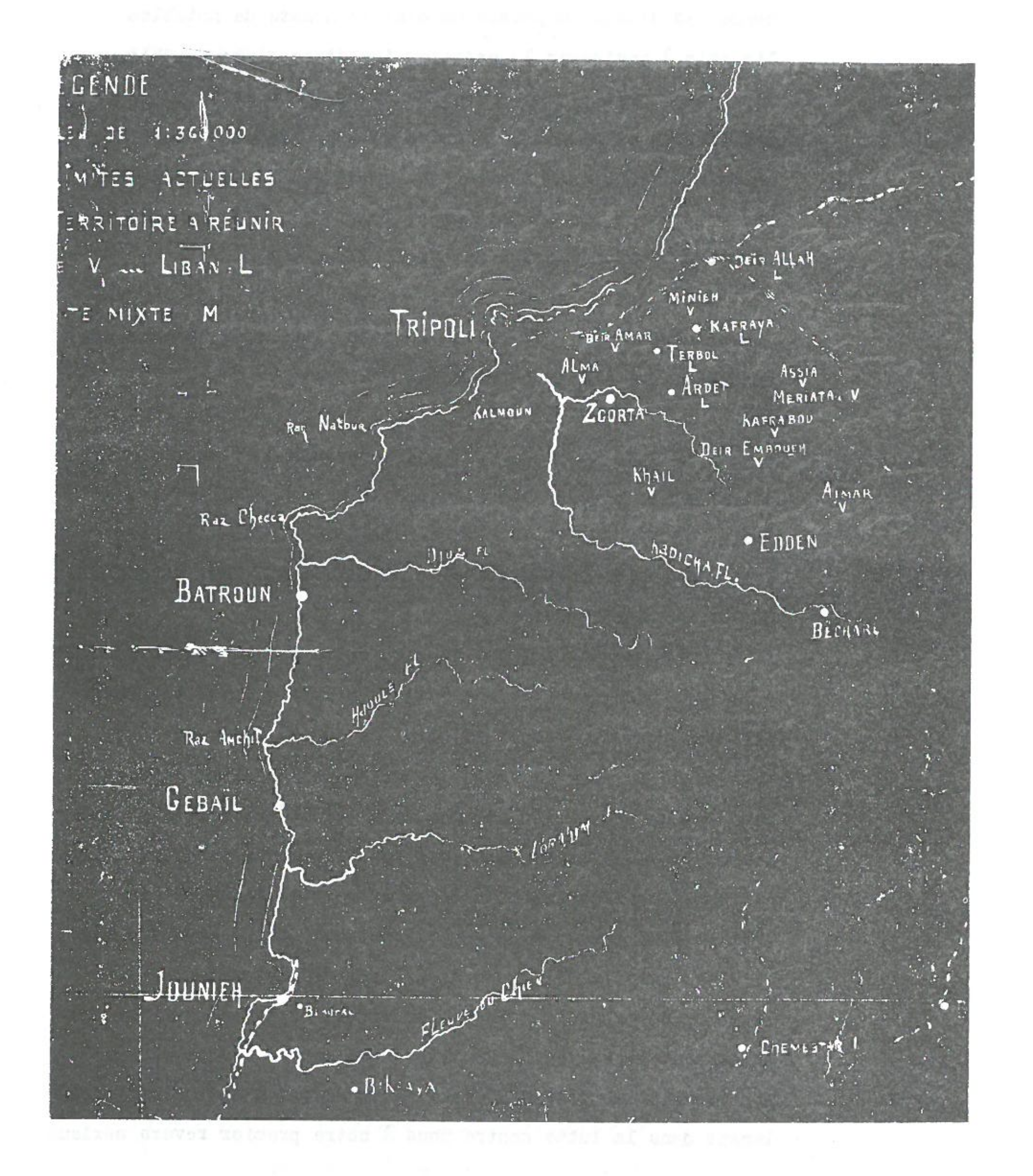
Bekorki ~~Nea Kannobin~~ le 30 Janvier 1920.

Monsieur le Président,

Je m'apprêtais, aussitot rentré au Liban, à vous dire toute ma reconnaissance pour le bienveillant accueil que j'ai eu auprès de Votre Excellence et pour la sympathie marquée que vous avez bien voulu témoigner à la cause de notre malheureux Liban. Dévancé par la nouvelle de Votre élection à la Présidence de la République, j'ai dû, pour qu'elles arrivent à temps, vous adresser par télégramme, les félicitations du peuple Libanais et les miennes me réservant pour plus tard de vous présenter l'expression de ma vive et sincère gratitude pour la haute bienveillance que le Président de la Délégation Libanaise a rencontrée

A Monsieur Paul Deschanel
Président de la République Française
Paris


JOUNIEH
B'KFAYA
BEYROUTH
ZAHLE


LÉGENDE
LIMITES ACTUELLES
TERRITOIRE À RÉUNIR
V ... LIBAN : L
MIXTE M
TRIPOLI
DEIR ALLAH
MINIEH
KAFRAYA
BEIT AMAR
TERBOL
ALMA
ARDET
ASSIA
MERIATA
ZGORTA
KALMOUN
KAFFABOU
Ras Natbur
DEIR EMMOUEH
KHAIL
AIMAR
Raz Checca
EDDEN
BATROUN
BECHARE
Raz Anchit
GEBAIL
JOUNIEH
Fleuve du Chien
B'KFAYA

٤ نيسان

نبدي لفخامتكم [illegible]

بعد اهدا منح البركة الرسولية مقرونة بدوام [illegible] هذه [illegible]

و[illegible] ٢٦ اذار [illegible] ومحبته لاهل لبنان والجميع بالصحة واما نحن [illegible] من حوادث

الشعب الذي تحسنون اليه وقد تسبب لنا غبطته ايده الله [illegible]

وللعلم فيما اذا كان وصلني تلغراف جواب لحبيب باشا وصورة [illegible]

للمجلس عن الخطبة التي [illegible] وفي هذا الجواب الذي ارسله [illegible]

نقل التلغراف الينا [illegible] بالامير فيصل [illegible] الوزارة [illegible]

بان حوادث [illegible] بمصالحنا الوطنية وقد صار [illegible] الوزارة

والوزير ميلران [illegible] هذه الصورة . [illegible]

[illegible] بقدر ما [illegible] وبما اني اعتقد ان غبطته

[illegible] لبعض الاحيان [illegible]

[illegible] في الحرب . لا يزال اعتقادنا متيناً بنوال الاستقلال التام

[illegible] انما نخشى من هذا [illegible]

نرغب ولا بقدر ما نرغب نخشى ان نعطى جنوب لبنان [illegible]

مع البقاع الغربي فقط دون بعلبك والبقاع الشرقي وان نحرم [illegible]

[illegible] وهذا [illegible] بعض رجال [illegible]

التاء فخامة الجنرال غورو

في الخامس والعشرين من شهر اذار سنة ١٩٢٠ اثنآء دورته التفتيشية بين طرابلس وزغرتا واللاذقية

ايها اللبنانيون المحبوبون

ان دآء المهاجرة يهدد لبنان بالهلاك لما دخلتهُ فرنسا صديقته وامه الحنون حاملةً اليه الحياة ورغد العيش

نعم لقد نزح عدد وافر من بينكم وارسلوا قسماً من الاموال التي اكتسبوها في تلك الديار الشاسعة ومن البديهي ان يرغب الفتيان الاشدآء في مصارعة الاقدار مع مشاهدتهم بعض مواطنيهم يقذفون بانفسهم الى مواطن التهلكة فيجازفون بصحتهم لقآء اموال لا تمكنهم الامراض من التمتع بها فتذكروا الذين ذهبوا ضحايا المال بسبب قسوة بعض الاقاليم

اما اذا اصرَّ البعض منكم عَلَى أن لا يبالي بذلك فأقدم عَلَى المهاجرة افلا يرتكب البعض الآخر خطأً فاضحاً بمغادرتهم اوطانهم قانطين من المستقبل عَلَى السنين السالفة الهائلة او مرتابين في امر مصير بلادهم فيتركون جبلهم وقد بزغت عليهِ شمس جديدة

ان فرنسا تهتم في امر حريتكم ولا تألو جهداً في سبيل تأييدها وهي تضمن لكم استقلالكم الذي افصح عنه اعيانكم وتتكفل ايضاً بانمآء ثروة الجبل وبسط الرغد فيهِ ولن تعدل قط عن هذا المنهاج

فباسمها وفي سبيل شرفها اريد ان ابذل جهد المستطاع في استخراج ما تكنهُ بطون الجبل من المواد الثمينة. عندكم مياه غزيرة تولد لكم قوى جديدة وتجعل ارضكم المجدبة ارضاً غنية خصيبة. فيمكنكم ان تستعينوا بالقوى الآلية عَلَى زيادة قواكم الطبيعية وتكثير غلالكم وتحسنوا طرق الزراعة وتخصصوا المحصولات اه فـ فائدة تلك الاراضي التي احياها آباؤكم بثبات عجيب وصبر جميل. وستجد نساؤكم جزاء اتعابهن في ممارسة الصنائع البيتية التي ساجتهد بان اوجد لها المواد الاولية والوسائل اللازمة لتصريفها. وثمَّ فان الجبل بعد تنظيم احوالهِ سيصبح محط رحال الوفد من الزوار والسياح القادمين من البلاد المجاورة

انتم ايها اللبنانيون تسكنون بلاداً شائقة فمن الخطأ المبين ان تغادروها بدون داعٍ موجب بينما نرى كثيراً من الاجانب يعدون انفسهم سعداء باستيطانها ليتمتعوا بلذائذها وطيباتها

اعتصموا بالصبر وطول الأناة لان الاحوال ستتحسن باشتراك اموال فرنسا مع نشاطكم واجتهادكم فلا تقنطوا ولا تيأسوا في مكافحتكم لاجل احيآء لبنان وقد اتت لمساعدتكم حليفة قوية محبة لكم عَلَى كرور الاجيال

ان فرنسا لا تهملكم بعد ان فوضتم اليها امركم وكما انكم اتخذتم للبنان في الزمن الغابر علم فرنسا القديمة فقد قررتم اليوم بلسان اعيانكم ان تكون الارزة وهي شعاركم الوطني مرسومةً في وسط الالوان المثلثة الافرنسية الجديدة وفي ذلك برهان قاطع عَلَى دوام الصداقة والتحالف

ايها اللبنانيون لا تفروا من المعركة وقد استفتتم باصدقائكم القدماء الذين يحبونكم منذ اجيال بعيدة

الدرقة وهنا نخشى مع ما هو معروف من اهمال فوش بان تزداد في الحروب
والمفاوضات في سوريا وبان تبسط وجاهتها عليها ان تنتشر من
مع الداخلية في هذه الادارة التي هي لنا وقد لفتنا الانظار هنا الى عدم
موافقة آلاي نحو بعض الذين قتلوا في الجنوب في لبنان وترك
مشجعي البقاع وعكار خارجين عنه وقد لفتنا ذلك هنا طلبهم من
صديقنا وعدونا بالتفات نظر الحكومة للامر ولكن يعتقدون
ان الحركة التي حدثت في الشام وكانت شبيهة هنا اهل سوريا فاعلم
هي تجسيم لبنان اكثر مما سواها لنوال مطالبهم ونحن نعتقد ذلك
انما نخشى الله تغلب حب الانتقام في الشام من ينتهز الذنب ويأتي
الى البعض المرحلة مع الشام ولا نتسابق بشأنها بتاتا او لسنا نعلم في
ذكرهم ان رأي الجنرال غورو هذا المعول عليه هنا ولذلك
اصبح من الضرورة ان تلافي المشكلة بنفسه بواسطة الا اذا احد
الاثنين راث او عمل ليد روبار دي كه وهذا كتب لي ليدي
اسف تركه في قبل وصولنا ويقول انه لب عندنا من هناك
وانه مع الغائب يعود ان نوف قبيل وضع المعاهدة الاخيرة
المتعلقة بنا وكانت بقا عرضنا لغبطته ما سمعناه من
بان من رأيه ان يبقى بيروت مدينة حرة وليس فقط مينا حرة
ولذلك صرنا بحيرة من امره فلهذا يلزم ان تحصر مداركة
هذه الامور بنوع يضمن لنا مساعدة الحقيقية. كتب
الى حضرة الاب ... نتوران قاس غبطته هو يطلعه اليه

تحننا في مدة هذا الاسبوع ببعض حفلات في كنيستنا منها قداس
خميس الاسرار بالاشتراك مع الكهنة الموجودين هنا ودفن الصليب
نهار الجمعة ثم قداس السبت (القيامة) ولكن شتان بين ما يعمل هنا
وما يعمل في بكركي وبالحقيقة كنت اشد ما يكون لتغيبي في مثل هذه
الاعياد والانشغال بامور لا علاقة لها مع مثل هذه الواجبات
تشغلني نوعا ما لكني اعتقاد اهن ان الرب لا بد يدرك خدمة ابني
حسي وديني. والان اقايكم بهذا العيد المجيد سائلا المولى
ان يعيده عليكم بالصحة. ثم اعود اتذكر عدد القارضين التي قدمها لغبطتكم
بهذه المدة لانه كثرت كثيرا اذ انني لا ادع ولا افكرة الا حركة بعد
دون ان احرر هذا واذا الا بعد ...

الداعي ...
المطران عبدالله خوري

ابن ...

E Annexe à Beyrouth
10151 du 20/1/1919

الى سعادة بيكو ممثل الدولة الافرنسية الفخيمة في سورية

بيروت

يا حضرة الكوميسير السامي

حيث ان الشائعات في قضاء بعلبك واحزاب كثرت الاقاويل فيها وتعددت بتلون نزعة ذويها دون ان يظهر لنا الجلاء في مطالبها الغامضة نتشرف ان نرفع لسعادتكم ما يأتي: نحن الموقعين بذيله المسيحيين القاطنين في غربي قضاء بعلبك لبنانيون الاصل وقيد نفوسنا الاكثرية منا لم يزل في جبل لبنان ثم نؤدي سجلات حكومته التي لم تزل تتقاضانا جميع المرتبات اسوة باللبنانيين القاطنين فيه ثم ان الحكومة التركية البائدة التي فصلتنا عنه ظلماً واستبداداً ثم تمكنت بكل مدة حكمها تعترف بتبعية نفوسنا للبنان ولم تتقاضانا سوى المرتبات على املاكنا ومواشينا فقط. ولما كان موقعنا الجغرافي يعتبر جزءاً من لبنان وكانت عاداتنا وتقاليدنا ولبنان واحدة وكنا مرتبطين معه ارتباطاً اقتصادياً وكان انفصالنا يجر علينا عدة لمشاكل اقتصادية وسياسية ثم ودت تودي بنا وكنا قد قاسينا من المظالم التركية والالمانية في زمن الحرب ما ازهق النفوس واباد الزرع والضرع اننا نطلب اعادتنا والحاق املاكنا الى لبنان ملتمسين ان ترفعوا استدعاءنا هذه لمقام دول الائتلاف لينظر مؤتمر الصلح في باريس وفي الختام نلتمس قبول فائق احتراماتنا. ٢٦ ك ثاني ١٩١٨

Service des Informations de
la Marine dans le Levant

Service Central

BEYROUTH, le 12 Mars 1920

RAPPORT HEBDOMADAIRE
sur la situation politique

S Y R I E

1 Résumé de la situation
2 La République libanaise - La phénicie
3 L'entente turco-arabe
4 Le triomphe des extrémistes

Résumé de la situation.

Zône Ouest:- La situation, calme dans le Liban, est troublée dans la plupart des autres régions de la zône Ouest. Les actes de brigandage se font de plus en plus nombreux dans ces dernières.

L'annonce du couronnement de Faiçal qui a eu lieu le 8 Mars à Damas provoque un malaise général parmi les populations chré - tiennes de notre zône. Elles craignent d'être englobées quelque jour dans le nouveau royaume.

L'impatience croît de voir régler définitivement le statut des territoires ennemis occupés.

Les menaces d'attaque persistent sur les régions de MERDJ AYOUN et de TEL KALAT.

Zône Est.- Le Gouvernement arabe entretient soigneusement le calme dans la Beka, qu'il désire voir demander son rattache - ment à Damas. Dans les autres parties de la zône les transports d'armes et de munitions continuent.

La République libanaise. La Phénicie.

La nouvelle du couronnement de Faiçal à Damas a surexcité violement l'opinion publique dans le Liban. La crainte de voir

لمعالي حضرة الكومسير العالي الافرنسي في ولاية بيروت المسيو جورج بيكو الافخم

نحن الواضعين امضانا ادناه اهالي قضاء مرجعيون نعرض لمعاليكم بحيث حتمنا الوضعية الآن لان سعدنا على طلب استقلالنا رسماً وبحيث انه يحق لنا فرنسا هي اول دولة تحول حقوق المدنية والعمران لكل بلاد تدخلها فنطلب من معاليكم اجابة طلبنا الذي هو استقلالنا السوري تحت حماية فرنسا ونرفع عريضتنا هذه لمحل الايجاب حتى لا نحرم في المستقبل من سعادة دولة العمران والترقي

Requête [illegible]

لمعالي الكومسيرية الافرنساوية في سوريا

المعروض نحن الموقعين ادناه القاطنين قرية قصايبا في البقاع من الطائفة المارونية اننا لبنانيين اباً عن جد وكنا ولا نزال ندفع مال اعناقنا لحكومة الجبل وفي ايدينا مظابط من مجلس ادارته الكبير تشهد بلبنانيتنا ونحن على هذه الصفة مهما تقلبت الاحوال لا نحيد عن الانتماء الى وطننا الاصلي والانتساب اليه. ولكن اثناء الحرب استبدت بنا تلك الحكومة الغاشمة البائدة والغت امتيازنا ولم نقتنع اوراقنا الرسمية المثبتة لبنانيتنا والمميزة لنا عن ابناء الولاية وقيدت اسمائنا جبراً وقسراً في دفاترها وسجلاتها.

ولما جئنا الان نرفع عريضتنا هذه نلتمس اعادتنا لبنانيين تابعين لحكومته ولا نكنا نقطن الولاية لا نعتقد بما لحقنا واملاكنا عقاراتنا ستحفظ هذا الشعار ما دام فينا فرد حافظة مكررين التماسنا لسعادتكم الكريم مستنداً من المراحم الايجابية العالية بسط الحماية علينا حتى لا تسري علينا احكام الدولة في نفوسنا كما هي في املاكنا. هذا راجين اجابة التماسنا ولا زلنا ندعو بنصر دولة العدل والسلام ناشرة لواءها مظفراً منصوراً انتباد تحت ظلاله ابد الدهر ١٢ حزيران ٩١٩

أياك

ان يضلك الخونة

لا تبع

بلاد اجدادك فتلعنك اولادك واحفادك

عش حرا

فك اسرك من نير الاستعباد فتستريح وتكن مطالبك هي :

اولاً — اطلب (الاستقلال السياسي التام) بلا قيد ولا شرط ولا حماية ولا وصاية

ثانياً — لاتقبل بتجزيء بلاد اهالك ووطنك اي (سورية كلها جزء لايتجزأ)

ثالثاً — اطلب حدود بلادك من الشمال (جبال طوروس) ومن الجنوب (صحراء السينا) ومن الغرب (البحر المتوسط)

رابعاً — تمنى لبقية البلاد المحررة العربية (الاستقلال والانضمام)

خامساً — عند الاحتياج رجح ان تكون المعاونة المالية والفنية من دولة امريكا بشرط ان لا تمس استقلالنا السياسي التام

سادساً — احتج على المادة (٢٢) من قانون جمعية الامم القائلة بوجوب الوصاية لانك اهل للاستقلال

سابعاً — ارفض كل حق تدعيه دولة ما بان لها حقوقاً تاريخية او رجحية في بلادنا رفضاً باتاً

وطني عربي مفادي

سوريا مستقلة لا توكيل · لا وصاية

الى الشعب السوري الكريم

ها قد عاد الامير فيصل من مؤتمر الصلح حاملا اليك بشائر استقلالك وحكم نفسك فابتهج واذكر نعمة الله والامير. اعان الامير الحرب على ظلامك الترك ورماهم بسهم في صميم فؤادهم فاصماه واجلاهم عن بلادك ورفع عن رأسك سيف نقمتهم وسيطرة دولتهم واستبداد جندتهم وانهدام مفاخمهم وعلى الاثر ذهب الى مؤتمر العالم باريس فثبت استقلالك وبرهن على انك قادر على الحكم الذاتي دون قيد ولا شرط ولما كان بعض القوم يجهل هذه الحقيقة طالب سموه من المؤتمر ارسال لجنة دولية لتكون شاهدة عيان على جدارتك للاستقلال التام وانك بعيد عما يظن فيك من التعصب الديني وها هي اللجنة اصبحت بين ظهرانيك فاستعد لاستقبالها وبرهن لها (يا رعاك الله) ان السوري لا يقل عن ارقى متمدن في العالم كفائة يشهد له بذلك من يعرفونه من نوابغ سوريا في بلادهم وفي مصر وباريس ولندن ونيو يورك · اظهر لها وانت في موقف الواثق الجريء انك لا تحول قيد انملة عن مبدأ ويلسون بل المبدأ الطبيعي في البشر بله الحيوان وهو (الاستقلال التام الخاص لكل شعب من الشعوب المحررة · ستري ايها السوري الشريف في هذه اللجنة الكريمة اخلاقا عالية ومبادئ حرة لا اثر للمبادئ الاستعمارية المنحطة فيها ·

اعتقد كل الاعتقاد ايها السوري الوطني ان هذه اللجنة تنوب عن اعظم رجال العالم اليوم الممثلين لاضخم الدول واشرف الغايات فلبرلندو مشهور بحب حرية البشر ولويد جورج صديق العرب وكليمانسو رجل فرنسا الحر المحارب لمبدأ الاستعمار وويلسون رجل اميركا وصديق الشعوب الصغيرة ومحرر الانسانية من مبادئ انهكتها زمناً طويلا · هؤلاء هم الرجال الذين تنوب اللجنة عنهم فصارحها بانك تعتقد شرف هؤلاء الرجال وانها لم تأت للتمويه والتضليل فرجال المؤتمر اكبر نفسا واشرف نزعة من ان يكونوا (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) · اعلن لها ان (المسلم اخو المسيحي والاسرائيلي في الوطنية) · وان (الدين لله والوطن لابنائه) وانه لا مطالب لنا الا

الاستقلال التام

واذا كنت ايها السوري تعترضك افكار واراء يبثها في مخيلاتك المستعمرون من اننا لا مال عندنا للقيام بما تقتضيه طبيعة العمران فهذا وهم ادفعه عنك ببيان وجيز هو —

ان سوريا بزروعاتها وتجاراتها وجمارکها وحركة رجالها الماليين الاغنياء تستورد في السنة ما لا يقل عن ايراد دولة من دول البلقان واذا لزم لنا بعض المال نقيام بمشروعات هامة لا تتحملها الخزينة الحاضرة فاي مانع لامير حكومتنا السورية ان يعقد قرضا باسم دولتنا الجديدة اسوة ببقية الحكومات الصغرى التي تعاونها الدول الكبرى هذا فضلا عن اننا نحن السوريين في نظر اوربا حائزون الدرجة الاولى بين الشعوب في الامور التجارية والدفع القانوني وان دولتنا الجديدة موثوق بها ومنظور اليها كدولة وشعب راق لا يقاس به الترك الذين كانوا يقترضون الملايين وتذهب هباء منثورا وعدا عن ذلك كله فان الدول الكبرى تحتاج الى المال فتقترض من بعضها كما يفهم من مما تنشره جرائدهم عن المال المقترض مدة الحرب وقبلها وتقترضه بعدها ايضا ·

HAUT COMMISSARIAT
DE LA
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
EN
SYRIE ET EN CILICIE

BEYROUT, le 3 Juillet 1920

LE HAUT-COMMISSAIRE DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE
EN SYRIE ET CILICIE

A SON EXCELLENCE MONSIEUR MILLERAND, PRESIDENT
DU CONSEIL, MINISTRE DES AFFAIRES ETRANGERES.

Par lettre N° 205 du 26 Mai, Votre Excellence a bien voulu me faire connaître les limites nouvelles de la Palestine décidées par les accords de San Remo entre la France et l'Angleterre.

Je crois de mon devoir d'attirer respectueusement l'attention de Votre Excellence sur les inconvénients extrêmement graves que comporte le tracé ainsi fixé.

~~Il semble~~ qu'il n'a été tenu aucun compte ni des considérations religieuses, politiques, administratives et géographiques particulières á la région, ni des intérêts français engagés dans le pays.

a).- Le groupement Chiite du Bled Bechara qui forme un tout politique, homogène et compact rattaché á TYR et SAIDA se trouve coupé en deux parties; le tracé élève une barrière au centre de ce groupement politique et religieux de mêmes moeurs, mêmes coutumes et mêmes intérêts. Les événements du mois (Mai) dernier qui m'ont amené á intervenir par des colonnes de répression montrent très nettement l'unité politique et religieuse de ce groupement.

Les centres d'attraction naturelle des Chiites sont TYR et NABATIEH (points qui nous restent). Cette dernière localité est un centre religieux important où chaque année ont

مياما ما يلزمنا من الاختصاصيين الاجانب فما لاينكر اننا بحاجة الى الاستعانة بعلومهم ولكن يجب ان لا نذهل عن وجود كثيرين من الاختصاصيين السوريين في المالية والادارة والزراعة والطب والهندسة والحربية وغيرها والوقت لا يتسع لذكرهم فهم ملء السامع والمقل والسهل والجبل والحمد لله .

فلا تمضي الا ايام معدودة حتى يتبدل الحكم العسكري بالحكومة الملكية الوطنية فتتجلى لك هذه الحقائق و يتبين لك ان في السوريين رجالا تفاخر بهم كل رجال العالم .

واذا كنت ايها السوري من جانب الاقلية في البلاد وتوجس خيفة من اخيك الأكثر عددا فهذا أمر قد اوضحه الامير بقوله (يجب ان تعطي الاقلية اكثر من حقها) فكل شيء في هذه البلاد انما يكون بالاهلية والكفاءة لا بالنفوذ والجاه والثروة ولا بالدين والمذهب والطائفة . ان شئت ان نعدد لك ما هو حديث في وظائف الحكومة السورية من الاقلية فلا مجال لذكر الكل وانما اذكر بعضهم من مثل سعيد باشا شقير (منظم المالية السورية) و يوسف بك حكيم عضو محكمة التمييز العليا وجورج بك رزق الله عضو مجلس الشورى . والفرد سرسق عضو مجلس الشورى . واسعد بك داغر وجبرائيل حداد مدير الامن العام وغيرهم كثير لا تحضرنا اسمائهم الان .

واذا كنت ايها السوري من جانب الاكثرية فيجب عليك ان لا تنظر لنفسك بغير الصورة التي تنظر بها الى كونك (سوريا) عربيا تطالب الاستقلال حفظاً لشرف جنسك ووطنك و يجب ان تعلم ان شرفك ووطنك واستقلالك انما يحتملون بما تبديه من المحبة العمومية والاخلاص الصريح لاخيك في الوطنية فلا تفرط بما يبدو من زعانف لا شأن لهم في جامعتنا الشريفة واعلم بانك ستنال ما تبتغي مع اخوانك بفضل التعاضد والتمسك بالمبادىء الوطنية المحضة

بعد ما تقدم تعتقد انك ايها السوري الذي يجري في عروقك دم قحطان اوغسان اوعدنان معنا في طلب (الاستقلال التام) بلا قيد ولا شرط ولا وصاية ولاحماية ولا معاونة ولاتوكيل ولا شيء مما تختلف اسمائه ولا تجهل مغازيه

وان كل من يبث في فكرك غير ما قرأته الان من الحقائق ويوهمك ان الاستقلال بمعناه التام لا ينال فهو ضال مضلل مأجور قد افسد شرفه ودنياه ومقامه في الهيئة الاجتماعية بدراهم يقدر بائع الفجل ان يحصل اكثر منها مع حفظ شرفه ووطنيته والاستقلال كائن لا ريب فيه فلا يغرنك ما ترى على وجوههم من البشر فقلوبهم مريضة ولا بما يظهرونه من حب الوطن (قرب تال يلعنه القرآن) بالسلام عليك من اخوانك

جمعية الاستقلال
السوري المركزية

Beyrouth, le 4 aout 1920.

Pour Monseigneur Abdallah Koury,

Profondément touché , Monseigneur, de votre télégramme. Je vais demain à Zahlé proclamer le retour de la Bekaa au Liban. Je pense que vous ne tarderez pas maintenant à rentrer : c'est au Grand Liban que vous reviendrez./.

Je suis heureux de vous annoncer que hier, 3 Aout, à Zahlé, au milieu d'un grand concours de toutes les populations de la Bekaa, depuis Baalbeck jusqu'à Hasbaya et Racheya, j'ai prononcé la réunion des quatre cantons de la Bekaa au Liban. L'enthousiasme a été général./.

Signé : Gouraud./

richesses du pays, pour conserver la partie rocheuse et improductive de la région Chiite. Les intérêts des gros propriétaires de BEYROUT, SAIDA, TYR et de MERDJAYOUN sont engagés dans la région rattachée á la Palestine. Les douanes amèneront les produits á s'écouler en presque totalité vers le Sud.

Il est cependant naturel que la colonie juive de Metelleh revienne à la Palestine, en raison de la nouvelle situation faite aux Israëlites dans ce pays.

Il en est de même de la région du Houlé prolongement de la région anglaise de même nom.

En conséquence, j'ai l'honneur de proposer á Votre Excellence un tracé nouveau, conciliant à la fois nos intérêts et ceux des populations intéressées.

1°.- Au Sud la nouvelle frontière est á peu de choses près la frontière actuelle, celle du caza de Tyr; quelques rectifications pourraient être faites sur place pour la modeler plus exactement au terrain; elle partirait du Ras en Nakoura vers la côte 1510, la laissant au Nord ainsi que Akrit, Doumèch et Yaroun, passerait au sud de Farah et au nord de Deischun; elle suivrait ensuite la ligne des hauteurs bordant á l'ouest le lac, les marais et la plaine du Houlé. Ce tracé atteindrait ainsi á Hunin le tracé communiqué par la note N° 495 du 27-6-20.

2°.- Cette nouvelle frontière reconstitue le groupement chiite, ce qui est le plus important,et, de ce fait conserve au groupement son autonomie politique et administrative. D'autre part satisfaction est donnée aux Israëlites et aux autorités anglaises en abandonnant le Houlé et en rattachant Metellé á la Palestine.

Ci-joint une carte donnant le tracé proposé./.

A SON EXCELLENCE MONSIEUR GEORGES PICOT REPRESENTANT DU GOUVERNEMENT FRANCAIS EN SYRIE .

Monsieur le Haut Commissaire ,

Ayant appris que des groupes se formaient dans le caza de Baalbek , que des partisans nombreux exposaient leurs opinions, qu'ils répétaient souvent les idées de leurs maitres actuels, sans qu'il nous soit permis d'exprimer publiquement nos desiderata, nous avons résolu d'exposer à votre excellence ce qui suit :

Nous soussignés, habitants chrétiens de la partie occidentale du caza de Baalbek , sommes Libanais d'origine . La majorité d'entre nous n'a jamais cessé d'être inscrite au Liban, comme en témoignent les régistres de son Gouvernement, qui nous donnait des fonctions au même titre que les Libanais habitant le Liban . Le Gouvernement Turc qui nous a séparés du Liban injustement et par un abus de pouvoir, tout en reconnaissant à chaque moment notre rattachement au Liban, ne nous accordait des fonctions que sur nos propriétés . Or , notre situation géographique fait de notre région une partie du Liban, nos us et coutumes sont communs avec le Liban, avec lequel nous avons d'étroites relations économiques . Notre séparation a été la cause de difficultés économiques et politiques, qui nous ont porté préjudice du fait des mauvais traitements des Turcs et des Allemands pendant cette guerre , qui ontlésé nos personnes et nos cultures .

Nous demandons à être de nouveau rattachés au Liban . Nous espérons que vous voudrez bien présenter notre pétition aux Gouvernements de l'Entente pour que leurs représentants à Paris puissent la voir. Veuillez agréer ,l'expression de notre profond respect .

6 Décembre 1918.

Suivent des signatures légalisées par le président de la municipalité , le maire , les chefs des communautés religieuses des villages suivant :

Deir-el-Ahmar	:	879	signatures
Yamounie	:	28	"
Chetifa	:	292	"
Ainata	:	128	"
Bachaouat	:	64	"
Berkha	:	176	"
		1567.	"

TÉLÉGRAMME تلغراف

Réception الاخذ				Expédition ou Retransmission الارسال او الاعطاء			
Numéros d'ordre نمرة العبرة	Bureau de من مركز	Date التاريخ	Heure الساعة	Transmis à اعطي الى مركز	Numéros de l'expédition نمرة السوق	Date التاريخ	Heure الساعة
[illegible]	بتدين	١٧	[illegible]				
Signature الامضا				Signature الامضا			

Mod. 49 — P. T.

de .... pour .... من بشري الى [illegible]

No. .... Mots .... Date .... Heure .... نمره ٦٧ كلمات [illegible] تاريخ ١٧ [illegible] ساعة [illegible]

Voie .... Indications éventuelles .... طريق .... الاشارات الاحتمالية

ADRESSE

حضرة سعادة رئيس مجلس ادارة لبنان الكبير

Chef du Conseil administratif.

نثبت عريضتنا السابقة باعادة لبنان لحدوده القديمة مع استقلال الاداري والسياسي والاقتصادي تحت ضمانة دولة فرنسا الفخيمة

عن عموم اهالي دير الاحمر

[illegible]

Au nom de la population de Deir el-Ahmar

[illegible]

Nous confirmons notre précédente requête pour le retour au Liban à ses anciennes frontières, avec indépendance administrative, politique et économique, sous la garantie de la France.

الى سيادة المطران عبدالله خوري مطران عرقا نائبنا الجزيل احترامه

بعد اهداء الجزيل احترامه السلام بالرب والبركة الرسولية

نوفر اشواقنا الى مشاهدتكم على كل خير وتوفيق [illegible] تحريركم رقم ٥ [illegible] الماضي [illegible] مساعيكم المرغوبة وكنا [illegible] قد

انتهزنا فرصة وجود المسيو ترابو [illegible] وتفاوضنا معه بشأن بيروت وطرابلس وكلفناه ان

يرجع كلامنا لسعادة الجنرال وقد الححنا عليه كثيراً لهذا الشأن [illegible] التخلي عن بيروت

[illegible]

[illegible] بخمس خلت من تموز ١٩٢٠

Telegram (right page):

AFFAIRES ÉTRANGÈRES

EN CLAIR

TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE DUPLICATA

P. M.

S. N°-

Beyrouth, le 13 juillet 1920 - 18 h. 40

reçu le 14 à 6 h. 45.

Suite, à mp

Suite à mon télégramme N° 1408/6.

Après les témoignages du patriarche maronite et du Président du Conseil, voilà celui qu'adresse à V.E. le représentant des Druses du Liban au nom de tous les druses du Liban:

"Je proteste contre l'acte infâme de certains membres du conseil administratif du Liban qui après avoir tenté de trahir la cause de leur pays ont voulu le vendre au mépris des aspirations de la population entière qu'ils représentent. Je prie M. le Président du Conseil de croire à l'attachement de tous les druses à leur pays le Liban et à la France. Nessib Pacha ./.

GOURAUD.

سيدي المحترم حفظه المولى عز وجل

بكل اشواق نتلقى الآن الحوادث السريعة والتنوع ليتقوى آمالنا بحسن
ختامها ويقرب عودنا اليكم بعد غيبة ومن تحرير قريب بعد انقطاع
الطريق وحمدنا المولى على سلامتكم . وقد استغربنا عدم ذكركم فيه وصول
كتابة استعدادكم وفيها بعض تعليمات وتنبيهات لما هو حادث اليوم
عندكم من احتمال الداخلية وغيره ثم اخبرناكم عن نتيجة مخابرتنا مع
رئيس عمل الدوائر الشرقية في باريس . .
الحكومة الفرنسية قصدت وهي لا تقصد غير قصدها Juravit
et non poenitebit بانها تقرب الآن عندكم الغريبة
الثقافية . فيصل خاب المرسل النبي وطلب منه بآخرة تلغراف
لوندره فالمرسل بلغ حكومته طلب الاخير فخابرت حكومة لوندره
المسيو ميلران فاجابها بلهجة شديدة انه لا يستطيع ان تتداخل
حكومة الانكليز بامر فيصل لان تكون وحدة الوحدة على
سوريا لا تتكلم وحدة الوحدة تسمع العراق فكما ان فرنسا لا
تتداخل الآن بما يجري عندها ان تطلب منها الا تتداخل
بامورها في سوريا لان الكيس قد طبخ ولذلك كلفت الحكومة الانكليزية
المرسل النبي ان يبلغ فيصل ان لا شغل له معها بل مع فرنسا لانها
وحدها الوحيدة على سوريا .
عرفنا اليوم ان قد تقرر ان تكون قمم جبل الشيخ لبنان الحدود الفاصلة
بين لبنان وارض الشام وان لبنان يعطى ما يطلبه من حدوده
الطبيعية اما بيروت وطرابلس لم يتقرر امرهما بعد ولكن الامل كبير

بهما ونظن ان الامر يتعلق بروبار دي كاه وغورو والذين معهم ينتقص
الـ franchise ولا يقبلون فكرة تماماً لا صفاتها ولا اغراضنا .
ننتظر انضمام مندوب الحجاز مع رفيقه ٢٧ الجاري اي بعد خمسة ايام
واذ ذاك نتهيأ بالعود اليكم ان وفق الله على طريقة رومة غالباً
بقصد ان نرى ما جرى الذين يعملون بهذه المهمة في الأسابيع
عودة في مدة لتفتيش الرومة وافادة من ذلك لا تزال جهودنا
وقد عرفنا البلاغ من الدكتور اليان كل ما دار مع سيادته لتقديمه
ورمة ويطلب اليه ان يخبره عنا وعن كل ما يتعلق بنا و و و و و و
هذا ما اقتضى ولا اظن اذا جاء تمديدنا انه يصل اليكم جوابكم قبل ان نترك
باريس هذا ما اقتضى ادام الله عزكم بقاءكم م

الداعي لكم
[illegible]
[illegible]

٢٢ تشرين ١٩٢٠

باريس ٢٥ حزيران ١٩٢٦

مولاي صاحب الجلالة حفظ المولى شريف وجوده

بعد التبرك بلثم راحة عظمتكم المقدسة واقتباس رضاكم الابدي
كنت منذ مدة عرضت لعظمتكم ما اتصل بنا عن ان المسيو
روبار دي كاه من كون الحكومة الفرنسية تنوي الا تلحق
بيروت بجبل لبنان وقد اجابنا تكاتبوا الرجل بهذا الصدد
فورد لنا جواب عظمتكم بانه اجابه ان لا صحة لذلك فشكرنا
الله.
ثم ان يوم الخميس ٢٤ الجاري تيسر لنا ان نقف بين ايدي [illegible]
ونتخابر معه بهذه الحدود وكنت منذ مدة [illegible] رجوع
روبار دي كاه الى باريس سمعته من [illegible] (او [illegible]
[illegible] ان بيروت لا تتبع لبنان وان هذه
هي فكرة الحكومة فدهشت وتذكرت جوابًا ملكيًا [illegible] باريس
في الامر ويطلب [illegible] فقابلته وعرض عليه الامر فاستغرب
[illegible] ذلك من الاجحاف بحق اللبنانيين ولبنان
وحضرنا الى الوزارة فقابلنا المسيو Paléologue
وهو ثاني الوزير وسأله [illegible] عن صحة الخبر فاجاب ان
الوزارة لم تقرر بعد شيئًا ولكن تلك فكرة ابداها المسيو
روبار دي كاه عندما كان في حكومة [illegible] في
بيروت وهو يلاحظ وبرهن ان لا ضرر على لبنان من ذلك

يستحيل فعلنا فاذا لم اصلنا خائبة لانا من احسن
الاسباب التي تجعلون [illegible] ان نطلب الانفصال عن سورية
هو الهرب من حكومة اسلامية فتفضلكم هذه البلاد اللبنانية
نظرًا الى تنوون ابقاءنا تحت النير الحديد وجهلكم [illegible]
الوقفة قدمها تم فاعتذر عنها وقال انه يسأل عن المخابرات
معنا فانصرفنا ونحن في حالة المرارة ما تعرفون ان تقدروه
غير اننا لم نفقد رجاءنا ونحن في مجلس النواب رجال من اكبر
الانصار ومنذ هذا الصباح نشرع بحملتنا وجولتنا [illegible]
نفعل والان نشرع [illegible] نبرهن فيه عن قضيتنا
وصفة الواقع لعظمتكم حتى اذا رأيتم مناسبًا ان تخابروا [illegible]
شديدة الجاه ان تحذروا. ومن اهم البراهين بيدنا هو
ان كثيرين من المتمولين اللبنانيين في المهجر لا يعودون
لبلادهم [illegible] رساميلهم الا اذا كانت بيروت المركز
التجاري الوحيد في البلاد اللبنانية وهذا نسمعه هنا كل يوم
من مواطنينا الذين نراهم قادمين من نواحي امريكا [illegible] التجارة
الى [illegible] التي هناك هذا ما اقتضى ونحن لا ننوي [illegible]
حتى ([illegible]) ولكن نتقبل كل ذلك بالشكر [illegible]
[illegible] وسعينا [illegible] بلادنا ودينا [illegible]
بركتكم ورضاكم حفظكم المولى [illegible]

٢٥ حزيران ١٩٢٦

[illegible]

١

سيادة الحبر الجليل الكلي الشرف والاحترام

بعد اداء واجب الاحترام والاعتبار والدعاء بمزيد اقبالكم اعرض اخذت كتابكم رقم ٧ الجاري وقرأت خلال سطوره وفي تضاعيفه عواطف قلبكم السامية وشعوركم الوطنية المنزهة عن كل ميل بشري ولم تكن هديتكم تزيد في اعتباري لسيادتكم ومعرفة بما تقدم وانه لا تروعني المصاعب المادية وقلة ذات اليد لاني اتكالي على الله رب المال ورب السماء والارض وقد مرت علينا ايام كانت اصعب وامر منها ومع ذلك لم ينقصنا شيء لا بل قد توفر لدينا مبالغ وافرة رفعناها بسبيل اليتيم والبائس وبناء عليه ان تكليفي دعاؤكم خاصة وسيادتكم في موقف تحتاجون فيه الى المال للقيام بما ندبتم اليه من جليل الاعمال وتوطيد دعائم استقلال البلاد وتوسيع مرافقه وقد اصبحنا في موقف نخشى فيه سوء العاقبة ولا تكون ضحية السياسة التي لا تعرف الشرف ولا تذكر في شرعها الدين والوجدان وضحية [illegible] دون قيد وشرط فالمسؤولية كبرى والموقف حرج والسياسة تتقلب كل يوم وفي غضون ذلك البلاد [illegible] تجددت فتن النعاج في عينبل وجديدة مرجعيون ونخشى من تجدد الشيعيين على جرود كروان وزعماء هذه الحركات يرجعون بوجهها في دمشق الشام وهم في عيد ثم يتنصلون من المسؤولية . وعليه اقول ان الحكومة اما ان تكون قادرة ان تحمي المسيحيين وتقتص من المجرمين مسببي الفتن او لا . فاذا كانت قادرة وهي لا تفعل فتلك هي الجناية وياله من العار . . واذا كانت غير قادرة وهي التي كسرت شوكة الاهالي فعليها ان تعترف

الينا لنستدرك امورنا ولو بعد فوات الفرصة ولا نكون ضحية ابدية لمطامع الانكليز والعرب .

هذا ما قصدت بيانه لسيادتكم باخلاص وحرية حبا بالمصلحة العامة وانا مستعد ان اقدم لسيادتكم كل ما تطلبونه من الايضاحات مكررا عبارات الشكر والدعاء باطالة [illegible] وجودكم في ابرشيتكم

الداعي لسيادتكم

المطران ...

الشاعر +

Annexe à dépêche
Le Caire n° 43 du 14/2/1919

لائحة

يرفعها ~~[illegible]~~ موارنة مصر وقضاها الى دول الائتلاف العظمى بامانيهم وتمنياتهم في اتخاذها اساساً

لتنسيق ادارة ولايات وسناجق سوريا الكبرى الحرة

البند الاول – سوريا الكبرى للسوريين وهي تؤلف وحدة اقتصادية سياسية غير قابلة الانفصال

البند الثاني – ان اهالي سوريا وان كانت لغتهم هي العربية فهم مختلفو الطوائف والمذاهب . فلاجل المحافظة على مصلحة كل طائفة منهم بما يوافق مصلحة المجموع ويؤمن رقيهم بحسب استعداد كل منها واهليتها ومنطقتهم . يقتضي تقسيم سوريا الكبرى الى اقاليم تجمعها الروابط الاقتصادية والوحدة الكمركية . وتكون اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية

البند الثالث – واحد هذه الاقاليم هو الاقليم الذي فيه بيروت و بعض متعلقاتها ومتصرفية جبل لبنان وهو لبنان الكبير يرجع في تحديده الى تاريخه وتخومه الطبيعية ومنافعه الاقتصادية وتكون بيروت قاعدة هذا الاقليم باجمعه

البند الرابع – يستقل كل اقليم بادارة شؤونه الادارية والقضائية ويقوم باعبائها رجال من اهله

البند الخامس – اساس السلطة في كل اقليم الشكل الديموقراطي الجمهوري . وهذا الاساس يقوم على مبدأين : أي مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الاقلية ومبدأ فصل السياسة عن الدين . والاعتماد في هذين المبدأين على قاعدة الحرية والمساواة والاخاء مع احترام الاديان وعدم مس احدها في وضع النظامات والقوانين المدنية . على ان يبقى القضاء الديني للطائفة الاسلامية موكولاً الى المحكمة الشرعية ولسائر الطوائف الى الرئاسة الروحية . وتبقى ادارة اوقافهم مستقلة في يد كل منهم مع مراعاة العوائد المألوفة لكل طائفة .

البند السادس – ترتبط الاقاليم السورية الحرة بعضها ببعض بحكومة سورية متحدة نيابية

البند السابع – تنيط هذه الاقاليم المتحدة بالدولة المساعدة من دول الائتلاف العظمى الغربية عضدها وتنظيم ادارتها الداخلية وتمثيل سوريا الكبرى في علاقاتها الخارجية والقيام بمهمة الدفاع عن تخومها واستقلالها الوطني .

باريس ٢١ اذار ٩٢٠

ايها الاب الاقدس

بعد التبرك بلثم راحة غبطتكم المقدسة والدعاء ببقائكم عرضت اول البارحة خطوط ما دار [illegible] والبحث عن اثر مقابلتنا المسيو ميلران رئيس الوزارة جملة الحمد فكان لغبطتكم . من المحقق ان المناداة بالامير فيصل خدمتنا كثيراً من حيث انها غيرت الخواطر علينا وجمعت الفرنسويين هنا الى [illegible] من حيث تداولت التلغرافات [illegible] وسوريا [illegible] الجزء من حقيقة لبنان وحدوده عند المناداة بالامير فيصل ملكاً على سوريا ولبنان فلم نعد نرى بداً من طلب مقابلة رئيس الوزارة الذي كنا نود ان نرجئها الى ما بعد المناقشة في المجلس بحسب رأي كثيرين من النواب والمخبرين بامورنا الذين اشاروا علينا بترك المقابلة الى حين آخر يكون رئيس الوزارة مرتاح البال وتكون امورنا قد [illegible] ان تتقرر . فطلبنا مقابلته في ١٧ الجاري وتعين لنا لها نهار السبت في ٢٠ [illegible] فذهبنا سوية وكنا اتفقنا قبل ذهابنا خلاصة الحديث الذي نريد ان نحدثه به ولخصناها معنا وذهبنا فاستقبلنا بالوقت المعين وهاكم تقريباً بالحرف الواحد خلاصة الحديث معه . قلت انني مع رفاقي اعضاء الوفد اللبناني (كما [illegible] بالمقابلة) في باريس [illegible] ولم نرد ان نشغله بمقابلتنا في وقت حرج مثل هذه الاوقات ولكن احوجتنا الى طلب هذه المقابلة ما اجراه الامير فيصل من المناداة به ملكاً على سوريا ولبنان وعدم احترام مواعيد الحكومة الفرنسوية لنا [illegible] مستقلاً عن [illegible] الشعب اللبناني [illegible] الشعب اللبناني [illegible] والتلغرافات [illegible] فلم يعد يسعنا التأجيل ولذلك [illegible] بطلب المقابلة .

ولذلك طلبنا إليه أن يسرع في ترتيب حكومة لبنان وتنظيم أحوالها وإلحاق لبنان
الأراضي والمدن التي سلخت منه إذ أن ليس ما يمنع ذلك الآن لأن كل الدول
تعترف للبنان بهذا الحق وأن البطريرك لما كان في باريس قابل معتمديها ورأى
واتصل بالكل وأظهر مرغوبه فقيل له بأن ذلك منوط بفرنسا وبعد فالمدن والأراضي
هي المدن ما عدا البقاع تحت إدارة فرنسا بحيث والبقاع ذاتها بموجب اتفاق
الدول مع الانكليز ١٩١٦ هي فرنساوية ويصعب علينا هذا المس لأن حكومتنا
متى ترتبت وتنظمت يمكنها أن تسن قوانين عسكرية ويجمع لبنان جيشاً
يناسب حالته وحينئذ تستغني عن إرسال قسم من جنودكم للبلاد [illegible]
ذلك لأن الجماعة [illegible] عند الذين [illegible] بسبب [illegible] السورية هو
أن فرنسا غير قادرة أن ترسل جنوداً للخارج فضلاً [illegible]
هذه الفكرة. فأجاب أن فرنسا لا يمكنها أن تنفرد بإعطاء [illegible] أراضي جديدة
للبنان قبل أن تصدر المصادقة على معاهدة ١٩١٦ من باقي الدول وأنه وإن
يكن الأمر هذا قد تقرر بين الدول بالمخابرات التي جرت إلا أنه لا يمكنها إعلانه رسمياً
والسير بموجبه قبل إمضاء المعاهدة مع تركيا. وأن الحكومة الفرنساوية [illegible]
[illegible] باقية [illegible] اللبنانيين [illegible]
وأنها الآن [illegible] فكل ما [illegible] لا يتخلف [illegible]
فقال له الأمير توفيق يا حضرة الوزير إن من أكبر [illegible] الذي [illegible] بلادنا بالمصائب
العظيمة والذين [illegible] في بلادنا [illegible] [illegible]
[illegible] أن تضع هذا [illegible]
[illegible] هذه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
باهر [illegible]

ثم أضاف الخواجه [illegible] وقال لماذا فرنسا تخشى أن يحتل الأمير فيصل سهل
البقاع الذي هو ضمن المنطقة الفرنساوية بموجب معاهدة ١٩١٦ أجاب
أن هذا الأمر قد تم قبل أن يشغل هو الوزارة [illegible] قليلة وأنه يأسف له
شديد الأسف لأنه غلطة حدثت عن عدم تروية ولكنه [illegible] إصلاحه
بفرصة غير بعيدة [illegible] ولما رأى [illegible] الكلام [illegible]
ولكن لا [illegible] ذلك الآن. فشكرنا وقدمنا له مذكرة [illegible]
[illegible] بهذا الحديث وقدمنا له كتاب توصية [illegible] الجنرال غورو
فطالع [illegible] وانصرفنا [illegible]

Paléologue [illegible] أنه [illegible] Rene [illegible]
[illegible] المسيو
٢٢ [illegible] ما كان في الحديث الذي دار بيننا وبين الوزير وأن
في الوزارة [illegible] Rene [illegible]
الوزير كان [illegible] أن [illegible] والمسيو
[illegible] المعاهدة
[illegible] Mat الذي كان [illegible]
[illegible] الكابيتان [illegible]
[illegible] الوزارة [illegible] أو [illegible]
[illegible] الجنرال غورو [illegible] بما [illegible]
[illegible] وأنه [illegible] جواباً [illegible]
[illegible] في باريس [illegible] عندما [illegible]
[illegible] بالكلام بالموضوع هذا [illegible]
[illegible] هذا ما [illegible]

أدام المولى شريف وجودكم

٢٢ اذار ١٩٢٠

[illegible]

١

[illegible]

باريس في ١٠ ايار ٩١٩

غبطة مولاي الكلي الطوبى بعد لثم الاذيال الشريفة وجوده

بعد التبرك بلثم راحة غبطتكم المقدسة والتماس رضاكم الابوي اعرض قد مضت
مدة لم اجاوب على رسائل غبطتكم الاخيرة رقم ٥ نيسان الماضي تقريباً وبعد ذلك
انتهت نوعاً غياب رئيس الوزارة في انكلترا واقترب معتمدي الدول المتحاربة
في مشكل تركيا لاجل ذهاب واتمام ما اوجبت على نفسي وهو زيارة معبد سيدة
لورد فقد كنت باريس في ١٠ جاجيه الى لورد وجميعنا خائفين ولكن الخوري
من بين الشعب مع الشبان بل من عشق وان بباطن الاعضاء وهذا به تشفيق
بالصحة تحمسونا رضاكم وما يعزي الشعب هي المنزلة التي تحترم حتى يلي في
لورد ولدى الحب المحاضرات الدينية والمدنية ومن هناك توجهنا الى لورد
وقدمنا الذبيحة على هيكل المغارة ذاكرين امام العذراء المجيدة كل ما هو
عزيز عندنا بلادنا وذوي غبطتكم وكل شيء نحن وذوينا فقد وضعنا كل
ذلك تحت اكناف العذراء التي هي اكبر من سلطنة هذه الدنيا وتوسلنا
اليها ان تكمل [redacted] المجتمعين في باريس ان يقرروا ما هو موافق لارادة
الله وخير بلادنا ثم عدنا الى باريس اول ايار فوجدت كتابة من المسيو
بيجانون بها يدعوني مع الوفد الى مقابلة المسيو بالفولوغ كاتب اسرار
الوزارة العام ذلك لانه وعد بقربانا اذ كانت سمعت نفس
من الانتظار وكنا نخشى ان يكون وافق الحكومة السورية لقد انحدر بحل
عنها قد معه رئيس الوزارة بل طلبنا ان كل ما يرسل به شيء يحدد
حدود لبنان قبل اشعارنا بذلك ولا الوقوف على اعتراضاتنا التي لاتزيد
ما فيه. فذهبنا هذا الصباح وسيادة مطران معنا فقابلنا

المسيو بالفولوغ وطلبنا اليه ان يعين لنا اشخاص لهم المام بامور لبنان
ذوي كفاءة وثقة الوزارة لنتخابر معهم بلا مراء فاجاب مرتاحاً الى
طلبنا ان يعين المسيو Peretti Della Rocca
وهذا خلف على ماتركه المسيو برتلو في الوزارة ثم قال تعرفون ان
اللبنانيون لا ترفض تحت تشكيل من تحميص طبيعتنا في لبنان وتحسب ان
تساعده فقلنا انما لا نشك بذلك ولكن نود ان تعرفوا ما في اقتضا
ولو انها حاجة بلادنا لنستطيع ان نوجد كيان مستقل بدون معرفتنا واتفاقنا
لا ماح انما يدين حقوق ولا يحصر بهذا انه محدود
ثم انه بعد ذلك رئيس معنا كاتب اسراره ليقدمنا الى المسيو
دي لاروكا. فسألنا المذكور عما نطلب قلنا انما نطلب ما يقابلنا
لطلبته ونحن ان لنا وما كان لما نطلبه العداء سياسياً ان يحصوها عن تحقيق
ولاد نطلب ان تكون لبنان بجانب الحارجة اي ان نظرة لنا الى ان
حرب الحرب الاولى ١٩١٥ واكتفينا علينا فنقصد ان شرحنا
له باختصار هذه الخاطر طلب الينا مهلة كي نحمل للديري
في خلال ساعات لانه ما دخل الوزارة حديثاً ولا يعرف مسائلنا
كما يجب وكان عنده المسيو فوك دي بارك الذي جددنا المعرفة
به وقضينا مع دي لاروكا اسناوان كنا نطلب معارف وافهام
هكذا مستخدمي الوزارة او اننا ندري ان نستعين بهذه المسألة
الخصوصية بمعارف الاشخاص الذين اعتمدتهم ونحن عدا طويلة
في بلادنا كالمسيو فوك دي بارك (وكان حاضراً) والمسيو جوليه
والمسيو كان رئيسه والمسيو بيكان والمسيو كوجه وكلهم يعرفون
بجبل وجواره كما يلزم ولا يمكنهم ان يتقدموا الى اراق المصلحة فقال

Paris Rue d'Ulm 15

٢٩ شباط سنة

سيدي الحضرة خالي المعظم دام بقاكم

بعد ازالة الاشواق نخبركم بغبطة منذ خمسة ايام ما قد تيسر لنا
لدى وصولنا لباريس لذاك التاريخ، وقد جد بعد ذلك اتفاق لنا
المسيو Paléologue بناء على اشارة وزير الخارجية Millerand الذي
كان معنا كتابة له من ابي بشارة في بيروت فشرحنا له مسألتنا
والجنا بوجوب ضم البقاع وغيره الى بلادنا وان لم يكن ذلك عاجلا
فعلى الاقل بتأمين احتلال هذه المحلات من الحكومة المحلية ورفع
سلطة الاجنبية عنها اذ ان الشرط انضمامها الى بلادنا. وليس
من ضرر الان للانكليزية بهذا الامر لان من الدول تقر لها
بالنفوذ في سوريا واتفاق ٩١٦ يجعل هذه المقاطعات
تحت النفوذ الفرنساوي واتفاق ٩١٩ يفوض الفرنسوية
بالاحتلال محل الجنود الانكليزية فما هو السبب لمراعاة الجماعة
الى هذه الدرجة فطلب اليه بالوقوف مذكرة خطية بهذه الامور
ليأخذها معه الى [illegible] الى لندرا حيث هو [illegible] مع الوزير
للمداولة ووعد بان يسند ادعائنا وكان قبلا قد قابله المسيو
سان رنه تاليانديه بهذا الصدد وسيقابله العظم
ايضا ليقنعه بهذه الافكار وقد قابلت ايضا احد النواب
المهمين هو [illegible] Raynaert في قومسيون مجلس النواب

انه سيسعى بهم وعليه انصرفنا منتظرين نتائج المطلب بالنفس
هذه المشكلة والانتقادات عليها. فنرجو مؤازرتنا بدعائكم لعل الله
يوفقنا بالتوفيق.
نحن العظم بأول ليلة من شهر ايار وشوارع باريس خالية تقريبا من
الناس بسبب الاعتصاب الذي قرره العمال من كل الاصناف بهذا اليوم.
نرجو جميعنا [illegible] وكلنا نشتاق اليكم ونستمد خير ادعيتكم.

داعين بحفظكم واقبالكم

ولدكم [illegible]

[illegible]

١ ايار سنة

ولكن واكر 57 Washington Street نيويورك
غيره . هذا تأتنص حال بيس ...

صاحب ...

موجود في الخارجية فاخذ خلاصة ما بيننا ووضعه في البرنامج الذي قدمه وقال
لنا ان حزبه هو الذي يسند الوزارة وهو يعتمد عليه ولذلك سيشدد وما
اعلن السؤال ما بيننا من الكلام غاية الكلام ان ما يظهر لنا من الحال انه التسليم
يدل على حسن نواياهم والمعاهدة والصلات بين غبطتكم وبينها البطريرك ان بلادنا
لا يحرم منه تحسينات . هذا الآن رجال رافقنا بالصحة يتمنون لغبطتكم ويتشوفون
رضاه . المطران شكرالله يصل قريباً الى باريس عائداً من رومة ومنها يسافر
الى اميركا ان وفق الله . لم يوفق الى الآن الانتخاب لسيادة المطران البطريرك
فالتعهد على كل حال هذا وفي اراده الشاه الديمومة اشكرونا اكثر . له ان وفق الله .
الطقس في باريس منذ وصولنا معتدل جداً وهذه من نعم الباري علينا .
من قبل شكرالله كان لنا اعضاء له ما كتبناه العمل لكم ومن جديد عندنا شيء اهم
نكتب له ونلاحظ شيئاً نتأثر به لانه معروف وربما وجدنا ذلك على حضرة القوميسار
الذي لا نراه موافقاً ان نكتب له الآن هذا ما اقتضى واهدوا اشواقنا
للجميع ... ... الياس

١٧ ابريل ١٩٢٠

ايها الاب الاقدس حفظ المولى شرفه وجودكم بلا قبله

بعد التبرك بتقبيل اقدام غبطتكم المقدسة والتماس بركتكم الابوية والدعاء بتأييدكم بالصحة
والبقاء اعرض اليكم انه بحمد الله وصلنا المطران شكرالله وحضرة الخوري يوسف اسطفان
الى الشيوعيين لكون يعتمد على الحكومة وعدنا نعرض لغبطتكم ذلك اجيبتنا معا في تتم
بركتكم الابوية ودعائكم المستجاب . وقد نظرنا بسيادته منشداً ايضا يعود ابدا
الطائفة هناك لدى حكومة الاب الاميركية ومجد لكم جيدة جداً وما
رأيته من الحكومة التي رتبها يسير بحسبها هناك من اتكال على الله وتعلم سيدتنا
العذراء سيدة لبنان فلا ذلك يجعلنا ان نشعر له بالحمد والشكر .
عرفنا ان المسيو كلمون حضر الى باريس فكتبت له كتاباً مقابلته لاقرر له بفضل
امور تخص حدود بلادنا سنة اللبنانية فيكون في الوقت الذي يليق ذلك
وكانت المقابلة يوم الاربعاء الجمعة فبقيت عنده نحو ساعة وهو الذي
كان يتكلم باللغة الزيارة سألني اول وصول فيها اذا كان المسيو نعمان خوري
حضر نسيبي فاجبته بالايجاب فاخبرني ان هذا الذي استصحب نعمان حينئذ
لانه كان يعمل الى الاب الاوربي لما تعين معتمداً فيها وهو الذي عينه في
القاهرة بعد ان صار نقله سفارة الاستانة وتظهر انه كان له حبيب
مع المسيو نعمان ثم سألني عن غبطتكم كثيراً ذاكراً ما لكم من الاتعاب في سبيل
المصلحة الوطنية فاجبته بالمعروف من شديد اعتبارنا له وافتخاركم بفضله وقوته

اخيراً قال ماذا تريد مني قلت اني اشتبه انه مذكر بيلي الى لندره او فحوى وجهة
من اجل تحكم لبنان استقلاله وحدوده المطلوبة من اهاليه (الذي كان معارضاً له)
لبعض الاشاعات بهذا الصدد مآلها ان الحكومة تميل الى الاتفاق مع فيصل على ان
يقبل بحمايتها الفرنسية بشرط ان تكون له سيادة اسمية على لبنان والا ان
يبقى لبنان بحدوده الحالية واذا اقتضى ان يضاف اليه شيء من الاراضي فتكون اضافة
من الجهة الجنوبية اي جهة صيدا. واما البقاع وبعلبك وعكار وبيروت وطرابلس
فهي ذلك يبقى تحت امرته وانه اجابني تماماً ان لا خوف على استقلال لبنان
غير انه لم يذكر شيئاً عن الحدود اجاب انه قد صار تحرير اتفاق بين الجنرال غورو
وفيصل منذ نحو شهرين وبموجبه رضي فيصل بالحماية الفرنسية وبان
يكون لبنان مستقلاً عنه وان المؤتمر رأى ذلك في لندره واما الحدود فلم تتقرر
بعد. سألته فيما اذا كان مستعداً ان يذهب للمؤتمر في سان ريمو San Remo اجاب
لقد قلت اسف لذلك لاننا نعتبر لبنان اكبر مساعد لنا فقال لا تأسف ان [illegible]
ساعة تجيء ذاتها بلبنان وحضرت وقد اذن ابدا رغبة الدين [illegible]
رئيس الوزارة واخبره والتفت باعلام لبنان كل ما هو مفهوم خارجية
وسألته عما اذا كنت قد بحثت احداً في الوزارة قلت نعم قابلت الوزير والمسيو
مسيو Paleologue وهو ثاني مرة واحدة ومسيو الكونت [illegible]
الذي حكى المسيو [illegible] في لندرا منذ حضرة رئاستها ولا اشتبه في كل مرة ان
احصل على مقابلة الوزير وثانية لنحادثه بامورنا فاجاب انه يمكن ان اقابل
مسيو Paleologue لانه يطلب منه ان يقابلني ويعطيني الوقت لكما في اليوم
له الحالة وقال اعلى له كما اكتبتني لانه اظهر انه مقتنع بما كتبته قلت
له ولكن الان ننتظر ورود شيء من الوزارة نتقابل [illegible] المسيو
[illegible] بكل سلام واشار لي بشكر فانصرفت من عنده شاكراً حامداً.
سيدي يظهر اولاً ان فيصل قبل بحماية فرنسا بموجب معاهدة

جرت بينه وبين الجنرال غورو وبعد سفر باشا بيروت في اوائل شباط الماضي لاح
فيصل انه اذ ذاك لبيروت وصار امضاء المعاهدة على ان تكون الوصاية
نافذة اي ان الحماية بيد الفرنسيس وبين كونه لهم سلطة عليها ولما جاء رئيسه فقط
كان يلعب ويقول فيصل. وعلى ذلك لا بد لهم من الاقرار بحكمه اجلاً
او عاجلاً ويقول معتمد فيصل هنا ان بيروت تكون مدينة حرة اي
ليس لبنانية وان عكار وطرابلس والبقاع تبقى لفيصل واما بلادنا فلم يعطها
تحسب البقاع الغربي وجهات الجنوب مثل ناحية صور ومرجعيون وحيداً
فيأخذونها للدروز والاراضي الجيدة والسكان المسيحيين ويضيفونها الى جبالنا على جبال
ويعطوننا نحو ثمانين الف شيعي فهذا لا يتفق ابداً قط فاجبنا بالمباحثة
بهذا الامر مع غورو لا سيما نحن في بيروت اي لا بد لنا من ان تكون لبنانية
في ارواح كل جمهور لبنان من حيث مدارسها والاشغال التي بها وعدد
ولادها لكن اصحاب الثروة والمقربين غير عاملين ان يكونوا بيد من يتملك اهلها
وبذلك يفرح الجميع من كل اصحاب الشرق والمعارف وعلى كل حال لا بد منها
من انه تكون لبنانية السبعة [illegible] ان الذين وبين يرغبون جعلها [illegible]
معتمد رئيسه العرب ويعطوها ادارة مخصوصة لا لبنانية ولا سورية فهذا
لا يمكن قبوله قط من يظهر انه تكون المدينة لبنانية لبنانية او على
[illegible]
الاقل منافع الى لبنان ومصالحها.
قصدت عرض الحقيقة واضحة الجنرال غورو ومكتبه لان عنده [illegible] هذا
الصدد فاجوه ملاحظة ذلك عندي وكل هذا لا تمن عن الملاحظة ايضا واذا
حصل رواية رب كان كذلك نعتقد نبقى نذهب بالريب لانه على ما يظهر منهم ومعهم
هذه الفكرة. هذا ما اقتضى عرضه بهذا الصدد الي على ارفاقها هنا كلهم
بالصحة [illegible] . تعودت عني خصوصاً بهذه الايام

الاخبار المحزنة فبعضها بوقت واحد تقريباً خبر وفاة احد اولاد المرحوم خالي بولس
حدث بعد النكبة بنحو ستة اشهر فقط من زواجه ثم في اليوم الثاني
خبر وفاة شقيقته زوجة سعيد نجم وان احداً انسيبانا في الناصرة اصيب
بها في كل هذه الاخبار. وكتبني باسبوع واحد فقدنا الاثنين وسألته ان يرحم
للاموات والعزاء للاحياء منا وان يحفظ غبطتكم وحبانا منكم اذ نبتهل
الضمير الحبيب وتقبلوا مزيد الاشواق

الداعي

خوري

١٧ نيسان سنة ٩٢٠

فهرس الاعلام

(الصاد)

(الطاء)

(العين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الكاف)

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأعلام الواردة في الحواشي

فهرس الأقوام والقبائل والجماعات والشعوب والمذاهب والطوائف

المصادر والمراجع العربية

١ — ابن عبد الظاهر: **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، القاهرة، ١٩٦١.

٢ — ابن خلدون، عبد الرحمن: **المقدمة مجلّد أول**، طبعة سادسة، بيروت ١٩٦٧.

٣ — ابو خاطر، هنري: **من وفي الموارنة**، بيروت ١٩٧٧.

٤ — اوغست أديب: **لبنان بعد الحرب**، بيروت ١٩١٩.

٥ — اسماعيل، عادل: **السياسة الدولية في الشرق العربي من ١٨١٥ — ١٩٥٨**، الجزء الثالث والرابع والخامس، بيروت ١٩٦٠.

لبنان تاريخ شعب، دار المكشوف، بيروت ١٩٦٥.

٦ — آصاف، يوسف: **استقلال لبنان**، القاهرة ١٩٢٠.

٧ — انطونيوس، جورج: **يقظة العرب**، طبعة خامسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.

٨ — بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الاسلامية**، دار العلم للملايين، طبعة ثامنة، بيروت ١٩٧٩ (نقله الى العربية نبيه امين فارس وبعلبكي).

٩ — بيهم، محمد جميل: **العهد المخضرم في سوريا ولبنان**، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٨.

١٠ — الجسر، باسم: **ميثاق ١٩٤٣ لماذا كان؟ وهل سقط؟** دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٨.

١١ — بولس، جواد: **لبنان والبلدان المجاورة**، طبعة ثانية، دار بدران، بيروت ١٩٧٣.

١٢ — الحاج، بدر: **الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان**، دار مصباح للفكر، طبعة أولى، بيروت ١٩٨٢.

١٣ — حتي، فيليب: **مختصر تاريخ لبنان**، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.

حتي، فيليب: **لبنان في التاريخ**، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩، والطبعة الثالثة ١٩٧٨.

١٤ — حرفوش، الأب ابراهيم: **دلائل العناية الصمدانية**، في ترجمة معلي منار الطائفة المارونية غبطة ابينا وسيدنا الملفان مار الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق، جونية ١٩٣٤.

حرفوش، الأب ابراهيم: **مستندات تاريخية في شأن بعض الشهداء الموارنة**، جمعها الأب ابراهيم حرفوش، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية ١٩٣٧.

١٥ — حرفوش، نبيل: **مراحل القضية اللبنانية**، بيروت ١٩٦٠.

١٦ — الحصري، ساطع: **يوم ميسلون**، بيروت ١٩٦٤.

١٧ — حتي بك، اسماعيل: **لبنان**، بيروت ١٩١٦ — ١٩٦٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٩.

١٨ — حكيّم، انطوان: **سلسلة التاريخ بالوثائق، ٦ أجزاء ١٩١٤ — ١٩٢٠**، الدار اللبناني للنشر الجامعي، بيروت ١٩٨١.

١٩ — الحكيم، يوسف: **سورية والعهد العثماني**، دار النهار، طبعة ثالثة، بيروت ١٩٨٠.

الحكيم، يوسف: **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**، دار النهار، طبعة ثانية، ١٩٨٠.

الحكيم، يوسف: **سورية والعهد الفيصلي**، دار النهار، الطبعة الثانية، ٨٠.

الحكيم، يوسف: **سوريا والانتداب الفرنسي**، طبعة أولى، بيروت ١٩٨٣.

٢٠ — حنين، ادوار: **على دروب لبنان**، المطبعة البوليسية، جونية ١٩٧٩.

٢١ — الحوراني، يوسف: **لبنان في قيم تاريخه**، دار المشرق، بيروت ١٩٧٢.

٢٢ — حويس، الخوري ميخائيل: **كلمة حول التصريحات الرسمية بتأييد امتيازات لبنان**، ١٨ آذار ١٩١٨، بيروت.

٢٣ — الخالدي، الشيخ أحمد بن محمد: **لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني**، (عني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني)، بيروت ١٩٣٦.

٢٤ — الخازن، فيليب وفريد: **مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان من سنة ١٨٤٠ — ١٩١٠**، ١٩٨٣.

٢٥ — خاطر، لحد: **عهد المتصرفين في لبنان**، (١٨٦١ — ١٩١٨)، بيروت ١٩٦٧.

٢٦ — الخوري، بشارة: **حقائق لبنانية**. ثلاثة اجزاء، بيروت ١٩٦٠.

٢٧ — داغر، اسعد: **مذكراتي على هامش القضية العربية**، طبعة أولى، القاهرة ١٩٥٩.

٢٨ — الدبس، المطران يوسف: **تاريخ سوريا الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل**، الجزء التاسع، بدون تاريخ.

٢٩ — داغر، الخوراسقف يوسف: **بطاركة الموارنة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.

٣٠ — الدحداح، سليم: **بيروت ولبنان في مجلة المشرق**، جزء ٢١، بيروت ١٩٢٣.

٣١ — الدويهي، البطريرك اسطفان: **تاريخ الأزمنة**، نشره الآباتي بطرس فهد، ١٩٧٦.

الدويهي، البطريرك اسطفان: **تاريخ الازمنة**، تحقيق الأب توتل، اليسوعية، بيروت ١٩٥١.

٣٢ — الديراوي، عمر: **الحرب العالمية الأولى**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.

٣٣ — رافق، عبد الكريم: **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت، (١٥١٦ — ١٧٩٨)**، طبعة ثانية، دمشق ١٩٦٨.

رافق، عبد الكريم: **العرب والعثمانيون، (١٥١٦ — ١٩١٦)**، طبعة اولى، دمشق ١٩٧٤.

٣٤ — ربّاط، ادمون: **لبنان الكبير**، في النهار العربي والدولي، العدد ١٦١، ٩ — ١٥ حزيران السنة الرابعة.

ربّاط، ادمون: **الوسيط في القانون الدستوري العام**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤.

٣٥ — رستم، أسد: **لبنان في عهد المتصرفية**، دار النهار، بيروت ١٩٧٣.

رستم، أسد: **بشير بين السلطان والعزيز، ١٨٠٤ — ١٨٤١**، طبعة ثانية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦.

٣٦ — رينان، ارنست: **خطب ومحاضرات**، تعريب القس بولس عبود، باريس.

٣٧ — الريحاني، أمين: **فيصل الأول**، دار صادر، بيروت ١٩٣٤.

٣٨ — زين، زين: **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**، طبعة ثانية، بيروت ١٩٧٧.

زين، زين: **نشوء القومية العربية، مع دراسات تاريخية في العلاقات العربية التركية**، دار النهار للنشر، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٧٩.

٣٩ — زيادة، نقولا: **أبعاد التاريخ اللبناني الحديث**، بيروت ١٩٧٣.

٤٠ — السودا، يوسف: **في سبيل الاستقلال**، الجزء الأول، دار الريحاني، بيروت ١٩٦٧.

السودا، يوسف: **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية، القاهرة ١٩٢٢**، بدون تاريخ.

السودا، يوسف: **في سبيل لبنان**، بيروت ١٩٢٤.

السودا، يوسف: **تاريخ لبنان الحضاري**، دار النهار، طبعة ثانية، بيروت ١٩٧٩.

السودا، يوسف: **نظام لبنان الأساسي وقرارات الدول**، مطبعة المعارف بمصر، مصر ١٩١٠.

٤١ — السمعاني، يوسف: المكتبة الشرقية، المجلد الثالث، ترجمة الأب بطرس فهد في كتاب الشرح المختصر، بيروت ١٩٧٤.

٤٢ — الشدياق، طنوس: **أخبار الاعيان في جبل لبنان**، جزءان، بيروت ١٩٥٤.

الجزء الأول، بيروت ١٩٥٤.

الجزء الثاني، مكتبة العرفان، بيروت ١٩٥٤.

ومنشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠.

٤٣ — الشهابي حيدر أحمد: **لبنان في عهد الامراء الشهابيين**، القسم الثالث، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٩.

٤٤ — شبلي، المطران بطرس: **اسطفانوس بطرس الدويهي بطريرك انطاكية ١٦٣٠ — ١٧٠٤**، منشورات الحكمة، ١٩٧٠.

٤٥ — الصليبي، كمال: **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت ١٩٧٨، الطبعة الرابعة.

٤٦ — ضاهر، مسعود: **تاريخ لبنان الاجتماعي، (١٩١٤ — ١٩٢٦)**، طبعة أولى، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٤.

٤٧ — ضو، الأب بطرس: **تاريخ الموارنة الديني والحضاري**، الجزء الأول، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٠.

٤٨ — طلاس، مصطفى: **الثورة العربية الكبرى**، طبعة ثالثة، دار الشورى، بيروت، بدون تاريخ.

٤٩ — غانم، خيرالله: **الراديكالية السياسية**، المطبعة البولسية، جونية ١٩٧٩.

٥٠ — الغصين، فايز: **مذكراتي عن الثورة العربية**، دمشق ١٩٥٦.

٥١ — فارس، وليد: **التعددية في لبنان**، بيروت ١٩٧٩.

٥٢ — قاسمية، خيرية: **الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠**، دار المعارف، مصر ١٩٧١.

٥٣ — قبيسي، ذو الفقار : **الفكرة العربية نظرة ثانية**، بيروت ١٩٧٨ .

٥٤ — قدري، أحمد : **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، بيروت ١٩٥٦ .

٥٥ — قربان، ملحم : **تاريخ لبنان السياسي الحديث**،
ج ١، بيروت ١٩٧٨ .
ج ٢، طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٠ .
ج ٣، طبعة ثانية، بيروت ١٩٧٩ .

٥٦ — كوثراني، وجيه : **وثائق المؤتمر العربي الأول ١٩١٣**، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٠ .
الاتجاهات الاجتماعية — السياسية في جبل لبنان والشرق العربي (١٨٦٠ — ١٩٢٠) طبعة ثانية، بيروت ١٩٧٨ .

٥٧ — مزهر، يوسف : **تاريخ لبنان العام**، جزءان، بيروت، بدون تاريخ.

٥٨ — مسعد، بولس : **لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده**، مجلد أول، القاهرة ١٩٢٩ .

٥٩ — المعلوف، عيسى اسكندر : **تاريخ فخر الدين المعني الثاني**، بيروت ١٩٦٦ .

٦٠ — مكي، محمد : **لبنان بين الفتح العربي والفتح العثماني**، بيروت ١٩٧٧ .

٦١ — مكاريوس، شاهين : **حسر اللثام عن نكبات الشام**، الطبعة الأولى، مصر ١٨٩٥، أعيد طبعه للمرة الثانية في بيروت ١٩٨٣ .

٦٢ — نوّار، عبد العزيز سليمان : **وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث**، دار الاحد، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٤ .

٦٣ — العقيقي، انطوان ضاهر : **ثورة وفتنة في لبنان**، نشرها يوسف ابراهيم يزبك، ١٩٣٩ .

٦٤ — **ارشيف تاريخ لبنان**، الجزء الأول، منشورات الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني، المؤتمر الأول، نيسان ١٩٨٣ .

١٥ — الاتحاد اللبناني : **مجلة** : **المسألة اللبنانية**، مطبعة المعارف، أول يناير ١٩١٣ .
من جمعية الاتحاد اللبناني الى مجلس ادارة لبنان والحكام والشعب اللبناني، مطبعة الاخبار ٢٥ كانون الأول ١٩١٢ .

٦٦ — نجار، ابراهيم سليمان، **الملك فيصل الأول**، بيروت، مطبعة الدبور، بدون تاريخ.

1. Abou Chedid, E.: **30 years of Lebanon a Syria** 1917 - 1947, Beirut 1948.
2. Bliss, Daniel: **The reminiscences of D. Bliss**, New York, Revell 1920.
3. Brandeis, A.: **Free Man's**, life. New York, 1950.
4. Woodward E. L. and: **Documents on British Foreign Policy** 1919 - 1939. Firts series, vol. I and II. 1919 (London, 1947) and vol. IV. 1919 (London, 1952).
5. Churchill Charles H.: **The Druzes and the Maronites under Turkesh rule**, from 1840 - 1860, London 1862.
6. U.S.A. Departement of state: **The Paris Peace conference**, 1919, vols. I - XIII, Washington, 1942 - 1947.
7. Frank Emanuel: **The relaties of american planet in relations 1917 - 1920.**
8. **Foreign relations of the United States- 1921. vol. I. Washington 1936.**
9. Georges David Loyd: **The truth about the peace treaties**, London 1939. Vol. II.
10. Hajjar Ahmad R.: **The role of France in the establishment of greater Lebanon**, 1916 - 1922. Prence 1961.
11. Harry and Haward: **The king crane commission, Beirut 1963.**
12. Monrore Elizabeth: **Britain's Moment in the Middle East**. 1914 - 1956. London 1963.
13. Murewitz, J.C.: **Diplomacy in the Near and Middle East**, London, March, 1958, v. 1.
14. N. Zeine: **Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism.** Beirut 1958.
15. N. Zeine: **The struggle for arab independence**, Beirut 1960.

1. Libanaise Alliance: **Mémorandum** de Février 1921.
2. Azouri, Najib: **Le réveil de la nation arabe dans l'Asie Turque:** Paris 1905.
Azouri, Najib: **l'Indépendance arabe,** 1907.
3. Baumont, M.: **La Faillite de la paix.** Paris 1951.
4. Barres, Maurice: **Une Enquête aux pays du Levant.** Paris 1923.
5. Bouron, N.: **Les Druzes,** histoire de Liban et de la montagne houranaise, Paris 1930.
6, Bourkhard: **Le Mandat Français en Syrie et au Liban,** Paris 1925.
7. Boustani, H.: **Liban d'abord,** Beyrouth, 1924.
8. Comité Libanaise de Paris: **Mémoire sur la question du Liban,** Paris 1912.
9. Chiha, M.: **Le Liban d'aujourd'hui,** Beyrouth 1943.
Le Liban dans le Monde, Paris 1948.
10. Charaf, G.: **Communautés et pouvoir au Liban,** Beyrouth, 1981.
11. Contenau, G.: **La civilisation Phénicienne,** Paris 1939.
12. Chevalier, D.: **La Société du Mont Liban,** Paris 1971.
13. Driauli, Edouard: **La question d'Orient** 1918 - 1937.
14. Dib, Mrg. Pierre: **Histoire de l'Eglise Maronite,** 2 vol. Beyrouth 1962.
15. Dussaud: **Topographie de la Syrie Antique et médiérale,** Pris 1927.
17. Farhat, Adèle: **La France, Puissance mandataire en Syrie et au Liban,** Paris 1926.
18. Ghanem, Chekri: **Mémoire sur la question du Liban** (C.L.P.)
Ronces et fleurs, Paris 1948.
19. Ghali, Paul: **Les Nationalités détachées d l'Empire Ottoman à la suite de la guerre,** Paris, 1934.
20. Grousset, René: **Le Réveil de l'Asie,** Paris 1924.
21. Gouraud, Henri: **La France en Syrie,** Paris 1922.
22. Hajjar, Joseph: **L'Europe et les destinées du Proche Orient,** (1815 - 1848), 1970.
23. L'Huilier, Ferraud: **Fondements historiques des problèmes du M. Orient,** Paris 1958.
24. Ismail, Adel: **Documents diplomatiques et consulaires,** 12 volumes, 1975 - 1979.
25. Joffre, Alphonse: **Le mandat de la France sur la Syrie et le Grand Liban,** Lyon 1924.
26. Jouplain (Paul Noujaim): **La question du Liban,** 2e ed. Beyrouth 1961.
27. Khayrallah, K.T.: **La Syrie,** Paris, Leroux, 1912.
La question du Liban, Paris 1915.
Le problème du Levant, Paris 1919.
28. Karam, Georges Adib: **L'opinion publique libanaise et la question du Liban,** 1918 - 1920, Beyrouth 1981.

29. Kordahi Chucri: **Le Mandat de la France sur la Syrie et le Liban,** Paris 1926.
30. Khoury, Mgr. Abdallah: **Rapport sur la question libanaise avec carte géographique du Liban élargi,** 1910.
31. Kalisky, René: **Le monde Arabe à l'heure actuelle,** Marabout 1974.
32. Lammens, Henri: **La Syrie,** 2 tomes, Beyrouth 1921.
33. Luquet, J.: **La politique des mandats dans le levant,** Paris 1923.
34. Loheac L.: **Le Liban a la conférence de la paix** (1919 - 1920), thèse.
35. Lapierre, J.: **Le Mandat F. en Syrie,** Paris 1937.
36. Levant H.: **Quarante ans d'autonomie du Liban,** le Caire 1970.
37. Montroux, Paul: **Les déclarations du conseil des quatre** (24 Mars, 28 Juin 1919), Paris 1955.
38. Menassa, G.: **Les Mandats A et leur application en Orient,** Paris, 1924.
39. Naaman, Abbé Paul: **Théodoret de Cyr et le Monastère de Saint Maroun.** Université Saint-Esprit de Kaslik 1971.
40.
41. Petit, Paul: **Précis d'Histoire ancienne** 1ère éd. Paris 1971.
42. Pacha, S.: **Le Liban après la guerre,** Paris 1918.
43. Pichon, Jean: **Sur la route des Indes, un siècle après Bonaparte,** Paris 1942.
Le partage du Proche Orient, Paris 1938.
44. Ristelhuber, René: **Traditions françaises au Liban,** Paris 1918.
45. Rabbath, E.: **L'évolution historique de la Syrie,** Paris 1928.
Formation Historique du Liban Pol. et constitutionnel, Beyrouth 1973.
46. Samné, Georges: **La Syrie,** Paris 1920.
Le Liban Autonome (de 1861 à nos jours) , Paris 1919.
47. Tyan, Prince Ferdinaud: **France et Liban,** Défense des intérêts français en Syrie, Paris 1917.
48. Tardieux, A.: **La Paix,** Paris 1921.
49. Volney: **Voyage en Egypte et en Syrie,** Paris 1959.
50. Yacoub, Père Abdou: **Le patriarche maronite,** Elias Hoyek, 1843 - 1931; thèse du Doctorat, II tomes. Paris 1979.

محتويات الكتاب

القسم الثاني
الأوضاع السياسية في لبنان
١٩١٨ - ١٩٢٠